المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

القواعد العقدية عند الشيخ العثيمين

دراسة نظرية تطبيقية

Doctrinal Rules at Sheikh Othaimeen
Theory Applied Study

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالب
رائد بن حجاب الحربي
٣٣١١٠٠٠٥٦

إشراف
د. علي بن عبدالرحمن القرعاوي
الأستاذ المساعد بالقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي ١٤٣٧-١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن جهود العلماء الراسخين في بيان العلم الشرعي -ومن ذلك علم العقيدة - جهود عظيمة مشكورة، وهي ذات أوجه متعددة، ومن تلك الجهودالتي قام بها العلماء وضع القواعد العلمية والمنهجية العامة التي ينضبط بها النظر، وتطرد بها التوجيهات في مسائل الاعتقاد، ولهذا المعنى والمقصد، وتلك الغاية، اشتغل كثير من أهل العلم -قديمًا وحديثًا- بتتبع واستقراء مصنفات الأئمة لاستخلاص ما تضمنتها من قواعد وأصول.

ومن العلماء المعاصرين الذين لهم قدم صدق في وضع القواعد المنهجية العامة في أبواب الاعتقاد -سواء من خلال بيان عقيدة السلف وتقريرها، أومن خلال الرد على مخالفيها بالحجة والدليل والبرهان- فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه اللهحيث كان معنيًا عناية كبيرة بها؛ لأثرها الإيجابي في ضبط الأقوال وتحريرها، وجمع متفرقات العلوم تحت أصول عامة، وهو الأمر الذي جعلني أستعين الله عز وجل في جمع هذه القواعد، ودراستها في آثار الشيخ رحمه الله العلمية، وأتقدم بهذا الموضوع لتسجيله في مرحلة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وكان بعنوان: (**القواعد العقدية عند الشيخ العثيمين، دراسة نظرية تطبيقية**).

مشكلة البحث:

يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما القواعد التي قعدها الشيخ في مسائل العقيدة؟

٢- ما المعايير العلمية والمنهجية التي وضعها الشيخ لتقعيد المسائل العقدية؟

٣- هل للقواعد العقدية التي وضعها الشيخ أدلة؟

٤- هل للقواعد العقدية التي وضعها الشيخ رحمه الله تطبيقات؟

٥- هل سُبق الشيخ في هذه القواعد؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره فيما يلي:

١- الوظيفة الإيجابية للقواعد العقدية في ضبط منهج النظر والاستدلال في مسائل بيان وتقرير العقيدة، وفي مسائل الردود والتعقبات القائمة على المناظرة والحوار.

٢- القيمة العلمية الكبيرة التي تبوأها الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، والقواعد العقدية التي قررها هي من مظاهر رسوخه ومعرفته الواسعة بأدلة ومسائل الاعتقاد وكلام السلف رحمهم الله، وهذا الموضوع من وسائل تقريب علم الشيخ للمتخصصين وعامة طلبة العلم.

أهداف البحث:

يهدف الباحث في دراسة هذا الموضوع لتحقيق الأهداف التالية:

١- جمع القواعد التي قعدها الشيخ في مسائل العقيدة.

٢- بيان المعايير العلمية والمنهجية لتقعيد المسائل العقدية التي وضعها الشيخ رحمه الله.

٣- بيان أدلة القواعد العقدية التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

٤- بيان التطبيقات على القواعد العقدية التي ذكرها الشيخ رحمه الله.

٥- بيان من سبق الشيخ في هذه القواعد.

حدود البحث:

للباحث حدود يلتزم بها في بحثه، ومن أهم هذه الحدود مايلي:

١- الاقتصار في جمع المادة العلمية على كتب الشيخ العقدية المطبوعة، وغير العقدية.

٢- الاقتصارعلى القواعدالعقدية التي نصّ الشيخ على كونها قاعدة، والتزم بما كان قاعدة كلية ولها عدة تطبيقات في كلام الشيخ.

٣- لا أذكر القواعد التي ذكرها الشيخ رحمه الله في كتابه القواعد المثلى؛ لكون الشيخقد شرحها وبيّن أحكامها.

الدراسات السابقة:

بعد الاستفسار والبحث في عدد من الجامعات، كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك سعود، والجامعة الإسلامية، وبعد زيارة بعض المراكز المتخصصة مثل: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، لم أجد رسالة علمية في القواعد العقدية عند الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، كما أني لم أجد في كتاب الندوة الكبرى التي أقامتها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة القصيم عن جهود الشيخ العلمية بحثًا شاملًا لهذه القواعد، ولكن هناك بعض الرسائل والبحوث المختصرة التي ربما تناولت هذا الموضوع، وسوف أبيّن الفرق بينها وبين بحثي:

١- «جهودالشيخ ابن عثيمين في خدمة العقيدة في الأسماء والصفات» للباحث محمد الغرايبة، وهي رسالة دكتوراه من جامعة بون بألمانيا، وكان منهج الباحث يختلف عن منهجي تمامًا، فالباحث الدكتور الغرايبة لم يتطرق للقواعد كدراسة نظرية تطبيقية، وإنما كانت رسالته موجهة للغربيين، وكانت باللغة الألمانية، ولم تترجم للعربية، كما أنها مختصرة، واعتمد فيها الباحث على كتاب القواعد المثلى، بخلاف دراستي فلقد كانت دراسة نظرية تطبيقية استبعدتُ منها دراسة القواعد التي في كتاب القواعد المثلى.

٢- «جهود الشيخ ابن عثيمين في توضيح الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ومباحث الإيمان» للباحث عبدالله الأحمدي، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، لكن الباحث درس جهود الشيخ في هذه المسائل وردوده على المخالفين فيها، ولم يقم بدراسة القواعد العقدية في كتب الشيخ.

٣- «اختيارات الشيخ محمد العثيمين في النوازل العقدية المعاصرة دراسة تحليلية»، للباحث فهد السنيدان، وهي رسالة ماجستير مقدمه لجامعة أم القرى، وفي هذه الرسالة أيضًا درس الباحث اختيارات الشيخ العثيمين في نوازل ومسائل العقيدة، ولم يقم بدراسة القواعد العقدية التي في كتب الشيخ.

٤- «جهود العلّامة ابن عثيمين في تقرير التوحيد» للباحث محمد تقمونين، وهي رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، والباحث ذكر أربع قواعد إجمالاً، بمقدار صفحة فقط لكل

قاعدة، ودرس قاعدة واحدة فقط في أربع صفحات، فمجموع ما يتعلق بالقواعد العقدية عند الشيخ في بحث الباحث محمد هي ثماني صفحات فقط.

منهج البحث:

تتطلب طبيعة هذا البحث الاعتماد على منهجين. المنهج الأول: المنهج الاستقرائي؛ وذلك لجمع القواعد العقدية في كتب وآثار الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، والمنهج الوصفي التحليلي؛ لإبراز مفاهيم ومناهج وتطبيقات هذه القواعد لدى الشيخ، سواء في جانب تقرير العقيدة، أو في مجال الرد على المخالفين.

إجراءات البحث:

١- استخراج القواعد التي نص الشيخ عليها بقوله قاعدة في كتبه العقدية وغيرها، وتوزيعها على أركان الإيمان، ووضعها بين قوسين، دون أن أتصرّف في عبارة الشيخ، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ثم بعد ذلك أقوم بدراستها من خلال مايلي:

أ- شرح القاعدة وأدلتها.

ب- تطبيقات على القاعدة من خلال كلام الشيخ.

ج- بيان من سبق الشيخ في ذكر هذه القاعدة

٢- عزو الآيات القرآنية وذلك بذكرالسورة ورقم الآية.

٣- تخريج الأحاديث، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما خرجته منها، وذكرتُ أقوال أهل العلم فيه تصحيحًا وتضعيفًا.

٤- عزو النقول إلى مصادرها مع توثيق هذا النقل.

٥- الترجمة للأعلام غير المشهورين الذين يرد ذكرهم في البحث.

٦- شرح المصطلحات والألفاظ الغريبة والتعريف بالأماكن والبلدان.

٧- إذا أطلقت كلمة الشيخ فإنها تنصرف إلى الشيخ محمد العثيمين أمّا إذا أردتُ غيره فإني أقيّدهُ بذكر الاسم.

٨- التزم بعلامات الترقيم، وضبط مايحتاج إلى ضبط.

٩- وضع فهارس تسهيلاً للوصول إلى مايحتويه البحث.

خطة البحث:

تتضمن خطة هذا البحث مقدمة وتمهيدًا، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

أمّا **المقدمة**، فتشتمل على:

- مشكلة البحث.
- أهمية البحث وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- حدود البحث.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث إجراءاته.
- خطة البحث.

التمهيد، ويشمل:

- أولاً: تعريف القواعد في اللغة.
- ثانيًا: تعريف القاعدة العقدية اصطلاحاً وضوابطها.
- ثالثًا: لمحة عن منهج التقعيد في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة.
- رابعًا: منهج الشيخ محمد العثيمين في التقعيد.

الفصل الأول: قواعد متعلقة بالإيمان بالله، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قواعد في توحيد الألوهية:

القاعدة الأولى: «أي فعلٍ كان عبادة فصرفه لغير الله شرك»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثانية: «العمل لا يكون عبادة حتى يوافق الشرع في أمورٍ ستة: في جنس العمل وفي قدره وفي كيفيته وفي سببه وفي زمانه وفي مكانه»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثالثة: «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الرابعة: «الوسيلة لا بد أن تكون صحيحة في إيصالها إلى المقصود»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الخامسة: «أمر النبي في الشرع لا بأس أن يقرن مع الله بالواو؛ لأن ما جاء به هو من شرع الله، بخلاف الأمور الكونية فإنه لا يقرن مع الله إلا مقرونًا بثم»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

المبحث الثاني: قواعد في الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: «جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله، فإنه متعدي»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثانية: «كل كُتب الله لا يوجد فيها أو فيما جاءت به الرسل، خبران مختلفان في صفات الله»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثالثة: «كل من قاس صفات الله بصفات المخلوق، فإنه يضل بتحريف النص وتعطيل الصفة أو التمثيل»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الرابعة: «الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عمّا لم يرد إثباته ولا نفيه»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الخامسة: «كل ما أسنده الله لنفسه فهو له نفسه لا لغيره»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة السادسة: «كل اسم من أسمائه يدل على ذاته وعلى مافي الاسم من صفاته، ويدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة السابعة: «ما كان وصفًا غير قائم بنفسه، فهو صفة لله غير مخلوقة، وما كان عينًا قائمة بنفسه فهو مخلوق، وكذلك لو كان وصفًا في عين قائمة بنفسها فهو مخلوق؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثامنة: «إن الله إذا أضاف الفعل أو الوصف إلى نفسه اختص به نفسه، وأن كل فعلٍ مضاف إلى الله فإنه يعني ذات الله»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة التاسعة: «كل صفة مربوطة أو معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة العاشرة: «كل ما يتعلق بمشيئة الله من الصفات فهوصفة فعلية» وفيهامطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

الفصل الثاني: قواعد في الإيمان باليوم الآخر والقدر:

المبحث الأول: قواعد في الإيمان باليوم الآخر:

القاعدة الأولى: «الواجب فيما ورد من أمور الغيب التسليم والإيمان بها وبما يقتضيه ظاهره من المعنى والتصديق دون كيف؟ ولم؟»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثانية: «كل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى، لا تكون مماثلة له في الحقيقة»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثالثة: «الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما ورد كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا، ولا يتعدى في شيء منه»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

المبحث الثاني: قواعد في الإيمان بالقدر:

القاعدة الأولى: «كل فعل لله معلق بالمشيئة، فإنه مقرون بالحكمة وليس شيء من فعله معلقًا بالمشيئة المجردة»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

القاعدة الثانية: «مامن شيء يخلقه الله إلا وله حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده، أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة، سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته»، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

الخاتمة، وتشمل:

- أهم النتائج.
- أبرز التوصيات.

الفهارس، وتشمل:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الفِرق والأعلام.

٤- فهرس الألفاظ.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

هذا وقد بذلت جُهدي -وهو جُهد المقل- فإن يكُ صوابًا فمن الله، وإن يكُ خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريئان.

هذا وأشكر المولى جل وعلا على توفيقه وامتنانه، وجوده وإحسانه على إتمام هذا البحث، فلولا إعانته لي ما استطعتُ إتمامه، ولولا تفضّله عليّ ما استطعت بذل ما بذلتُه من جهد، فله الحمد أولاً وآخرًا، وله الشكر ظاهرًا وباطنًا، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه، وأن ينفع به.

التمهيد

- أولًا: تعريف القواعد في اللغة.
- ثانيًا: تعريف القاعدة العقدية وضوابطها.
- ثالثًا: لمحة عن منهج التقعيد في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة.
- رابعًا: منهج الشيخ محمد العثيمين في التقعيد.

أولًا: تعريف القواعد في اللغة :

القواعد جمع قاعدة، ولفظ القاعدة وماتصرفمنه ورد في القرآن لثلاثمعان:

المعنى الأول: الأصل والأساس:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، أي: أصوله وأساساته[٢]، وقال تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾[٣].

وقواعد البيت: أساسه[٤]، وقواعد الهودج: خشبات أربع تحته، ركب فيهن[٥].

المعنى الثاني: المكان والمقر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]، فالمواضع اللائقة بالقتال التي يثبت فيها الجيش ولا ينتقل عنها؛ لأنها لائقة بحركاته، فأطلق المقاعد هناعلى مواضع القرار كناية، أو مجازًا مرسلًا بعلاقة الإطلاق، وشاع ذلك في الكلام حتى ساوى المقر والمكان[٧].

ونظيره قوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[٨].

المعنى الثالث: الجلوس الحقيقي، أو ما في معناه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٩].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٢٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٧/٣).

(٣) سورة النحل، آية (٢٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١٠٩/٥).

(٥) القاموس المحيط (٣١١/١).

(٦) سورة آل عمرآن، آية (١٢١).

(٧) التحرير والتنوير (٧١/٤).

(٨) سورة الجن، آية (٩).

(٩) سورة يونس، آية (١٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾[١].

وكذلك قال تعالى: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾[٢].

قال ابن قتيبة [٣] في غريب القرآن: «وَالْقَواعِدُ يعني: العُجّز. واحدها: قاعد... ولا أراها سميت قاعدًا، إلا بالقعود؛ لأنها إذا أسنّت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة، وأطالت القعود، فقيل لها: قاعد بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه قعود كبر»[٤].

فهذه ثلاثة أصول قرآنية يدور عليها معنى القاعدة وماتصرفمنه، وعند التأمل وجدت بين هذه الأصول الثلاثة قاسمًا مشتركًا، ومعنى تجتمع فيه، هو الثبات والاستقرار، ثمينفرد كل واحد منها بمعنى جزئي خاص به، ومن هذا المعنى الكلي للقاعدة في اللغة يمكن أن نستخلص تعريفًا جامعًا فيقال: **القاعدة لغة: مقرُّ الشيء وأساسه الثابتُ والمستقرُ الذي يبنى عليه** غيره مع ثباته واسقراره[٥].

---

(١) سورة التوبة، آية (٤٦).

(٢) سورة النور، آية (٦٠).

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو مُحَمَّد الكاتب الدينوري وقيل الْمَرْوَزِيّ، مولده ببغداد، وأقام بالدينور مدة فنسب إليها، وهو صاحب التصانيف المشهورة، ومنها: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، توفي في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٤١١/١١).

(٤) غريب القرآن، ص(٣٠٧-٣٠٨).

(٥) القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة دراسة تأصيلية، عادل بن عبد الغفور، ص(٣٧)مع زيادة يسيرة.

ثانيًا: تعريف القاعدة العقدية وضوابطها.

القواعد العقدية لقب اصطلاحي لعلم من العلوم، كغيره من علوم القواعد، كعلم القواعد الفقهية، والقواعد الأصولية، والقواعد النحوية، وقواعد التفسير، إلا أن هذه القواعد سالفة الذكر ألّف فيها العلماء من قديم وأوعبوا، لا سيما القواعد الفقهية والأصولية، أما القواعد العقدية فلا يوجد فيها –حسب علمي–مؤلفات خاصة، بمعنى جمعها والتنصيص عليهاكما هو الحال في القواعد الفقهية والأصولية، فحتى المهتمون بفن علم القواعد، لا يذكرون القواعد العقدية، فهذا الإمام القرافي[١] مثلًا يقول: «فإن الشريعة المعظمة المحمدية –زاد الله تعالى منارها شرفًا وعلوًا– اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان، أحدهما المسمى بأصول الفقه، وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح، ونحو الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة، وخبر الواحد، وصفات المجتهدين، والقسم الثاني: قواعد كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع وحكمه»[٢].

فتكلم عن الشريعة وبيّن أنها تحتوي على أصول وفروع، و أن أصولها تنقسم إلى قواعد أصول الفقه وقواعد فقهية، ولم يذكر القواعد العقدية التي هي من أصول الشريعة إذ أن موضوعها العقيدة، ولست أدري ما السبب الذي جعل المهتمين الأوائل بفن علم القواعد، ينصرفون عن العناية والتأليف في علم القواعد العقدية، إلى درجة أنك لا تجد لمصطلح القواعد العقدية كلقب ذكرًا في الكتب المتقدمة المهتمة بفن علم القواعد، بل حتى الكتب المعاصرة منها، بينما تجد عشرات التعريفات للقواعد الفقهية والأصولية، وتوسيع القول وتشقيقه في بيان

---

(١) الشيخ الإمام، العالم الفقيه الأصولي، شهاب الدين، أحمد بن إدريس المشهور بالقرافي، الصنهاجي، نسب إلى القرافة ولم يسكنها، وإنما سئل عنه عند تفرقة الجامكية –أجرة المدرسين– بمدرسة الصاحب ابن شكر فقيل: هو بالقرافة، فقال بعضهم: اكتبوه القرافي فلزمه ذلك، وكان مالكيًا إمامًا في أصول الفقه وأصول الدين، عالمًا بالتفسير، صنف في أصول الفقه الكتب المفيدة، منها: التنقيح وشرحه، وله أنوار البروق وأنواء الفروق، وكان حسن الشكل والسمت، توفي بمصر، ودفن بالقرافة سنة اثنتين وثمانين وست مائة. انظر: الوافي بالوفيات (١٤٧/٦).

(٢) أنوار البروق في أنواء الفروق (٢/١).

الفروق بين القاعدة الفقهية والأصولية، والفرق بينهما وبين الضابط، وما إلى ذلك مما يعرف في كتب القواعد والأصول الفقهية.

وسأستفيد من الكلام في تعريف القواعد الفقهية والأصولية، بعرض بعض من التعريفات، لاستخلاص تعريف للقواعد العقدية، بالنظر إلى تعامل العلماء في تعريفاتهم مع هذا المصطلح باعتبار مفرديه، وباعتباره لقبًا، فأقيس ما أنا بصدده على ما ذكروه.

١- قال الطوفي[١]: «هي القضايا الكلية التي تعرف بالنظر فيها قضايا جزئية»[٢].

٢- قال الجرجاني[٣]: «هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها»[٤].

٣- قال البهوتي[٥]: «وهي أمر كلي منطبق على جزئيات موضوعة»[٦].

٤- قال التفتازاني[٧]: «حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه»[٨].

---

(١) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطوفي الصرصري ثم البغدادي، الفقيه الأصولي، ولد سنة بضع وسبعين وسبعمائة بقرية " طوفى، وتردد إلى صرصر. وقرأ الفقه بها على الشيخ زين الدين علي بن محمد الصرصري الحنبلي النحوي، صنف تصانيف كثيرة، منها: بغية السائل في أمهات المسائل في أصول الدين، وقصيدة في العقيدة وشرحها، ومختصر الروضة، توفي بفلسطين شهر رجب سنة ست عشرة وسبعمائة.

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/٤٠٤).

(٢) شرح مختصر الروضة (١/١٢٠).

(٣) علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبو الحسن الحسيني الجرجانيّ الحنفي، ولد بجرجان، سنة أربعين وسبعمائة، وكان يسمى عالم المشرق، ويعرف بالسيد الشريف، له تصانيف يقال إنها تزيد على الخمسين منها: مقدمة في الآفاق وفي الأنفس، وشرح المواقف، توفي سادس ربيع الآخر سنة ست عشرة وثمانمائة بشيراز.

انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/٤٣٣).

(٤) التعريفات (١/١٧١).

(٥) هو منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي: شيخ الحنابلة بمصر في عصره، ولد سنة ١٠٠٠هـ، ونسبته إلى (بهوت).في غربية مصر، له كتب، منها: الروض المربع شرح زاد المستقنع المختصر من المقنع، و كشاف القناع عن متن الإقناع للحجاوي، توفي سنة ١٠٥١ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/٣٠٧).

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع (١/١٦).

(٧) هو مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها، شافعي المذهب، وكان مولده سنة ٧١٢هـ، وله مصنفات منها: شرح العضد، و شرح التلخيص، والتلويح على التنقيح في أصول الفقه، توفي بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

انظر: الدرر الكامنة (٦/١١٢)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣١٩).

(٨) شرح التلويح على التوضيح (١/٣٤).

٥- «الحكم المنطبق على جميع جزئياته»[١].

فهذه تعريفات من تعريفات كثيرة كلها تصف المراد بالقاعدة وعند بحثي عن معنى القاعدة وجدتُ مناقشات في تحديد معنى القاعدة، فهناك من يقرر بأن القاعدة حكم كلي ويشمل كل الجزئيات المندرجة تحتها ولا يخرج عنها شيء كما جاء في بعض التعريفات، وهناك من يقرّر بأن حكمها أغلبي لخروج بعض من المسائل عن حكم بعض القواعد.

قال الحموي[٢]: «القاعدة عند الفقهاء غيرها عند النحاة والأصوليين، إذ هي عند الفقهاء حكم أكثري لا كلي ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه»[٣]، وهناك من يقرّر بأن القاعدة تشمل عدة مسائل في أكثر من باب، أمّا مايشمل مسائل الباب الواحد فقط، فهو الضابط، كما نصّ على ذلك ابن نجيم[٤] في الأشباه والنظائر حيث قال:

«**والفرق بين الضابط والقاعدة أن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل**»[٥] وكذلك نصّ على ذلك أبو البقاء[٦] في كتابه

---

(١) نقله صاحب شرح القواعد الفقهية، ص(٣٣).

(٢) هو أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي، من علماء الحنفية، كان مدرسًا بالمدرسة السليمانية بالقاهرة، صنف كتبًا كثيرة، منها (غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم)، و(نفحات القرب والاتصال)، وكتاب الدر النفيس في مناقب الشافعيّ، توفي سنة ١٠٩٨ هـ.
الأعلام للزركلي (٢٣٩/١).

(٣) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٥١/١).

(٤) هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد المشهور بابن نُجيم، كان عالما عاملًا، مؤلفًا مُصنفًا، لقيت مؤلفاته قبولًا في وقته، وكانت ولادته في سنة ست وعشرين وتسعمائة من الهجرة، ومن مصنفاته: البحر الرائق بشرح كنز الدقائق، وهو أكبر مؤلفاته، وأكثرها نفعًا، توفى قبل أن يكمله، وله كتاب الأشباه والنظائر وفيه كثير من القواعد الفقهية والمسائل الدقيقة، وله رسائل كثيرة، في فنون عديدة، تزيد على أربعين رسالة، توفي رحمه الله في نهار الأربعاء في السابع من رجب في سنة سبعين وتسعمائة من الهجرة. انظر: الطبقات السنية (٢٨٩/١).

(٥) الأشباه والنظائر لابن نجيم (١٣٧/١).

(٦) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب كتاب الكليّات، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في تركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بهاسنة ١٠٩٤م تقريبًا.
انظر: الأعلام للزركلي (٣٨/٢).

الكليات فقال عن الفرق بينهما بأن القاعدة (تجمع فروعًا من أبواب شتى، والضابط يجمع فروعًا من باب واحد)[١].

وعند المقارنة بين التعاريفات السابقة والتأمل فيها أقول: إن الإختلاف حول مصطلح القاعدة يعود إلى أمرين مهمين:

الأمر الأول: هل القاعدة حكم أو قضية كلية لا يخرج عنها شيء مما تحتها، أم أغلبية أكثرية؟

الأمر الثاني: هل هناك فرق بين القاعدة والضابط؟

والذي يترجح لي أن اسم القاعدة يشمل الكلية والأغلبية، ويكون إطلاق القاعدة على القضية الأغلبية؛ لأنه قليل مقارنة بالكلي، فغلب الكثير على القليل، فتكون كلية بحيث تشمل كل الجزئيات ولا يخرج عنها شيء، وقد تكون حكمًا أكثريًا أو أغلبيًا لكثير من المسائل التي تندرج تحت موضوع القاعدة، وبهذا الجمع والتوفيق بين التعريفات، فإنه يكون قد حصرت كثيرًا من المسائل تحت قاعدة واحدة، أما ما يكون حكمًا أغلبيًا يخرج منه بعض الجزئيات، فهذا قليل مقارنة بالكلي، بينما لو اعتمدتُ التعريف القائل بأن القاعدة ذات الحكم الكلي فقط، فإني سوف أفوّت كثيرًا من المسائل التي كان بالإمكان جمع شتاتها تحت قاعدة واحدة، لولا أن نظائر لها شذت عن حكمها، كما أن هذا الجمع لا ضرر فيه ولا خلل، بل هو من الوسائل المعينة على جمع العلم، وضم النظير إلى نظيره، وأيضًا فإن خروج بعض الجزئيات قد يكون لعارض أو حكمة، لا تلغي صحة القاعدة.

يقول الشاطبي[٢]: «فالكلية في الاستقرائيات صحيحة، وإن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات، وأيضًا فالجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي، فلا

---

(١) الكليات (٧٢٨/١).

(٢) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي، كان أصوليًا مفسرًا فقيهًا، محدثًا لغويًا بيانيًا نظارًا، ثبتًا ورعًا صالحًا زاهدًا، حريصًا على اتباع السنة، مجانبًا للبدع والشبهة، توفي يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة تسعين وسبعمائة، له مصنفات كثيرة منها: شرحه الجليل على الخلاصة في النحو، وكتاب "الموافقات". انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٤٨/١).

يكون داخلة تحته أصلًا، أو تكون داخلة لكن لم يظهر لنا دخولها، أو داخلة عندنا، لكن عارضها على الخصوص ما هي به أولى»[١].

وبعد هذا الجمع والتوفيق بين التعريفات، يمكن لنا الآنأن نعرّف القاعدة العقدية، ولا يفوتني قبل ذلك أن أذكر بما سلف آنفًا من أن شح المصادر والمؤلفات في باب القواعد العقدية، كان له أثر بالغ على ما قد يرى من قليل استغلاق أو عوز تحريرٍ في بعض الفصول والمقاطع، وهناك- ولله الحمد- بداية اعتناء واهتمام في الخوض والكتابة في علم القواعد العقدية، وتوجد رسائل علمية حديثة تخصصت في هذا[٢]، ولكن فيما اعلمأنه لميتم التطرق فيها لتعريف وتحرير معنىالقاعدة العقدية، إلا أنه جاء في كتاب القواعد العقدية تفصيلًا طويلًا ودقيقًا لتعريفات القاعدة وأسهب فيه المؤلف إسهابًا عميقًا وخرج لنا بتعريف للقواعد العقدية فقال: «هي قضية عقدية كليّة منطبقة على مسائل أكثر من باب»[٣]، وقال صاحب كتاب قواعد في بيان حقيقة الإيمان بعد أن عرض عدت تعريفات للقاعدة: «ومقصودنا بالقواعد هنا، القواعد الكليّة التي تضبط المسائل العقدية»[٤].

وكلا التعريفين يخصان القاعدة بالكلية دون الأكثرية، بينما الذي ترجّح للباحث بأن القاعدة تشمل ما كان كليًا أو أكثريًا، فلذلك أقول -وبالله التوفيق-:

إن القاعدة العقدية: هي حكم كلي أو أكثري يجمع شتات المسائل العقدية التي تندرج تحت باب واحد، أو أكثر من باب.

ولا أرى أن هناك حاجة للتفريق بين الضابط والقاعدة هنا، إلا عند التوارد على أمر واحد، فيمكن أن يعمل بالتفريق؛ لأن النتيجة من الضابط والقاعدة واحدة، ألا وهي جمع شتات المسائل سواء كانت في باب واحد، أو أكثر من باب.

---

(١) الموافقات (٢/٨٤).

(٢) ككتاب القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف للكتور البريكان، و كتاب القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة دراسة تأصيلية المؤلف عادل عبد الغفور حيدر،، وكتاب قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة للشيخاني، وكتاب قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور محمد بن بسيس السفياني.

(٣) القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة، للشيخ عادل عبدالغفور ص(٦٢).

(٤) قواعد في بيان حقيقة الإيمان (١/٦٤).

قال الدكتور الزحيلي: «القاعدة بمعنى الضابط في الأصل، لكن يميّز العلماء بين القاعدة والضابط عمليًا، وفي القرون الأخيرة، بأن القاعدة تحيط بالفروع والمسائل في أبواب فقهية مختلفة، أما الضابط فإنه يجمع الفروع والمسائل من باب واحد من الفقه.... وهذا التفريق بين القاعدة والضابط عند معظم العلماء فقط، كما أنه ليس تفريقًا حتمًا جازمًا، فقد يذكر كثير من العلماء قواعد فقهية وهي في حقيقتها مجرد ضوابط»[١].

- فالخلاصة أن يقال في تعريف القاعدة العقدية: هي تقرير وحكم كلي أو أكثري، يجمع شتات المسائل العقدية التي تندرج تحت باب واحد، أو أكثر من باب.

- ضوابط القاعدة العقدية:

١- أن يكون موضوعها المسائل العقدية.

٢- أن يكون تقريرها كليًا أو أكثريًاللمسائل التي تندرج تحت موضوعها.

٣- أن تكون مستمدة من النصوص، أو الإجماع.

(١) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة للزحيلي (٢٢/١).

ثالثًا: لمحة عن منهج التقعيد في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة :

مما لا يخفى على مؤمن أن الفقه الأكبر هو علم المعتقد، ومسائله من أصول الدين بل هي أصوله ومهماته، بها يدخل العبد الإسلام، وبمخالفتها يحدث خلل أو نقص في معتقده، ولذا اعتنى السلف بتأصيل مسائله، وتقعيدها وضبطها، فكانت قواعد السلف وضوابطهم في هذا الباب تقوم على أربعة أصول:

الأصل الأول: القرآن الكريم.

الأصل الثاني: السنة النبوية.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٣].

فهم يقرّرون قواعدهم، ويُحرّرون مضمونها على ضوء الكتاب والسنة، ويؤمنون بها على الوجه اللائق بها، ويعتمدون على ظواهر النصوص المعروفة من لسان العرب، فلا يحرّفون النصوص عن ظواهرها، ولا يمثلون الله بخلقه، بل يقابلونهما بالقبول والإذعان والتسليم، فكانت تقريراتهم وقواعدهم العقدية متوافقة مع نصوص الوحي.

نقل ابن كثيرفي تفسيره أن أبا بكر في قصة الإسراء جاءه المشركونفقالوا: «يا أبا بكر، هل لك في صاحبك؟ يخبرأنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر، ثم رجع في ليلته! فقال أبو بكر، رضي الله عنه: إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، نصدقه على خبر السماء»[٤] فالشاهد قوله: «إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، نصدقه على خبر السماء» فهذا التسليم والقبول والإذعان.

---

(١) سورة النساء، آية (٦٥)

(٢) سورة النور، آية (٥١)

(٣) سورة الحشر، آية (٧)

(٤) تفسير ابن كثير (١٤/٥).

من أبي بكر للنص، يرسم لنا منهج السلف في تسليمهم للوحي، وتصديقهم لظاهر النصوص، وعدم تقديم العقل على النص، وهكذا كان السلفي التعامل مع النصوص، فالزهري سأله رجل: **عن بعض الأخبار المتشابهة؟ فقال: «من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم، أمروا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت»**[١].

أي التسليم للنصوص، وعدم تعطيلها، أو تأويلها، أو تطلبالمقاييس لها، والإمام مالك لما سئلعن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

فكلامهرحمه الله فيه جمع بين الإيمان بظاهر النص، والتسليم له، وإثبات العلم بمعناه المعروف من لغة العرب، مع تفويض الكيفية، والنهي عن سؤال كنهها، فلم يقده عدم معرفة كيفية الاستواء، إلى تحريف النص ونفي معناه، ولا معرفة معناه العام من لغة العرب إلى التمثيل، بل تمسك بالنص وجعل هذا السؤال بدعة؛ لأنه يؤدي إلى التكذيب بالنصوص[٤].

وقال اللالكائي[٥] في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: «موضوع صفات الله عز وجل مزلة أقدام لمن انحرف عن منهج أهل السنة والجماعة، وقد انقسمت حولها الفرق وتشعبت، ما بين غالٍ وناف، ومثبت ومجسم، ومؤول ومحرف، ومعطل ومشبه، وكان ذلك كله ناتجًا عن تحكيم العقول في قضايا الغيب، وعدم التسليم للنصوص، وعدم الوقوف على ما وقف عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان»[٦].

ومايقال في موضوع الصفات يقال في جميع أبواب الاعتقاد؛ إذ منهجية أهل السنة والجماعة في هذا الباب واحدة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٣٦٩)، ونقله ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/٥٠٤).

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣) رواه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص(٤٥).

(٤) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة للشيخ عثمان علي حسن(١/٢٣٤).

(٥) هو الإمام الحافظ المجوّد أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور، الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، خرج إلى الدينور، فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/١٣٦).

(٦) شرح اعتقاد أهل والجماعة (١/٣).

وقال ابن تيمية: «طريقة أهل السنة والجماعة: اتِّباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرًا، واتِّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتِّباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[١]. ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة»[٢].

فهذه النقولات عن الأسلاف[٣]، كلها تقرر أن أهل السنة يبنون عقائدهم على نصوص الوحي، ولا يتجاوزونها إلى غيرها، ومن ذلك تقعيد القواعد، التيهي تقرير لعقائدهم، أمَّا الأصول الأخرى كالعقل، والفطرة فهي أصول موافقة ومساندة وتابعة لهذين الأصلين.

الأصل الثالث: العقل:

القرآن الكريم مليء بالآيات التي يخاطب الله بها عقول الناس، فكثيرًا ما تُختمالآية بقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، فالله سبحانه في القرآن كثيرًا ما يخاطب العقول لإثبات العقائد والتشريعات والأحكام، فقال تعالى: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[٤] فبيّن الحكمة من تنزيله القرآن بلسان العرب.

وأنهالأجل التعقُّل، والقرآن جاء بالعقائد والتشريعات والأحكام، فخاطب العقول لإثبات كثير من العقائد، وعلى رأسها إثبات وجوده، ووحدانيته، وروبوبيته، فمن ذلك:

١- قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٥].

٢- قال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[١].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (١٧/٧/ح: ٤٦٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٦/٦/ح: ٢٧٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣).

(٣) بقية النقولات والتفصيل فيها سوف تكون في قاعدة البدعة في المبحث الأول من الفصل الأول بإذن الله.

(٤) سورة الزخرف، الآيات (١-٣).

(٥) سورة النحل، آية (١٧).

٣- قال تعالى عن الحوار الذي دار بين فرعون وموسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

٤- قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥].

٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٦].

٧- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧].

٨- قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٨].

=

(١) سورة الطور، آية (٣٥).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان (٢٣-٢٤).

(٣) سورة الشعراء، آية (٢٨).

(٤) سورة المؤمنون، آية (٩١).

(٥) سورة البقرة، آية (١٦٤).

(٦) سورة آل عمران، الآيتان (١٩٠-١٩١).

(٧) سورة غافر، الآيتان (٦٧-٦٨).

(٨) سورة المؤمنون، آية (٨٠).

٩- قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[١].

١٠- قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٢].

١١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[٣].

١٢- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾[٤].

١٣- قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾[٥].

١٤- قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[٦].

١٥- قال تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٧].

---

(١) سورة الحديد، آية (١٧).

(٢) سورة فصلت، آية (٣٩).

(٣) سورة الحج، آية (٥).

(٤) سورة النحل، آية (٢٠).

(٥) سورة المؤمنون، الآيات (٨٤-٨٩).

(٦) سورة الأنبياء، الآيتان (٦٦-٦٧).

(٧) سورة المائدة، آية (٧٦).

١٦- قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١].

١٧- قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

١٨- قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

١٩- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[٤].

٢٠- قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٥].

هذه الآيات خاطب الله فيها العقول لإثبات وجوده ووحدانيته، ولإثبات ربوبيته في الخلق والتدبير والإحياء والإماتة و والبعث، وكذلك خاطب عقولهم بإثبات ربوبيته من أجل إثبات ألوهيته واستحقاقه للعبادة وحدة لا شريك له، كما أنه خاطب العقول بإثبات توحيد الأسماء والصفات وذلك بصيغة السؤال العقلاني فقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

فمن هذه الآيات يتبين لنا أن العقل من وسائل الإستدلال التي جاءت بها الشريعة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان (٩٨-٩٩).

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان (١٦-١٧).

(٣) سورة يونس، آية (١٠٤).

(٤) سورة الحج، آية (٧٣).

(٥) سورة مريم، آية (٦٥).

والله سبحانه تعالى كما أنه خاطب العقول لإثبات العقائدالصحيحة؛ إذ العقل الصحيح موافق للنقل الصريح، إلا أنه ذكر لنا في القرآن على سبيل الذم نماذج استخدمت الأهواء العقلية في رفض مادل عليه النص، فضلّوا وأضلّوا فكانت عاقبتهم إلى خسران، فمن هذه النماذج مايلي:

١- قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[١].

٢- قال تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾[٢].

٣- قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ٤٥ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾[٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾[٤].

٥- قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[٥].

٦- قال تعالى يصف حال الوليد ابن المغيرة: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان (٨٢-٨٣).

(٢) سورة ق، الآيتان (٢-٣).

(٣) سورة الواقعة، الآيات (٤١-٤٧).

(٤) سورة المؤمنون، الآيات (٣٣-٣٧).

(٥) سورة المؤمنون، آية (٢٤).

عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1].

فتبين من خلال هذين النوعين من الأدلة، أن العقل باعتبار استعماله في القرآن يدور على معنيين:

المعنى الأول: معنى محمود، وهو ماكان العقل فيه يسير مع النص، يؤيده ولا يضاده، فحينذٍ تكون نتيجته إيجابية.

المعنى الثاني: معنى مذموم، وهو إذا كان إعمال العقل في مقابل النص، ومضادته وتَطلُّب عيبه وثلمه، فحينئذٍ تكون نتيجته سلبية.

والأصل في العقل والتعقُّل أنهما صفة مدح، ولذا كثر في القرآن الدعوة إلى استعمال العقل وتجريده للنظر في الأدلة الكونية والشرعية، الدالة على وحدانية الله، وصدق رسله، فالأصل أن العقل محمود ومعتبر، فإن استخدم استخدامًا مذمومًا فحينئذٍ لا اعتبارية له، إذا سُخِّر في غير ما خلق له، والدليل ما جاء في النماذج التي ذكرها الله عن الذين استخدموا العقل استخدامًا مذمومًا، فعارضوا به آيات الله، وضربوا لها الأمثال، وتَطلَّبوا لها المعارضات، فلم يكن له اعتبار عند الله بل قادهم إلى الخسران.

فالعقل في الشريعة مناط التكليف، وهو وسيلة من وسائل الاستدلال، بل هو الوسيلة لفهم الخطاب، ووظيفة العقل فهم النصوص، وتَعقُّلها، وتأملها، والإيمان بها على الوجه المأذون به شرعًا، وأما في الغيبيات، فوظيفة العقل، الإيمان بها والتسليم، وترك الخوض والتعمق فيما لا سبيل إلى معرفة كنهه، ومنهج أهل السنة في تقرير عقائدهم وقواعدهم، يسير علىمنهجية القرآن في التعامل، فلم يعطّلوه، ولم يقدموه، أو يعارضوا به النصوص، بل استخدموه في فهم النص، وفي تقرير العقائد وتقعيدها، فكثيرًا مايستدلون بالعقل، وكثيرًا ما ينصّون على توافق النقل والعقل، فلذلك كانت من قواعد أهل السنة والجماعة المشهورة والمعتبرة «**أنَّ صريح المعقول لا يتعارض مع صحيح المنقول**».

قال ابن تيمية: «فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»[1]، وابن تيمية من أئمة السلف المعتبرين، فمنهجهم في تقعيد القواعد العقدية يسير على هذه القاعدة، فلا يوجد في

---

(١) سورة المدثر، الآيات (١٦-٢٦).

تقريراتهم وقواعدهم مايعطّل العقل، أو يجعله مقدّمًا على النص أو في مقابلته، بل تقريراتهم وقواعدهم يتوافق معها النص الصحيح والعقل الصريح.

قال ابن تيمية رحمه الله في بيان موقف أهل السنة والجماعة من العقل: «العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم، والعمل؛ لكنه ليس مستقلًا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها؛ لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم»[٢].

الأصل الرابع: الفطرة[٣]:

جاء في القرآن والسنة ما يدل على أن الفطرة السليمة، تقود إلى الحق، وإلى موافقة نصوص الوحي في تقرير الاعتقاد:

- **الدليل من القرآن:**

قال تعالى عن ابراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾[٤] إذ أن ابراهيم بفطرته أنكر أن يكون المعبود معدوم الصفات من سمع وبصر

=

(١) مجموع الفتاوى (٦٦٥/٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٩/٣)، وانظر: كتاب منهج الاستدلال للدكتور عثمان علي حسن (١٦٧/١).

(٣)تفصيل الموضوع في الفطرة وعلاقتها بتقرير الاعتقاد، سوف يأتي معنا مفصلًا بإذن الله في دراسة القاعدة الرابعة في مبحث الأسماء والصفات.

(٤) سورة مريم، آية (٤٢).

وغنى، وهذه الفطرة موافقة لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[٢].

- **الدليل من السنة:**

قول الرسول صلى الله عليه وسلم للجارية الصغيرة: (أين الله؟) قالت: في السماء، قال: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة)[٣]، ففطرة هذه الجارية قادتها إلى الإيمان بالله، وبوجوده وعلوه سبحانه، وكذلك قادتها إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الفطرة موافقة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٤].

فهذان أصلان يدلان على أن الفطرة مُعتبرة في الإعتقاد، وأنها- إن بقيت على أصل خلقها ولم تدنس- تقود إلى الحق، وإلى موافقة النصوص، وعدم معارضتها، فلذلك جاءت تقريرات السلف وتقعيداتهم لمسائل الاعتقاد موافقة للفطرة، فليس من تقريراتهم وتقعيداتهم ماتنكره الفطر السليمة، بل اعتبروا الفطرة من وسائل الاستدلال التي يستدلون بها تقرير الإعتقاد وعلى الإستدلال على المخالف، فكثيرًا مايرد الإستدلال بالفطرة في كتب السلف لتقرير مسائل الإعتقاد وكذلك في الرد على المخالفين، ومما يُذكر في هذا الباب: عن أبي جعفر الهمداني[٥] أنه حضر مجلسأبي المعالي الجويني[٦] وكان يُحدِّث فقال: كان الله ولا عرش فقال: يا أستاذ دعنا من

---

(١) سورة الشورى، آية (١١).

(٢) سورة الحديد، آية (٢٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (١/٣٨١/ح: ٥٣٧).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٥) هو الحافظ الرحال، محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهمذاني، أبو جعفر، ولد بعد الأربعين وأربع مائة، وكان كثير الترحال من أجل السماع من الشيوخ، وهو صاحب المحاورة المشهور مع الجويني في إثبات العلو لله، توفي أبو جعفر في نصف ذي القعدة، سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٤٨٠).

(٦) هو أبو المعالي عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، المعروف بإمام الحرمين، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة، وكان من كبار المتكلمين المعتزلة إلا أنه يقال أنه تاب ورجح إلى مذهب السلف في الصفات، وينقل عنه أنه قال: والذي نرتضيه رأيًا، وندين الله به عقدًا اتِّباع سلف الأمة، له تصانيف كثيرة منها: "نهاية المطلب في المذهب"، "والإرشاد في أصول الدين"، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية، توفي في الخامس والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثمان وسبعين وأربع مائة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/١٧).

ذكر العرش. أخبرنا عن هذه الضرورات التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة. فضرب بيده على رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيَّرني الهمداني[١].

فاستدل الهمداني بالفطرة على صفة علو لله، قال ابن تيمية: «فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة»[٣]، وقال في موضع آخر: «الفطرة تعلم الأمر مُجملاً والشريعة تُفصّله وتُبيّنه»[٤].

وقال أيضًا: «والمقصود أن ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق، يصدق بعضه بعضًا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٥].

قال ابن القيم: «فما كان في الفطرة مستحسنًا جاءت الشريعة باستحسانه، فكسته حسنًا إلى حسنه، فصار حسنًا من الجهتين، وما كان في الفطرة مستقبحًا، جاءت الشريعة باستقباحه، فكسته قبحًا إلى قبحه فصار قبيحًا من الجهتين»[٦].

فهذا العرض الموجز من القرآن، والسنة، ومن كلام السلف، يثبت أن منهج السلف في التقرير والتقعيد لمسائل الإعتقاد، اعتبارالفطرة من وسائل الإستدلال المعتبرة في منهجهم، والنص على أن الفطر المستقيمة لا يمكن بوجه من الوجوه أن تخالف النصوص الصحيحة، والعقول الصريحة.

---

(١) انظر: كتاب العلو للذهبي (١/٢٥٩/ح: ٥٨٢).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥).

(٤) المصدر السابق (٤/٤٥).

(٥) المصدر السابق (٦/٥٨٠).

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/٦٦).

رابعًا: منهج الشيخ محمد العثيمين في التقعيد.

تبين في المطلب السابق منهج أهل السنة والجماعة في تقرير وتقعيد القواعد، إذ أن منهجهم قائم على الكتاب والسنة، ويحظى بموافقة العقل والفطرة له، فقواعدهم تسير على طريقتهم فيتقريرهم للمسائل العقدية، إذ أنهم يقدمون النص الصحيح، ويعملون بظاهره الذي هو ظاهره المعروف من لغة العرب، لا الظاهر المخترع، ثم يُعملون العقل بفهمه والاستدلال له، ثم يستدلّون على إقرار الفطرة وموافقتهالمايدل عليه النص، فكل تقريراتهموقواعدهم متوافقة مع ظاهر النص، ومع العقل الصحيح، والفطرة السليمة، والشيخ رحمه الله يسير على هذه المنهجية في التقعيد، فهو رحمه الله يستدل على تقعيداته بظاهر النص، وموافقة العقل وإقرار الفطرة [١] له، وأحيانًا بالحس[٢]:

- نماذج على منهج الشيخ في التعامل مع ظاهر النص وأنموذج على قواعده المقررة لهذا المنهج مع التطبيقات.

قال رحمه الله في تقعيده لأدلة الأسماء والصفات: «القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها.

ودليل ذلك: السمع، والعقل.

أما السمع: فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥]، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

---

(١) الفطرة: هي الجبلّة المتهيّئة لقبول الدين. انظر: معجم التعريفات للجرجاني، ص(١٤١).

وقال ابن تيمية أيضًا في تعريفها: «الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة». انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥).

(٢) الحس هو الإدراك بإحدى الحواس الخمس. انظر: المعجم الوسيط (١/١٧٣).

(٣) سورة الشعراء، الآيات (١٩٣-١٩٥).

(٤) سورة يوسف، آية (٢).

(٥) سورة الزخرف، آية (٣).

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: ﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾[1]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾[2]، الآية.

وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة»[3].

ففي هذا النموذج يتضح لنا منهج الشيخ وموقفه من ظاهر النصوص، كما أنه في هذا النموذج يستدل الشيخ بالعقل على صحة منهجه، فالشيخ كما أنه أقام هذه القاعدة على الدليل النصي، فقد عضدها بالاستدلال العقلي أيضًا، مما يعطي تصورًا واضحًا بأن الاستدلال العقلي من مكونات منهج الشيخ في التقعيد.

ويقول أيضًا في موضع آخر: «وما كان مخالفًا لظاهر النص فإنه يحتاج إلى دليل»[4].

ففي هذا النموذج والنموذج الذي قبله، يتضح منهج الشيخ وموقفه من ظاهر النص، وكذلك يتفرع من منهجه هذا منهجية أخرى متعلقة فيما يتبادر من ظاهر النصوص، فقال رحمه الله في بيان هذا المنهج: «القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلًا يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾[5]. ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية (٧٥).

(٢) سورة النساء، آية (٤٦).

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص(٣٣)، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ص(٦٧).

(٥) سورة الإسراء، آية (٥٨).

(٦) سورة العنكبوت، آية (٣١).

وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١]، لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك. فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به، إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني»[٢].

فالشيخ أجاب على المعارضين لإجراء النصوص على ظاهرها وعلى مايورده بعضهم من شبهات فقال: «والذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسدًا فينكرونه يكون خطؤهم على وجهين:

الأول: أن يفسروا النص بمعنى فاسد لا يدل عليه اللفظ، فينكرونه لذلك ويقولون: إن ظاهره غير مراد.

مثال ذلك: قوله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)[٣].

قالوا: فظاهر الحديث أن الله يمرض، ويجوع، ويعطش وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: لو أعطيتم النص حقه لتبين لكم أن هذا المعنى الفاسد ليس ظاهر اللفظ، لأن سياق الحديث يمنع ذلك فقد جاء مُفسرًا بقول الله تعالى في الحديث نفسه: (أما علمت أن

---

(١) سورة ص، آية (٧٥).

(٢) القواعد المثلى، ص(٣٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض (٤/١٩٩٠/ح: ٢٥٦٩).

عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، واستسقاك عبدي فلان فلم تسقه) وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض، ولم يجع، ولم يعطش، وإنما حصل المرض، والجوع، والعطش من عبد من عباده.

ومثال آخر: قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[١].

قالوا: فظاهر الآية أن السفينة تجري في عين الله، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فنقول: دعواكم أن ظاهر الآية أن السفينة تجري في عين اللهسبحانه مردودة من جهة التركيب اللفظي ومن جهة المعنى أيضا.

أما التركيب اللفظي: فإنه إذا قال القائل: "فلان يسير بعيني" لم يفهم أحد من هذا التركيب أنه يسير داخل عينيه، ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر لفظه لضحك منه السفهاء فضلًا عن العقلاء، وإنما يُفهم منه أن عينيه تصحبه بالنظر والرعاية، لأن الباء هنا للمصاحبة وليست للظرفية.

وأما المعنى: فإن من المعلوم أن نوحًا عليه الصلاة والسلام كان في الأرض، وأنه صنع السفينة في الأرض، وجرت على الماء في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾[٢]، وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[٣].

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن ظاهر اللفظ أن السفينة تجري في عين الله عز وجل، لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالى، ولا يمكن لمن عرف الله، وقدره حق قدره، وعلم أنه مستو على عرشه، بائن من خلقه، ليس حالًا في شيء من مخلوقاته، ولا شيء من مخلوقاته حالا فيه أن يفهم من هذا اللفظ هذا المعنى الفاسد.

---

(١) سورة القمر، آية (١٤).

(٢) سورة هود، آية (٣٨).

(٣) سورة القمر، الآيات (١٠-١٤).

وعلى هذا فمعنى الآية الذي هو ظاهر اللفظ أن السفينة تجري والله تعالى يكلؤها بعينه»[١].

- **نموذج من قواعد الشيخ التي تقرر هذا المنهج:**

«التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله، وما عليه الخلفاء من هدي وسنة»[٢].

«الواجب فيما ورد من أمور الغيب التسليم والإيمان بها وبما يقتضيه ظاهره من المعنى والتصديق دون كيف؟ ولم؟»[٣].

«الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها»[٤].

- **نموذج من تطبيقات الشيخ لهذا المنهج:**

قال الشيخ: «القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل.

والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٥]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٧]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٨]»[٩].

---

(١) تقريب التدمرية (٥٨/١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٣٣/١).

(٣)شرح العقيدة الواسطية (١٣٧/٢)، مجموع فتاوى الشيخ (٣٦/٢)، شرح حديث جبريل (١٧٥/٣)، مطبوع ضمن كتاب فتاوى ورسائل الشيخ.

(٤) القواعد المثلى للشيخ العثيمين (٣٣).

(٥) سورة الشورى، آية (١١).

(٦) سورة النحل، آية (١٧).

(٧) سورة مريم، آية (٦٥).

(٨) سورة الإخلاص، آية (٤).

(٩) القواعد المثلى للشيخ العثيمين(٢٥).

فالشيخ رحمه الله في هذه المسألة طبق منهجه في هذه المسألة وذلك بالتمسك بظاهر النص الذي من الأدلة السمعية، واقتصر على الدليل السمعي لأنه هو موضوع هذا المنهج.

- **نماذج على منهج الشيخ في التعامل مع العقل وموقفه منه، وأنموذج على تقعيداته العقلية وتطبيقاتها:**

قال الشيخ رحمه الله: «فإن الإسلام دين يطابق العقل والفطرة، ويتمشى معهما إلى الغاية النبيلة التي هدى العقلاء إليها، ولذلك لا يمكن أن تجد في الإسلام ما يناقض العقل الصريح، أو الفطرة المستقيمة»[(١)].

وقال رحمه الله: «العقول الصحيحة لا تستحسن الخروج عن شريعة الله لأن لزوم شريعة الله مقتضى العقل الصريح، ولهذا كان الله سبحانه وتعالى ينعي على المكذبين لرسوله عقولهم ويقول: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(٢)]»[(٣)].

فلذلك كثيرًا مايستدل الشيخ رحمه الله بالعقل على تقرير وتقعيد المسائل العقدية، والمتتبع لكتب الشيخ يجد هذا ظاهرًا، فالاستدلال بالعقل بعد النقل من سمات منهج الشيخ الثابتة في التقرير والتقعيد، ومنهج الشيخ رحمه الله في التعامل مع العقل، مأخوذ من منهج السلف، إذ أن الشيخ يقدم النقل، ثم يُعمل العقل في فهمه، ثم يثبت بالاستدلال العقلي توافق العقل مع النقل، فالشيخ رحمه الله يقرر عدم تعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح، ولكنّه أيضًا يعارض تقديم العقل على النقل، قال الشيخ رحمه الله: «إن تعظيم الناس الآن للمعقول ليس كل الناس ولكن كثيرًا منهم يعظمون الدليل العقلي أكثر مما يعظمون الدليل النقلي، أو يرجعون بالأصح إلى الدليل العقلي أكثر، ونحن نعلم علم اليقين أن كل ما جاءت به الشريعة فإنه مبني على العقل لكن أي عقل هو؟ العقل الصريح أي السالم من الشبهات والشهوات وليس العقل المشوب بشبهة أو شهوة، بشبهة التبس عليه الحق أو بشهوة ظهرت له ولكن لا يريده فكل ما جاءت به الشريعة فإنه موافق لصريح المعقول ولا شك ولا يمكن أبدا أن يخالفه»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٥٧١/١٨).

(٢) سورة العنكبوت، آية (٦٣).

(٣) منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، ص(١٩).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٢٣٣/٧).

وقال في موضع آخر: «لكن الإنسان لا ينبغي له أن يحكم العاطفة، بل يجب عليه أن يتبع ما دل عليه الكتاب والسنة وأيَّده العقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات»[١].

- **أنموذج على القواعد التي تقرر هذا المنهج:**

١- «العقل الصريح لا يمكن أن يناقض النقل الصحيح من الكتاب والسنة»[٢].

٢- «النقل أتى بما تحار به فيه العقول لا بما تحيله العقول»[٣].

- **نموذج من تطبيقات الشيخ لهذا المنهج:**

قال الشيخ رحمه الله: «القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل.

والثاني: التكييف.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلًا غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٠٤/١).

(٢) شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ص(٧٢٨).

(٣) شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية للشيخ محمد العثيمين (٤٧٧/٣).

المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تَنقّص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فُعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة»[١].

- **نماذج على منهج الشيخ في التعامل مع الفطرة وموقفه منها، وأنموذج على تقعيداته للفطرة وتطبيقاتها:**

قال الشيخ رحمه الله: «فإن الإسلام دين يطابق العقل والفطرة، ويتمشى معهما إلى الغاية النبيلة التي هدى العقلاء إليها، ولذلك لا يمكن أن تجد في الإسلام ما يناقض العقل الصريح، أو الفطرة المستقيمة»[٢].

قال الشيخ: «فالشرع يأتي مؤيدًا لما شهدت به الفطرة، والعقل، والتجارب وهذه تأتي شاهدة لما جاء به الشرع»[٣].

وقال أيضًا: «فالصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يبحثون في هذه الأمور، لأنهم يتلقون الكتاب والسنة على ظاهرهما وعلى ما تقتضيه الفطرة، والفطرة السليمة سليمة»[٤].

هذه عدة نقولاتللشيخ رحمه الله، يتضح لنا من خلالها موقفه رحمه الله من الفطرة، وهذا الموقف كان له الأثر البالغ والواضح على منهجالشيخ رحمه الله في التقرير والتقعيد، إذ أنتقريراتهوتقعيداته متوافقة مع الفطرة السليمة وقائمة عليها، فكثيرًا ما يستدل الشيخ بالفطرة على تقريراتهوتقعيداته وعلى أجوبته على المخالفين.

---

(١) القواعد المثلى، ص(٢٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ (٥٧١/١٨).

(٣) تقريب التدمرية للشيخ، ص (١٠٤).

(٤) شرح العقيدة الواسطية (٣٥/١).

- **أنموذج على القواعد التي تقرر هذا المنهج:**

« الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفى عن نفسه والسكوت عمّا لم يرد إثباته ولا نفيه»[١].

- **نموذج من تطبيقات الشيخ لهذا المنهج:**

قال الشيخ رحمه الله: «القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة:

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟»[٢].

وقد استدل الشيخ رحمه الله بالفطرة أيضًا على إثبات صفة العلو لله فقال: «أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع:

وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية، فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو، لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة، واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: (سبحان ربي الأعلى) أين تتجه قلوبهم حينذاك؟»[٣].

- **نماذج على منهج الشيخ في التعامل مع الحس، وموقفه منه، وأنموذج على تقعيداته للفطرة وتطبيقاتها:**

قال الشيخ رحمه الله: «والشرع لا يأمر بشيء يخالف الحس والواقع»[٤].

الحس من الأدلة التي يستدل بها الشيخ رحمه الله على تقريراتهوتقعيداته، ويُعتبر منهجًا له، لكن لا يُعتبر من المعالم البارزة في منهجه، بمعنى أنه لا ينتهجه كثيرًا كما هو الحال في السمع

---

(١) شرح الكافية الشافية للشيخ (٤٣١/٣).

(٢) القواعد المثلى، ص(١٨).

(٣) القواعد المثلى، ص(٦١).

(٤) القول المفيد (٢٢٦/٢).

والعقل والفطرة، وذلك؛لأن دليل الحسينطبق على موضوعات وقد لا ينطبق على موضوعات أخرى.

- أنموذج على القواعد التي تقرر هذا المنهج:

١- « كل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة»[١].

٢-«الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات»[٢] وهو مايسمى بالقدر المشترك.

- نموذج من تطبيقات الشيخ لهذا المنهج:

قال الشيخ رحمه الله: «واعلم أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات، كما دل على ذلك السمع، والعقل، والحس:

وأما الحس: فإننا نشاهد للفيل جسمًا وقدمًا وقوة، وللبعوضة جسمًا وقدمًا وقوة، ونعلم الفرق بين جسميهما، وقدميهما، وقوتيهما.

فإذا عُلم أن الاشتراك في الاسم والصفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كون كل منها مُخلوقًا ممكنًا، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجلى، بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع»[٣].

واستدل الشيخ أيضًا رحمه الله بدليل الحس على إبطال قول الجبرية فقال: «القول بالجبر باطل بالكتاب والسنة والعقل والحس وإجماع السلف... وأما دلالة الحس على بطلانه: فإن الإنسان يدرك الفرق بين ما فعله باختياره، كأكله وشربه وقيامه وقعوده، وبين ما فعله بغير اختياره، كارتعاشه من البرد والخوف ونحو ذلك»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ (٢/٤١).

(٢) تقريب التدمرية للشيخ، ص(٢٠).

(٣) المرجع السابق، ص(٢٠).

(٤) القول المفيد (٢/٣٩٨).

الفصل الأول

قواعد في الإيمان بالله

- المبحث الأول: قواعد في توحيد الألوهية.
- المبحث الثاني: قواعد في الأسماء والصفات.

المبحث الأول: قواعد في توحيد الألوهية .

القاعدة الأولى: «أي فعلٍ كان عبادة فصرفه لغير الله شرك»[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرحالقاعدة وأدلتُها:

أ- شرح ألفاظ القاعدة:

«**فعل**»: الفاء والعين واللام أصل صحيح، يدل على إحداث شيء من عمل وغيره[٢].

«**العبادة**»: في لغة العرب تعود إلىأصل واحد، هو الذلة، يقال: طريق معبد: أي مذلل، قد ذللته الأقدام[٣].

والتّعبّد: التّذلّل والخضوع؛فمَن أحببتَه ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له، ومَنخضعتَ له بلامحبّة؛لم تكن عابدًا له؛حتى تكون محبًّا خاضعًا[٤]، والخضوع يستلزم الخوف.

فمعنى العبادة عند العرب يدور على الخضوع والتذلل وعلى الطاعة، لأنه لايوجد خضوع وتذلل إلا مع طاعة.

أما **العبادة في الشرع**؛ فقد عُرّفت بتعاريف أرى أن أجمعها وأحسنها هذا التعريف بأنها: (اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[٥] وقد ورد في كتب العلماء المتقدمين والمتأخرين تعريفات كثيرة لمعنى العبادة[٦]، وإنما اخترتُ هذا التعريف لأنني بعد

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٤٩/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥١١).

(٣) ينظر: الجواب الكافي، لا بن القيم بص(١٨٧).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم(٩٥/١).

(٥) العبودية لابن ابن تيمية (٤٤/١).

(٦) قال الطبري: «معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة»، انظر: تفسير الطبري (٣٦٢/١).

قال ابن كثير في تعريف العبادة: «عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»، انظر: تفسير ابن كثير (١٣٤/١).

=

تأمله وجدتُه شاملًا جامعًا لحقيقة العبادة ومقاصدها، فهو يجمع بين الأقوال والأعمال، حيث أنهما لا ينفكان عن بعضهما، كما هو مُتقرر عند السلف[١] بناءً على مادلت عليه الآيات والأحاديث، وأيضًا هو الذي يتوافق مع المعنى اللغوي ففيه جمع بين الخضوع والطاعة وذلك من قوله: (من الأقوال والأعمال) وهما لا يتحققان إلا بعد طاعة واستجابة ومن أطاع فقد خضع، كما أن هذا التعريف يعتبر جامع لكل ما يتصور من أفراد العبادة فلا يخرج عنه منها شي، وأيضًا المحبة فيه تعتبر شرط في العبادة، فالذي يختلف في المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي، هو أن العبادة في معناها اللغوي قد تفقد للمحبة، لأنه ليس كل من أطاع وذل لأحد، أو لأمر كان ذلك عن حب وطواعية، أما في المعنى الشرعي فلابد أن تتضمن العبادة المحبة، قال ابن تيمية: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له»[٢].

قال الشيخ رحمه الله: «العبادة تطلق على معنيين:

=

قال الشاطبي: «إن معنى العبادات التوجه إلى المعبود بالخضوع والتعظيم بالقلب والجوارح». انظر: الموافقات (٤١٥/١)، وللاستزادة الرجوع لكتاب التعريفات الاعتقادية (٢٣٠).

(١) قال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله، فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمله، لم يقبل منه وكان في الأخرة من الخاسرين». أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٤٣/٦).

وأخرج الخلاّل في السنة أن مالكًا كان يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»، انظر: السنّة للخلاّل (٤٠/٤).

وقال القاسم بن سلاّم: «فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة؟ فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا..».

انظر: كتاب الإيمان للقاسم بن سلاّم، ص(١٩).

(٢) العبوية لابن تيمية (٤٨/١).

أحدهما: التعبد: وهو فعل العابد، فتكون بمعنى التذلل للمعبود حبًا وتعظيمًا. وهذان – أعني الحب والتعظيم – أساس العبادة؛ فبالحب يكون طلب الوصول إلى مرضاة المعبود بفعل ما أمر به، وبالتعظيم يكون الهرب من أسباب غضبه بترك ما نهى عنه.

الثاني: المتعبد به: فتكون اسمًا جامعًا لكل ما يتعبد به لله تعالى كالطهارة، والصلاة، والصدقة، والصوم، والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام... وغير ذلك من أنواع العبادة»[١].

«**فصرفه**»: معنى الصرف في اللغة شيء صرف إلى شيء[٢]، وبمعنىالتقلبوالحيلة[٣]، أي حول وقلب من مكان إلى مكان، ومن جهة لأخرى، ويقال: صرف الحديث: إذا زينه بالزيادة فيه[٤]، وصرف الشيء: أعمله في غير وجهه، كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه[٥].

«**الشرك**» في اللغة الاشتراك في الشيء(وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا: إذا جعلته شريكًا لك[٦].

والشرك في الشرع:

قال ابن تيمية: «فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك»[٧]، وقال ابن القيم: «وكل شرك بالله وإن دق في قول أو عمل أو إرادة بأن يجعل لله عدلا بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد»[٨].

وقال السعدي[٩]: «حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أويُصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية»[١] – ولهذا سمي توحيد الألوهية بتوحيد

---

(١) تقريب التدمرية للشيخ، ص(١٢٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٤٣/٣).

(٣) تهذيب اللغة (١١٤/١٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٤٣/٣):

(٥) المحكم لابن سيده (٣٠٢/٨).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/١).

(٧) مجموع الفتاوى (١٩/١٣).

(٨) إعلام الموقعين (٢٥٢/١).

(٩) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي، وهو من أكابر شيوخ الشيخ رحمهم الله ومن أبرزهم، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة، نشأ الشيخ نشأة حسنة فدخل مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه وهو في الحادية عشرة من عمرة، وبعد حفظه القرآن نظرًا وعن ظهر قلب اشتغل بطلب العلم، =

العبادة، وهذا النوع من التوحيد هو الذي لأجله أرسل الله الرسل، فإن جميع الرسل كانت دعوتهم إلى عبادة الله وحدة لا شريك له.

قال ابن كثير: «جميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[٣]»[٤]، وقد أورد صاحب كتاب التعريفات العقدية مجموعة من التعريفات للشرك[٥].

وهذه التعاريف لا تتعارض فيما بينها، إلا أن هذا التعريف الذي ذكره السعدي رحمه الله هو الراجح في رأيي؛ لأنه يتميز بسهولة عباراته، وشموله لجميع ما يمكن أن يقع من أنواع الشرك وأفراده.

والمقصود بالشرك في هذه القاعدة الشرك الأكبر، لأن العمل الذي يصل إلى درجة الشرك الأكبر هو الذي يُفعل على أنه عبادة، وهذا مايتضح من تعريف السعدي من قوله: «أن يعبد المخلوق كما يعبد الله» أما الذي لميصل إلى مرحلة العبادة من الأعمال الظاهرة والباطنة

=

ولما بلغ من العمر ثلاثًا وعشرين سنة جلس للتدريس، فكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك، وفي الاكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم بتمعن وتفهم، فانتفع بهذه المؤلفات غاية الانتفاع، وفي عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة أصبح رحمه الله على هرم التدريس في القصيم، فأصبح أهل تلك المنطقة يتوافدون عليه للانتفاع من علمه، تلاميذه كُثرُ ولكن من أبرزهم وأشهرهم هو الشيخ محمد العثيمين رحمه الله وهو الذي خَلفه في إمام الجامع بعنيزة، وله عدة مؤلفات كثيرة نافعة من أشهرها: تفسير القرآن الكريم المسمى تيسير الكريم المنان، القواعد الحسان لتفسير القرآن، القول السديد في مقاصد التوحيد، منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، توفي رحمه الله قبل فجر يوم الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ.

انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ(١/٢٥٦).

(١)تفسير السعدي (١/٢٧٩).

(٢) سورة الأنبياء، آية (٢٥).

(٣) سورة النحل، آية (٣٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٠).

(٥) انظر: التعريفات العقدية (٢٠٣).

كالإرادات والأقوال والأفعال فلا يعتبر شركًا أكبر بل أصغر، قال الشيخ: «والشرك الأصغر هو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة[١].

وقال الشيخ السعدي في تعريف الشرك الأصغر: «كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة»[٢].

كما أن الشرك الأكبر هو المقصود الأول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[٣]، فهذه الآية تعتبر أصلًا في باب الشرك الذي ينافي توحيد العبادة، وعند التحقيق والتأمل فإنه يتبين للباحث أن هذه الآية تشمل الشرك بنوعيهما من جهة العموم والتحذير منه، لأن لفظة الشرك تنطبق عليهما أمَّا من جهة الحكم والعقاب، فإنه خاص بالشرك الأكبر، لأنه كما هو مُقرر أن الشرك الأكبر هو الذي يخرج صاحبه من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج صاحبه من الملة، بمعنى أنه من الذنوب التي تحت مشيئة الله إن شاء غفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة، فإذا تقرر هذا في حكم الشرك الأصغر، فهليعتبر الشرك الأصغر داخلًا تحت الشق الأول من الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾أو يعتبر داخلًاتحت الشق الثاني من الآية في قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾؟

الذي يترجح للباحث أنه داخل تحت الشق الثاني من الآية، والشرك الأكبر يكون داخلًا تحت الشق الأول من الآية؛ لأنه يخرج صاحبه من الملة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «قال بعض العلماء: إن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، وإنالمراد بقوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر، فإنه يغفر لأنه لا يخرج من الملة، وكل ذنب لا يخرج من الملة، فإنه تحت المشيئة»[٤].

أما فعل حذيفة رضي اللهوذلك بنزعه سَيْرًا[١] وضعه المريض على عضده، ومن ثم تلاوته لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[٢]،[٣] فهذا ليس فيه دلالة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للشيخ العثيمين، ص(٤٢).

(٢) القول السديد (١/٥٤).

(٣) سورة النساء، آية (٤٨).

(٤) القول المفيد (١/٢٠٧).

واضحة على أن الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾تشمل بالحكم كلا الشركين؛ لأن صنيع حذيفة واستدلاله كان علىالتميمة، وشرك التميمة ليس على مرتبة واحدة، بل يدور بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، فلو قلنا بأن آية الشرك تشمل بالحكم الشرك الأكبر والأصغر لمجرد استدلال حذيفة رضي الله عنه بهذه الآية، للزمنا أن نقول أيضًا أن التميمة حكمها واحد وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفر لصاحبه ولكن الصحيح خلاف ذلك، واستدلال حذيفة رضي الله بهذه الآية لا يعني أنه يريد به الشرك الأكبر الذي لا يغفر لصاحبه، وإنما يحتمل أنه يريد أن يبيّن أن هذا الصنيع يعتبر من الشرك كوصف وكنه، وكذلك للتحذير من الشركأما الحكم فيرجع إلى حسب اعتقاد فاعله.

قال الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾: «والمراد بها المشركون الذين يؤمنون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الألوهية[٤].

وقوله: ﴿وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ الجملة في محل نصب على الحال من أكثر: أي: وهم متلبسون بالشرك، وكلام حذيفة في رجل مسلم لبس خيطًا لتبريد الحمى، أو الشفاء منها، وفيه دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وشرك، ولكن ليس الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر لا يجتمع مع الإيمان، ولكن المراد هنا الشرك الأصغر، وهذا أمر معلوم»[٥].

وأيضًا قال الشيخ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٦]: «قال بعض العلماء: إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر: كالحلف بغير الله، فإن الله لا يغفره، أما بالنسبة لكبائر الذنوب: كالسرقة، والخمر، فإنها تحت المشيئة، فقد يغفرها الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل، اختلف كلامه في هذه المسألة، فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان

=

(١) السير هو الحبل. انظر: غريب الحديث لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٣٥٢/٢).

(٢) سورة يوسف، آية (١٠٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠٨/٧/ح: ١٢٠٤٠)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٤١٨/٤).

(٤) ورجحه ابن جرير في تفسيره (٢٨٦/١٦).

(٥) القول المفيد (١٧٢/١).

(٦) سورة لقمان، آية (١٣).

أصغر[١]، ومرة قال: الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر[٢]. وعلى كل حال، فيجب الحذر من الشرك مطلقًا؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلًا فيه الأصغر؛ لأن قوله: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر، تقديره: إشراكًا به، فهو نكرة في سياق النفي، فتفيد العموم.

قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ المراد بالدون هنا: ما هو أقل من الشرك، وليس ما سوى الشرك»[٣].

والشيخ هنا يحيط بأبعاد المسألة من حيث الاستدلال، ويبين وجه من قال بالعموم، ويشير إلى خطورة الشرك كبيره وصغيره، وما يجب على العبد من الحذر من التلبس بأحدهما؛ لما نُقل من اختيار بعض أهل العلم دخول الأصغر في عموم الشرك الذي لا يغفر إلا بالتوبة، وهو في موضع آخر من تفسيره بعد أن ساق قول ابن تيمية في أن الشرك الذي في الآية الذي لايغفر لصاحبه، عام يدخل فيه حتى الأصغر، قال: «لكن في نفسي من هذا شيء»[٤].

الأدلة على هذه القاعدة:

أولًا: من القرآن.

---

(١)قال ابن تيمية في كتاب الإستغاثة (٣٠١/١): «وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شي لا أكبر ولا أصغر على مقتضى عموم القرآن وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة».

ولكن هذه العبارة من ابن تيمية ليست على سبيل الجزم فلذلك عندما نقارن بين عباراته في أن الشرك الذي لا يغفر هو الشرك الأكبر وبين هذه العبارة نجد عدم الجزم فكأنه رحمه الله قد أوردها من باب التحذير من الشرك الأصغر، أو من باب ذكر أقوال في المسألة، أومن باب الاحتمال، وهكذا، والله أعلم.

أمَّا يتعلق بالشرك الأكبر فسوف أبيّنه في الحاشية التالية.

(٢) بل هناك أكثر من موضع في مجموع الفتاوى لابن تيمية نستدل من خلالها على مذهبه أن الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ما لم يتب منه هو الشرك الأكبر، وهناك مواضع صرح بإطلاق على أن الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، دون أن يحدد هل هو الأكبر أو الأصغر فهذا الإطلاق يدخل الأكبر يقينًا.

انظر: مجموع الفتاوى (٨١/٧)، (٨٢/٧)، (١٤٥/١٧)، (٣١٦/١٠).

(٣) القول المفيد (١١٤/١).

(٤) تفسير سورة النساء للشيخ (١٢٠/١).

الأدلة التي تقرر هذه القاعدة في القرآن كثيرة جدًا؛ لأن هذه القاعدة تقرر التوحيد الذي خلق الله له الخلق، وأرسل له الرسل، وأنزل به الكتب، وهو توحيد العبادة ونفي الشرك.

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

هذه الآية تعتبر أصلًا في توحيد العبادة لما تتضمنه من الأمر والغاية، ففيها الأمر بعبادة الله وفيها توضيح للغاية من خلق العباد، وعَلَّق الشيخ على اللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾وبيّن أن اللام هنا للتعليل، وأن هذا التعليل تعليلًا شرعيًا وليس قدريًا، إذ لو كان قدريًا لعبده الجميع من الجن والإنس[٢].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣].

هذه الآية كما تقدم تعتبر أصلًا في بابالتحذير من الشرك الذي ينافي توحيد العبادة.

٣- قال تعالى: ﴿۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٤] قال الشيخ: «﴿شَيْـًٔا﴾نكرة في سياق النهي، فتعم أن لا تشركوا بالله نبيًا ولا رسولًا ولا ملكًا ولا أي شيء، إذًا النهي عن الشرك يشمل أي نوع من أنواع الشرك»[٥].

فالدليل الأول من هذه الأدلة الثلاثة يعتبر أصلًا في توحيد العبادة، والدليل الثاني يعتبر أصلًا في باب الشرك المنافي لتوحيد العبادة، وفي هذا الدليل ومايليه من الأدلة القرآنية والنبوية، جمع بين لفظ العبادة ولفظ الشرك، مما يدل على أن العبادة لا تصرف إلا لله وحدة فإن صرفت لغيره، فقد وقع هذا المتعبد في الشرك الأكبر.

٤- قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٦].

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) تفسير العثيمين سورة الحجرات-الحديد، ص(١٦٦).

(٣) سورة النساء، آية (٤٨).

(٤) سورة النساء، آية (٣٦).

(٥) تفسير سورة النساء للشيخ (٣٠٤/١).

(٦) سورة الكهف، آية (١١٠).

٥- قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

٦- قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٢].

٧- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣] عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدعاء هو العبادة) ثم قرأ هذه الآية[٤].

ثانيًا: من السنة.

١-عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حقهم عليه؟)، قال: الله ورسوله أعلم، قال: (أن لا يعذبهم)[٥].

٢-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[٦].

٣-عن عبد الله بن مسعود رضي الله قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار)[١].

---

(١) سورة يونس، آية (١٨).

(٢) سورة العنكبوت، آية (٦٥).

(٣) سورة غافر، آية (٦٠).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء (١/٢٤٩/ح: ٧١٤)، والطبري في تفسيره (٢١/٤٠٦).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/١١٤/ح: ٧٣٧٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/٥٩/ح: ٣٠).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٤/٢٢٨٩/ح: ٢٩٨٥).

قال ابن تيمية: «فأما الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله ندًا، أي: مثلًا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه»[٢].

ثالثًا: من أقوال السلف:

هذه القاعدة كما تقدم تندرج تحت توحيد العبادة، والآثار الواردة عن السلف في توحيد العبادة كثيرة ومعلومة، ولكني حرصت على أن اقتصر على الأقوال التي جمعت بين لفظ العبادة ولفظ الشرك، كما جاء في القاعدة.

١- عن عبد الله بن مسعود، قال: النبي صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت أخرى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار) وقلت أنا: «من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة»[٣].

٢- روى ابن حاتم في تفسيره عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، قال: «أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر»[٥].

٣- روى ابن أبي حاتم[٦] في تفسيره عن أبي العالية [١] قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٢] قال: «الإسلام: الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له...»[٣].

=

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ (٦/٢٣/ح: ٤٤٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٩١)، هذا النقل فيه لمحة على أن الشيخ يفرق بين الشرك الأكبر والأصغر فيما يتعلق بدخول الشرك تحت المشيئة، كما تقدم.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ (٦/٢٣/ح: ٤٤٩٧).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٢).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/٦٢).

(٦) هو عبد الرحمن بْن مُحَمَّد بْن إدريس الرازي أَبُو مُحَمَّد الإمام ابْن الإمام الحافظ أَبي حاتم التميمي الحنظلي، صنف تصانيف مشهورة من ضمنها: كتاب المسند، وكتاب الزهد، وصنّف (الجرح والتعديل)، وكتاب الرد على الجهمية في مجلد كبير وله تفسير كبير سائره آثار مسندة، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.
انظر: طبقات الحنابلة (٢/٥٥). الوافي بالوفيات (١٨/١٣٦).

٤- قال ابن تيمية: «والشرك أن تجعل لغيره شركًا أي نصيبًا في عبادتك وتوكلك واستعانتك»[٤] وقال في موضعٍ آخر: «وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئًا فقد وَحَّده ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد...»[٥].

٥- قال ابن كثير في تفسير قوله الله تعالى: «﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٦] وهذا هو الشرك الأعظم الذي يعبد مع الله غيره»[٧].

٦- قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك»[٨].

٧- قال السعدي: «فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أنيصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء»[٩].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

التطبيقات علىالعبادات العملية:

=

(١) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، توفي سنة ٩٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤)، وتهذيب التهذيب (٢٨٥/٣).

(٢) سورة أل عمران، آية (١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦١٨/٦).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧٤/١).

(٥) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية (١٣٨/٣).

(٦) سورة لقمان، آية (١٣).

(٧) تفسير ابن كثير (٤١٨/٤).

(٨) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص(٤٢).

(٩) القول السديد للسعدي (٥٤/١).

- الصلاة: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

التطبيق: أن الصلاة عبادة خالصة لله دون أن يُشرك معه غيره، بدلالة هذه الآية، فصرف هذه العبادة لغير الله يعتبر شركًا بناءً على هذه القاعدة.

- السجود: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢].

التطبيق: أن السجود عبادة لا تصرف إلا للهبدلالة هذه الآية، فصرف السجود لغير الله بناءً على هذه القاعدة يعتبر شركًا..

- الذبح: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣]، والنسك الذبح، كما جاء عند الطبري وغيره[٤].

التطبيق: أن الذبح عبادة خالصة لا تكون إلا لله دون أن يُشرك معه غيره، كما نصت على ذلك الآية، فصرف الذبح لغير الله يعتبر شركًا بناءً على هذه القاعدة.

- الطواف: قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٥].

التطبيق: الطواف من أركان الحج والعمرة فلا يصرف إلا لله، فيطاف حولالبيت لا لذات البيت، وإنما تعبدًا لله الذي أمرنا بأن نعبده بالطواف حول البيت، فصرف الطوافلغير البيت بنية العبادة لغير الله يعتبر شركًا بناءً على هذه القاعدة.

التطبيقات على العبادات القولية:

---

(١) سورة الأنعام، آية (١٦٢-١٦٣).

(٢) سورة فصلت، آية (٣٧).

(٣) سورة الأنعام، آية (١٦٢).

(٤) تفسير الطبري (٨٦/٣)، (٢٨٣/١٢).

(٥) سورة الحج، آية (٢٩).

- الدعاء: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١] عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنالدعاء هو العبادة)[٢].

التطبيق: أن الدعاء عبادة بدلالة هذين الدليلين، فصرف الدعاء لغير اللهبناءً على هذه القاعدة يعتبر شركًا.

التطبيقات على العبادات القلبية:

- التوكل: قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

التطبيق: التوكل عبادة كما هو معلوم من الدين بالضرورة، وبدلالة هذين النصين، فصرف التوكل لغير الله بناءً على هذه القاعدة يعتبر شركًا.

---

(١) سورة غافر، آية (٦٠).

(٢) سبق تخريجه، ص(٥٣).

(٣) سورة هود، آية (١٢٣).

(٤) سورة المائدة، آية (٢٣).

القاعدة الثانية: «العمل لا يكون عبادة حتى يوافق الشرع في أمورٍ ستة: في جنس العمل، وفي قدره، وفي كيفيته، وفي سببه، وفي زمانه، وفي مكانه»[(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها:

العمل لا يكون عبادة مشروعة مقبولة حتى يوافق الشرع في أمور ستة، فإذا فقد العمل أحد هذه الستة الأمور، خرج من كونه عبادة مشروعة إلى البدعة الضلالة.

قال الشيخ: «القاعدة العامة في البدعة هي: **أن يتعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه من عقيدة أو قول أو فعل**»[(٢)]، والقاعدة التي أشرحها قاعدة تتميّز في تحديد المواطن التي تدخل منها البدعة على العامل فيما يتعلق بالعمل.

وخلاصتها أنّ **العبادة المخالفة للشرع بدعة**، ومخالفتها للشرع لا تخرج عن ستة أشياء:

١- مخالفة في العمل نفسه، بأن يحدث العابد عبادة ليس أصلها مشروعًا، كمن يتعبد بالقيام في الشمس، أو ترك الكلام.

٢- مخالفة في قدر العمل، كمن يزيد على عدد المشروع، فيدخل بزيادته في حيز الابتداع، كمن يزيد في الأذان المشروع(حي على خير العمل) مثلًا.

٣- مخالفة في الكيفية: كمن يخترع لصلاة الضحى مثلًا قراءة سور معينة.

٤- مخالفة في سبب العمل: كمن يحمد الله إذا تجشأ، والحمد محمود، ولكن جعل الجشاء سببه هو الذي أخرجه إلى حيز الابتداع.

٥- والمخالفة في الزمان، كمن يخص زمانًا بعمل لم يخصه الشرع به، وإن كان أصله مشروعًا غير مقيد بهذا الزمان، كالذي يخص ليلة سبع وعشرين من رجب بعبادة وقيام.

---

(١) فتاوى نور الدرب للشيخ (٢/٤)، فتاوى في العقيدة للشيخ (١٢١١/٢)، الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ، ص(٢١).

(٢) فتاوى نور على الدرب للشيخ (٢/٤).

٦- والمخالفة في المكان: كالذي يخص مكانًا ما بشيء لم يرد في الشرع، ولو كان صحيحًا في نفسه.

- هذه القاعدة تقوم على أصول، وهذه الأصول تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أصول عامة.

القسم الثاني: أصول خاصة.

- **الأصول العامة تنقسم إلى قسمين:**

- القسم الأول: أصول من القرآن والسنة، و متبوعة بأقوال السلف فيها الأمر والحث على الاتباع، والتحذير من الابتداع، وهذه القسم سوف أقوم بالتطرق له في نهاية هذا المطلب.

- القسم الثاني: ثلاثة أصول متعلقة بصلب القاعدة، فهي وإن كانمضمونها الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، إلا أنها تتميّز بقوة دلالتها على أن الأصل بالعبادة التوقيف وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢].

٣- قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد)[٣]، وفي رواية (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد)[٤].

- الأصول الخاصة هي:

١- سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله. قلت: أرأيتَ إن زُحمت؟ أرأيت إن غُلبت؟ قال: اجعلأرأيتباليمن! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله[٥].

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢)سورة الشورى، آية (٢١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣/١٨٤/ح: ٢٦٩٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود (٩/١٠٧). ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (٣/١٣٤٣/ح: ١٧١٨)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢/١٠٩٣/ح: ٦٣٩٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر (٢/١٥١/ح: ١٦١١).

وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن، وفي طريق أخرى: أنه جاء إلى الحجر الأسود، فقبله، فقال: أما والله إني لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك. ما استلمتك)[١]، وفي رواية: (إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك)[٢].

٢-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا؛ فإني أصلى الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاءرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله؛ إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى؛ فليس منى)[٣].

٣-قال عبد الله: صلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم صلاة الظهر خمسًافلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟وفي رواية: أزيد في الصلاة[٤]؟ وفي أخرى: أقصرت الصلاة أم نسيت؟[٥]، قال: (وما ذاك؟) قالوا: صليت خمسًا، فثنى رجليه واستقبل القبلة، وسجد سجدتين بعد ما سلم، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: (إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، فليتم عليه، ثم يسلم، ثم يسجد سجدتين)[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد، فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وعليك السلام؛ ارجع فصل، فإنك لم تصل)، فرجع فصلى، ثم جاء فسلم، فقال: (وعليك

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الرمل في الحج والعمرة (١٥١/٢/ح: ١٦٠٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ماذكر في الحجر الأسود (١٤٩/٢/ح: ١٥٩٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧/ح: ٥٠٦٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ماجاء في القبلة (٨٩/١/ح: ٤٠٤).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس. (١٤٤/١/ح: ٧١٤).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان (١٣٦/٨/ح: ٦٦٧١).

السلام؛ فارجع فصل، فإنك لم تصل)، فقال في الثانية أو في التي بعدها: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني يا رسول الله! فقال: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع رأسك حتى تستوي قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تستوي و تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا)، وفي رواية: (حتى تستوي قائما)[١]، (ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)[٢].

٤- عن أبي مسعود قال: قال النبيصلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس، ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا)[٣].

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٤]. عن البراء بن عازب قالخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه، وقال: (إن أول نسكنا في يومنا هذا، أن نبدأ بالصلاة، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك فقد وافق سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو شيء عجله لأهله ليس من النسك في شيء) فقام رجل، فقال: يا رسول الله، إني ذبحت وعندي جذعة خير من مسنة؟ قال: (اذبحها، ولا تفي عن أحد بعدك)[٥].

٦- قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾[٦].

قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من رد فقال: عليك السلام (٨/٥٦/ح: ٦٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (١/١٥٢/ح: ٧٥٧).

(٣) أخرجه البخاري، أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس (٢/٣٤/ح: ١٠٤١).

(٤) سورة النساء، آية (١٠٣).

(٥) أخرجه البخاري، أبواب العيدين، باب استقبال الإمام الناس في خطبة العيد (٢/٢١/ح: ٩٧٦).

(٦) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/٨٨٦/ح: ١٢١٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يُسَمَّون الحُمْس وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[١].

وعن عبد الرحمن بن يعمر الديلي[٢] قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة، وأتاه ناس من أهل نجد، فقالوا: يا رسول الله، كيف الحج؟ قال: (الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه. أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه) ثم أردف رجلا خلفه فجعل ينادي بهن[٣].

فهذه تسعة أصول[٤] تقوم عليها هذه القاعدة، وهذه الأصول كما تقدم منها ماهو عام ومنها ماهو خاص.

- الأصول العامة هي أصولتأمر بالاتباع وتحذر من الابتداع، سواء كان الابتداع منهجيًا أو عقديًا أو عمليًا، وهي تمثل القسم الأول من أقسام الأصول العامة، وأما القسم الثاني فهي أصول شاملة لكل المواطن التي يقع فيها الإحداث في العبادة، بمعنى أن دلالتها تقطعبمنع الإحداث في كل مواطن العبادة الستة: جنس العمل، أو مقداره، أو كيفيته، أو سببه، أو

---

(١) سورة البقرة، آية (١٩٩).

أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾(٦/٢٧/ح: ٤٥٢٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ (٢/٨٩٣/ح: ١٢١٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن يعمر الديلي، من أهل مكة شهد حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وسكن الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين، حديث الحج عرفات، وحدث النهى عن الدباء والمزفت. وحديث الحج عرفات لم يروه غيره، ولم يرو عنه غير بكير بن عطاء، توفي رحمه الله بخراسان.

انظر: معجم الصحابة (٤/٤٥٢)، والإصابة (٤/٣٠٨)، إكمال تهذيب الكمال (٨/٢٥٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٨٥٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه، أبواب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (٤/٢١٨/ح: ٣٠١٥)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. انظر: سنن ابن ماجه بتحقيق الأرنؤوط (٤/٢١٨)، حديث رقم (٣٠١٥).

وقال الألباني صحيح، لكن قوله: (ثم أردف رجلًا خلفه فجعل ينادي بهن)، لم يذكرها الألباني في صحيح الجامع. انظر: صحيح الجامع (١/٦٠٦/ح: ٣١٧١).

(٤) تحديدي لها بأنها تسعة أصول؛ لأني قصرتها على أصول القسم الثاني من الأصول العامة، وعلى الأصول الخاصة لأنها هما المتعلقان تعلقًا مباشرًا بصلب القاعدة.

زمانه، أو مكانه، وإن وقع فإن العمل يعتبر غير مقبول ولا مشروع، و مردودًا، وهذه الأصول هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

فهذا الأصل يعتبر أساس هذه الأصول، وأما الأصول الأخرى فهي وإن كانت أصولًا إلا أنهاداعمة لهذا الأصل، وتعمل على الذود عن الغاية التي جاءت فيه، وتنقيته من كل ما يقدح فيه، ففي هذا الأصل تتضح الغاية من خلق الجن والإنس ألا وهي العبادة[٢]، واللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ للتعليل وهذه العلة علة غائية لبيان الغاية والمقصود من هذا الفعل(الخلق) لكن هذه الغاية قد تقع وقد لا تقع[٣].

فهذه الغاية صانها الشارع الحكيم، فمنع الإحداث فيها وجعلها توقيفية على أمر الشارع سبحانه، فلذلك جاءت الأصول التالية للذود عن هذه الغاية فمثلًا:

٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٤].

قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد)[٥] وفي رواية (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد)[٦].

من هذين الأصلين يتبيّن أن الأصل في العبادة التوقيف، فالإنسان لا يتعبَّد الله بمقتضى هواه، بل بدليلٍ يشرّع له هذه العبادة (فالأصل في العبادات أن لايشرع منها إلا ماشرعه الله، وفي العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله)[٧]، فلابدللعبادة من دليل يدل على مشروعيتها، وإلا فهي مردودة؛وتكون بدعة وليس عبادة (والبدع كلها مرودة ليس منها شيء مقبول)[٨].

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) راجع القاعدة السابقة فلقد تم التعريف بالعبادة.

(٣) انظر: القول المفيد اللشيخ (٢٥/١)بتصرف يسير.

(٤) سورة الشورى (٢١).

(٥) سبق تخريجه، ص(٥٩).

(٦) سبق تخريجه، ص(٥٩).

(٧) مختارات من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ، ص(٥٦).

(٨) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (١٤١٩/٣).

والشيخ في هذه القاعدة يؤكّد على أن العمل الذي يُتعبد الله به، لا يكون مشروعًا حتى يوافق الشرع في هذه الأمور الستة: جنس العمل، وقدره، وكيفيته، وسببه، وزمانه، ومكانه، وفي القدر وفي الكيفية وفي السبب وفي الزمان وفي المكان وأنه لابد من توافرها جميعًا في نفس العبادة؛ لأن من شروط قبول العبادة الإخلاص و المتابعة[١]، وهما ركنا العمل المتقبل كما قال ابن كثير رحمه الله[٢] فكل عملٍ مبنيٍ على الإخلاص والمتابعة، فإذا فقد الإخلاص فلا يقبل العمل (إذ أن ترك الإخلاص يبطل العبادة)[٣] وإذا فقدت المتابعة فلا يقبل العمل[٤] والدليل على ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٥]، والعمل الصالح ما كان خالصًا لله ولرسوله تابعًا[٦]، والمتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في هذه الامور الستة.

قال الشيخ: «فإذا اختل واحد من هذه الأمور الستة لم تتحقق المتابعة وصار هذا من البدع»[٧] ؛لأن العبادة توقيفية، وما لم يأذن به الشرع، ولم يدل على مشروعيته دليل، فهو باطل مردود، وتشريعٌ في الدين بما لم يأذن به الله كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[٨]، والتشريع حقٌ لله[٩] دون غيره فلا يُعبد الله إلا بما أذنه من تشريع، «فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله»[١٠].

---

(١) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ، ص(٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٠٥/٥).

(٣) العقيدة في الله للشيخ عمر الأشقر (٢٦٢/١).

(٤) شرح الكافية الشافية للشيخ (١٧٣/٣).

(٥) سورة الكهف، آية (١١٠).

(٦) شرح الكافية الشافية للشيخ (٣٦٨/١).

(٧) فتاوى في العقيدة للشيخ (١٢١١/٢).

(٨) سورة الشورى، آية (٢١).

(٩) عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان، ص(٦٢).

(١٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (٨٤/٢).

هذان الأصلان الأخيران كل واحد منها يكفي بأن يكون دليلاً للقاعدة، وكل واحد منها يكفي بأن يكون دليلًا على بطلان الإحداث في مواطنه الستة مالم يرد دليل على تشريعها.

- الأصول الخاصة: هي أصول تقتصر دلالتها علىبطلان بعض المواطن الستة التي يدخل منها الإحداث دون الأخرى، وكل هذه الأصول الخاصة تدور على:

أ- آية التشريع.

ب- وحديث عائشة.

إذ أنهما يصحبان هذه الأصول في كل المواطن، إذ أن دلالة الأصول الخاصة تفيد إما التشريع أو المنع لهذه المواطن الستة، سواءكانت هذه الإفادة إفادة عامة لكل المواطن، أو أكثر من موطن، أو تكون مقتصرة علىموطن واحد، فمن هذه الأصول الخاصة مايلي:

١- سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله. قلت: أرأيت إن زحمت؟ أرأيت إن غلبت؟ قال: اجعلأرأيتباليمن! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله[١].

وثبت بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن، (وفي طريق أخرى: أنه جاء إلى الحجر الأسود، فقبله، فقال:) أما والله إني لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استلمك. ما استلمتك.وفي رواية: يقبلك ما قبلتك[٢].

فحديث ابن عمر فيه دلالة على مشروعية تقبيل الحجر الأسود، وقول الخليفة عمر يدل على أن جنس العبادة لابد له من دليل على مشروعيته، فإن تقبيل الحجر عمل لا يجوز أن يصدر عن رأي وهوى، بل هو محض الاتباع لصاحب الشريعة، وقد تقرر معنا في الأصول العامة قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[٣]، وهذا استفهام يراد به الإنكار والتوبيخ، وتقدم في حديث أم المؤمنين عائشة أن العبادة توقيفية فلا يحدث فيها شيء إلا بدليل من الشارع، ومن أحدث شيئًا صَغُر أم كَبُر بلا برهان، فهو مردود عليه، والخليفة عمر ربط عبادته بتقبيل الحجر بأنه رأى النبي يفعل هذا الشيء، فلو لم ير النبي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر (٢/١٥١/ح: ١٦١١).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) سورة الشورى، آية (٢١).

يقبّل الحجر ما قبّله، ممايدل على أن جنس العبادة لا بد له من تشريع، فلو أن الطائف بالبيت قبّل المقام تعبدًا بدلًا من الحجر، لحكمنا على عمله بأنه ليس بعبادة وأنه مردود، لأن تقبيل المقام تعبدًا بدلًا من الحجر يعتبر تشريعًا وإحداثًا في جنس العبادة بما لم يأذن به الله، فعمر رضي الله لَمّا رأى النبي قبّل الحجر، قبّله تعبدًا، ولم يقبّل الركن اليماني، أو المقام تعبدًا بل اقتصر على جنس العبادة التي شرّعها النبي بفعله.

ففي هذا الأصل دليل على منع الإحداث في جنس العبادة.

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عباد النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا؛ فإني أصلى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاءرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنتم الذين قلتم: كذا وكذا؟ أما والله؛ إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي؛ فليس منى)[١].

فهذا الأصل قطعي الدلالة على منع الإحداث في مقدار العبادة، كما أن في هذا الحديث دلالة على أن الأصل في العبادة التوقيف، وأنه لا بد من إذن الشارع الحكيم، وأن العبادة مبناها على الاتباع، وهو السير على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، فمن زاد عليها أو نقص تعبداً من دون دليل، فليس من النبي صلى الله عليه وسلم في شيء، فالأولوالثاني كانا يريدان الإحداث في مقدار العبادة، بالزيادة فيها هذا بمواصلة الصلاة الليل كله، والآخر بمواصلة الصيام العام كله، والقيام والصيام مشروعان، ولكن هذه الزيادة فيهما، أخرجتهما إلى حيز البدعة، ومع ذلك نهاهم النبي عن ذلك الإحداث وحذرهم بقوله: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فسمى فعلهما وزيادتهما في أصل مشروع رغبة عن سنته.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

٣- قال عبد الله: صلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم صلاة الظهر خمسًافلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ (وفي رواية: أزيد في الصلاة؟ وفي أخرى: أقصرت الصلاة أم نسيت؟) قال: وما ذاك؟ قالوا: صليت خمسًا، فثنى رجليه واستقبل القبلة، وسجد سجدتين بعد ما سلم، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: (إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، فليتم عليه، ثم يسلم، ثم يسجد سجدتين)[١].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد، فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وعليك السلام؛ ارجع فصل، فإنك لم تصل)، فرجع فصلى، ثم جاء فسلم، فقال: (وعليك السلام؛ فارجع فصل، فإنك لم تصل)، فقال في الثانية أو في التي بعدها: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني يا رسول الله! فقال: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع رأسك حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تستوي و تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا (وفي رواية: حتى تستوي قائمًا)[٢]، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)[٣].

فهذان الأصلان فيهما دليل علىوجوب الاقتصار على ماورد في كيفية العبادة، وعدم جواز الإحداث في كيفيتها إلا بتشريع، والشاهد أن الصحابة استفسروا عن تغيّر كيفية الصلاة بقولهم: (يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟) فلمّا شعروا بالتغيير استفسروا مباشرة عن التشريع والدليل لهذا التغيير، مما يدل على أن الأصل هو التوقف في الكيفية، وعدم مشروعية الإحداث فيها إلا بدليل، ووجه الشاهد منحديث المسيء صلاته أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقرّه على كيفيتها المخالفة لما شُرّع وبُيّن، بل أمره أن يعيدها أكثر من مره حتى يُصلّيها على الكيفية المشروعة.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

٥-عن أبي مسعود قال: قال النبيصلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس، ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا)[١].

ففي هذا الأصل الوارد عنابن مسعودأمر النبي الصحابة إذا شاهدواكسوف القمر أو الشمسأن يقوموا للصلاة، فتشريع النبي وأمره بالقيام للصلاة بسبب الكسوف، دليل على أن سبب العبادة لا بد أن يكون مشروعًا، أمّا إحداث سبب لم يأذن به الشارع، مع كون المقتضي له كان قائمًا في زمن التشريع، فإنه يعتبر مردودًا؛ لأنه إحداث في سبب العبادة بما لم يأذن به الله.

٧-قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٢].

عن البراء بن عازب قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع، فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه، وقال: (إن أول نسكنا في يومنا هذا، أن نبدأ بالصلاة، ثم نرجع، فننحر، فمن فعل ذلك فقد وافق سنتنا، ومن ذبح قبل ذلك، فإنما هو شيء عجله لأهله ليس من النسك في شيء» فقام رجل، فقال: يا رسول الله، إني ذبحت وعندي جذعة خير من مسنة؟ قال: «اذبحها، ولا تفي عن أحد بعدك) [٣] فمن العبادات ماهو مقيّد بزمن، وما كان مقيّدًا بزمن، فإنه يُقتصر على ما وقتّه الشارع بداية ونهاية، وفعل العبادة في زمان غير هذا الزمان المؤقت شرعًا، سواء كان قبلها أو بعدها إحداث وابتداع في الدين، ولهذا قال النبي: (ليس من النسك في شيء)، ففيه دلالة ظاهرة على أن تقديم النسك قبل زمانه الشرعي ملغ له ومبطل.

٦-قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾[٤].

قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾[٥].

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سورة النساء، آية (١٠٣).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) سورة البقرة، آية (١٢٥).

(٥) سبق تخريجه قريبًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحُمْس[١] وكان سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الإسلام أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[٢].

وعن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة، وأتاه ناس من أهل نجد، فقالوا: يا رسول الله، كيف الحج؟ قال: (الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه. أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه) ثم أردف رجلًا خلفه فجعل ينادي بهن[٣].

فالعبادات المقيّدة بمكان، لا يجوز فعلها في غيره من الأمكنة، ومن فعل هذا دخل في حيز الابتداع، وشرع في هذه العبادة ما لم يأذن به الله، فتكون هذه العبادة مردودة بالنص العام كما في آية التشريع وحديث عائشة، ومردودة بهذه النصوص الخاصة التي شَرَّعت أماكن للعبادة، وتقرر معنا أن الأصول الخاصة تفيد أحد شيئين: إما التشريع لبعض هذه المواطن الستة بالنص، أو تفيد المنع بالنص، فالله سبحانه شرع ركتي الطواف وتكون عند المقام، فهذا التحديد بالمكان يفيد أنه مقصود، فمن خالف وصلى عند الحجر الأسود تعبدًا بدلًا من الصلاة عند المقام مع وجود الفرصة وعدم الازدحام، فقد أحدث في العبادة زيادة، بأن اخترع لها مكانًا غير المكان الشرعي، وكذلك في حديث أم المؤمنين عائشة عن صفة الحج وكذلك حديث عبدالرحمن بن يعمر إذ أنه جاء فيهما تحديد مكاني وزماني للوقوف بعرفة، فقول النبي: (الحج عرفة)يدل على أن وقت عبادة الوقوف وزمانها يكون في هذا اليوم وهو التاسع من ذي الحجة، كما يدل على أن مكان الوقوف في الحج هو عرفة، فالإحداث في مكان هذه العبادة وزمانها يجعل العمل مردودًا لأنه إحداث وتشريع في زمان ومكان العبادة بما لم يأذن به الله، كما جاء في النصوص العامة، كما أن هذا التحديد بالمكان والزمان يعتبر مقصودًا، فمن خالفه فقد ألغى مقصود

---

(١) الحُمْس بضم الحاء المهملة وإسكان الميم وبسين مهملة، قال أبو الهيثم: الحمس هم قريش ومن ولدته قريش، وكنانة وجديلة قيس، سموا حمسًا؛ لأنهم تحمسوا في دينهم، أي تشددوا، وقيل: سموا حمسًا بالكعبة؛ لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد.
انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/٤٤٠)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٩٧/٨).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

الشارع، وضاد الله ورسوله، وتقرر معنا أن الأصول الخاصة تفيد إما التشريع لبعض هذه المواطن الستة بالنص أو تفيد المنع بالنص، فلذلك يُقتصر على ماورد فيها جنسًا ومقدارًا وكيفية وسببًا وزمانًا ومكانًا.

فالخلاصة:

أن هذه الأصول الخاصة مدارها على الأصول العامة وخاصة آية التشريع وحديث عائشة، إذ أنهما يفيدان أن الأصل في العبادة التوقيف في كل المواطن الستة، فلا يشرع منها شيء إلا بدليل، أما ماورد في الأصول الخاصة، فهي نماذج على وجوب التقيد بإذن الشارع في جنس العبادة، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها، والنهي عن تشريع شيء بالهوى والرأي، سواء.

- **أصول القسم الثاني من القواعد العامة:**
- **أصول من القرآن الكريم:**

١- قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، فليس ثمة إلا اتّباع أو ابتداع، ومن لم يتبع فسيبتدع حتمًا.

٢- قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢]، قال الشيخ: «محبة العبدِ لله عز وجل لها ميزان، وهو اتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا في العقيدة والقول والعمل»[٣].

٣- قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[٤] قال الشيخ: «لا يمكن أن تتم المتابعة والموافقة للرسول عليه الصلاة والسلام إلا إذا وافق العمل الشرع في السبب، والجنس، والقدر، والكيفية، والزمان، والمكان، فإذا اختل واحد من هذه الأمور الستة لم تتحقق المتابعة»[٥].

---

(١) سورة الأعراف، آية (٣)

(٢) سورة آل عمرآن، آية (٣١).

(٣) شرح الكافية للشيخ (١٧٠/٣).

(٤) سورة الأعراف، آية (١٥٨).

(٥) فتاوى في العقيدة للشيخ (١٢١١/٢).

حيث إن هذه الأمور الستة هي مواطن الإحداث في العبادة، فمن أحدث -في جنس العبادة، أو في سببها، أو قدرها، أو كيفيتها، أو زمانها، أو مكانها- فلا ينطبق عليه وصف الاتباع المذكور في الآية.

٤- قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] فعدم اتّباع الشرع يعني اتّباع الهوى حتمًا.

٥- قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سبيلًا وسنة»[٣].

٦- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٤] وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا، وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خططًا، ثم قال: (هذا صراط ربك مستقيمًا، و هذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)[٥] وجاء عن مجاهد رحمه الله في تفسير هذه الآية قال: «البدع والشبهات والضلالات»[٦].

٧- قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٧]، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن الإحداث في العبادة وأخبرنا أن ذلك سببٌ في ردّها.

٨- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٨] قال الشيخ: «لم يقل الذين اتبعوهم فقط؛ بل قال: ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾

---

(١) سورة الجاثية، آية (١٨).
(٢) سورة المائدة، آية (٤٨).
(٣) شرح اعتقاد أهل والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (١/ص١٢٦/ح: ٦٥).
(٤) سورة الأنعام، آية (١٥٣).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب قراءات النبي (٢/٢٦١/ح: ٢٩٣٨). وقال: حديث صحيح الإسناد.
(٦) تفسير مجاهد، ص(١٤٩).
(٧) سورة الحشر، آية (٧).
(٨) سورة التوبة، آية (١٠٠).

والإحسان هنا الإخلاص والمتابعة وعلى هذا فجميع أهل البدع لم يتبعوهم بإحسانٍ، فقد يحسنون في شيء ولا يحسنون في شيءٍ آخر، لكن لم يتبعوهم بإحسانٍ مطلق»[١].

٩- وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[٢].قال الشيخ: «إذ إن هذا الذي ابتدعه واعتقد أنه دينٌ وليس موجودًا في الشريعة، من لازمه أن الشريعة ناقصة لم تكمل... وقال أيضًا: كأنه يقول بلسان الحال: إن الدين لم يكمل؛ لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلى الله عز وجل»[٣].

١٠- قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[٤]، قال ابن تيمية: «قال الفضيل بن عياض وغيره: أخلصه وأصوبه والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة»، وقال ابن تيمية معلقًا على كلام الفضيل: «وهو كما قالوا فإن هذين الأصلين هما دين الإسلام الذي ارتضاه الله كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[٥]»[٦].

١١- قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٧]، قال الشيخ: «والعمل الصالح ما كان لله خالصًا ولرسوله تابعًا»[٨].

١٢- قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعٗا﴾[٩].

١٣- قال تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[١٠] قال الشيخ: «قوله: ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ هذا الاتباع»[١١].

---

(١) انظر: شرح الكافية للشيخ (٣/٣١٤).
(٢) سورة المائدة، آية (٣).
(٣) شرح الكافية للشيخ (٣/١٧٠)، الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ، ص (١٠).
(٤) سورة الملك، آية (٢).
(٥) سورة النساء، آية (١٢٥).
(٦) النبوات لابن تيمية (١/٤١٥).
(٧) سورة الكهف، آية (١١٠).
(٨) شرح الكافية للشيخ (١/٣٦٨).
(٩) سورة الكهف، الآيتان(١٠٣-١٠٤).
(١٠) سورة البقرة، آية (١١٢).
(١١) شرح الكافية للشيخ (٣/٢٩٥).

- **أصول من السنة النبوية:**

١- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[١].

قال الشيخ: «(كل بدعة) كلية عامة شاملة مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل) والذي نطق بهذه الكلمة صلوات الله عليه وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق لا يتلفَّظ إلا بشيءٍ يقصد معناه..»[٢].

٢- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عنى، فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس (اللهم اشهد، اللهم اشهد)، وقال أيضًا: (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله)[٣]، وفي رواية: (خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي)[٤] وقال أيضًا: (ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا[٥] دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)[٦].

ففي هذه الأحاديث ضمانٌ من النبي صلى الله عليه وسلم بأن الاكتفاء بما في القرآن والسنة من تشريعات، هو المنجي من الضلال، كما أن قوله: (اعتصمتم) فيه إرشاد إلى قوة التمسك والصبر على ذلك والحث على عدم الروغان منهما بإحداث زيادة أو نقص ممايدل على أن في المعتَصم به الكفاية.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٢/ح: ٨٦٧).
(٢) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ، ص(١٣).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/٨٨٦/ح: ١٢١٨).
(٤) أخرجه الدارقطني، كتاب الأقضية والأحكام (٥/٤٤٠/ح: ٤٦٠٦)، قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (١/٦١٥/ح: ٣٢٣٢).
(٥) اختلجوا دوني: أي اقتطعوا أو انتزعوا مني. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/١١٣).
(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب في الحوض (٨/١٢٠/ح: ٦٥٨٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، إثبات حوض نبينا وصفاته(٤/١٨٠٠/ح: ٢٣٠٤).

٣- عن ابن عباس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل[١] نذر أن يقوم، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم ويصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه)[٢].

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام الصوم الذي هو عبادة مشروعة وضعت في محلها، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإن كان عبادة في بعض الأحوال، لكن ليس هذا محلّه، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة»[٣].

- **أقوال السلف:**

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «عليكم بالاستقامة واتّباع الأمراء والأثر وإياكم والتبدّع»[٤].

وقالفي قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٥]، قال: «سبيلًا وسنة»[٦].

٢- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٧]، وقال: «كل بدعة ضلالة)[٨]، وقال: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»[٩]، وقال أيضًا: «إنا نقتدي ولانبتدي، ونتبع ولانبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[١٠]، وقال: «وإياكم والتبدع»[١١].

---

(١) هو قشير أَبُو إسرائيل، الَّذِي نذر أن يقوم فِي الشمس ولا يتكلم. مختلف في اسمه، فقيل: قيس، وقيل: قشير، ولكن ابن عباس نص على قشير عندما روى الحديث.
انظر: معجم الصحابة للبغوي (٥/٨٣/ح: ١٩٩٣)، وأسد الغابة (٤/٣٨٥/ح: ٤٣٠٢)، والإصابة (٥/٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٨/١٤٣/ح: ٦٧٠٤).

(٣) معارج القبول (٣/١٤٢٤).

(٤) أخرجه المروزي في السنة (١/٢٩/ح: ٨٣).

(٥) سورة المائدة، آية (٤٨).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس (١/١٠)، واللاّلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٢٦)، رقم الأثر (٦٥).

(٧) أخرجه المروزي في السنة (١/٢٨/ح: ٧٨)، والآجُرِّيُّ في الشريعة، باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى (١/٤٩٠/ح: ١٥٥).و ابن بطة في الإبانة الكبرى، باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة، (١/٣٢٧/ح: ١٧٤).

(٨) التخريج السابق، وهذه الزيادة عند المروزي (١/٢٨/ح: ٧٨).

(٩) أخرجه اللاّلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١١٤ص١٠٥. رقم الأثر (١٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى، باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (١/٣٥٨/ح: ٢٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٠٧).

(١٠) أخرجه اللاّلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٩٦/ح: ١٠٦).

(١١) أخرجه المروزي في السنة (١/٢٩)، رقم الاثر (٨٥)، واللاّلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩٧/ح: ١٠٨).

٣- وقال حذيفة رضي الله عنه: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا»[١].

٤- وسئل عبد الله بن عمررضي الله عنهما عن رجل نذر أن لا يأتي عليه يوم إلا صام فوافق يوم أضحى، أو فطر فقال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر، ولا يرى صيامهما»[٢].

٥- وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه يومًا: «إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل، والمرأة، والصغير، والكبير، والعبد، والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة»[٣].

٦- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر»[٤].

٧- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: «عليكم بالسبيل والسنة...»[٥].

٨- وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت سنته، وكفوا مئونته، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط، إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها، وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها بإذن الله لك عصمة، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق، والتعمق، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل ما فيه - لو كان - أحرى، فإنهم السابقون، ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت حدث بعدهم حدث، فما أحدثه إلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله (٣/٩٣/ح: ٧٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب من نذر أن يصوم أياما، فوافق النحر أو الفطر (٨/١٤٣/ح: ٦٧٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٧/٢١).والآجُرِّيُّ في الشريعة، باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (١/٤٠٥/ح: ٩٠).

(٤) أخرجه المروزي في السنة (١/٣٢/ح: ١٠٠).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٥٩)، رقم (١٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٥٢).

من خالف سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسن لقد قصر عنهم أقوامفجفوا، وطمح عنهم آخرون، فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[١].

٩- وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رحمه الله: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول»[٢].

وقال أيضًا: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»[٣].

١٠- وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها.

قال: فشيء لم يعلمها هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها.

قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم.

قال: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه، لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل.

فقال الخليفة -وكان حاضرًا-: «لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم»[٤].

١١- قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد قررنا في القواعد في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله فمن دان دينا لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك»[٥].

---

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة، باب سيرة عمر بن عبدالعزيز (٢/٩٣٠/ح: ٥٢٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى، باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة (١/٣٢١/ح: ١٦٤).

(٢) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة، باب ذم الجدال والخصومات في الدين (١/٤٤٥/ح: ١٢٧)، والبيهقي في المدخل للسنن الكبرى، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس في موضع النص (١/١٩٩/ح: ٢٣٣)، وابن عبد البر في الجامع، باب ما جاء في ذم القول في دين الله تعالى بالرأي والظن والقياس على غير أصل (٢/١٠٧١/ح: ٢٠٧٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٧٤/ح: ٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/١٤٣).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (١١/٢٧١/ح: ٥١٤٢)، والشريعة للآجري (١/٥٤٠)ومناقب الإمام أحمد (١/٤٧٥-٤٧٧).

(٥) الاستقامة لابن تيمية (١/٥).

وقال أيضًا: «فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله»[١].

وقال أيضًا: «ثم إن من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا واتِّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتِّباع وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[٢].

قال الشيخ: «الأمور: بمعنى الشؤون والمراد بها أمور الدين أما أمور الدنيا فلا تدخل في الحديث لأن الأصل في أمور الدنيا الحل...لكن أمور الدين الأصل فيها الحظر فما ابتدع منها فهو حرام بدعة إلا بدليل من الكتاب والسنة على مشروعيته»[٣].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

بعد دراسة هذه القاعدة -وهي أن الأصل في العبادات التوقيف وأن جنس العبادة ومقدارها وسببها وكيفيتها ومكانها وزمانها هي مداخل الإحداث الذي يكونسببًا في ردالعبادة وجعلها غير مشروعة، بنص الحديث الوارد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد)[٤]، وفي رواية (من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد)[٥] - نزلف إلى التطبيقات على هذه القاعدة.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٨٤/٢).

(٢) العقيدة الواسطية لابن تيمية، ص (٥٧).

(٣)شرح العقيدة الواسطية للشيخ (٣١٥/٢).

(٤) سبق تخريجه، ص(٥٩).

(٥) سبق تخريجه، ص(٥٩).

أولًا: تطبيقات على الإحداث في جنس العبادة.

من تطبيقات هذه القاعدة ما أخرجه البخاري في صحيحه: أن رجلًا جاءإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، فقال: هل علي غيرها؟ قال: (لا، إلا أن تطوع)[(١)].

فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد أن الصلوات المفروضة هي خمس صلوات فقط، فمن زاد صلاة سادسة واعتبرها مفروضة فإنه يعتبر قد أحدث في جنس العبادة وبناءً على هذه القاعدة فيكون عمله هذا مردودًا.

ثانيًا: تطبيقات على الإحداث في المقدار.

من تطبيقات هذه القاعدة مارويعن ابن عمر رضي الله عنهما:

أنهقال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعًا، ثم صلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٢)] [(٣)].

الشاهد قوله: «فطاف بالبيت سبعًا» فلو أن معتمرًا سعى بين الصفا والمروة ثمانية أشواط تعبدًالقلنا إن الشوط الثامن غير مشروع ولا يقبل منه؛ لأنه إحداث في مقدار العبادة، وزيادة في عددها، لأن المشروع للساعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فمن زاد على ذلك، فقد أحدث في مقدارالعبادة ما ليس منها، فتكون مردودة بناءً على هذه القاعدة.

ثالثًا: تطبيقات على الإحداث في الكيفية.

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما السابق، أن النبي تمتع بالحج إلى العمرة فلما وصل مكة خطب للناس خطبة فيها شرح لأعمال الحج ثم قال ابن عمر شارحًا حجه صلى الله عليه وسلم: «فأتى الصفا، فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف..» فلو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (١/١٨/ح: ٤٦).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٢١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب صلى النبي صلى الله عليه وسلم لسبوعه ركعتين (٢/١٥٤/ح: ١٦٢٣).

أن معتمرًا شرع بالسعي من المروة لكان صنيعه هذاغير مشروع؛ لأن المشروع بداية السعيمن الصفا والانتهاء بالمروة، فمن جعل بداية سعيه المروة ونهايته الصفا تعبدًا لله مع علمه بذلك، فيكون بذلك قد أحدث في كيفية العبادة ما ليس منها، فيكون سعيه مردودًا وغير مشروع بناءً على هذه القاعدة وبنصّ الحديث.

رابعًا: تطبيقات على الإحداث في السبب.

من تطبيقات هذه القاعدة ما أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما، فصلوا، وادعوا حتى يكشف ما بكم)[١].

فصلاة الكسوف لها سبب مشروع لأن الشريعة أمرت وأذنت به، فلو أن مسلمًاكلما أتى التاسع من شهر ربيع الأول قام من الليل يصلي تعبدًا و شكرًا لله على مولد النبي صلى الله عليه وسلم، لكانت صلاته غير مشروعة بل تكون مردودة عليه؛ لأن هذا السبب الذي من أجله قام يصلي لم تأت به الشريعة، فيكون بذلك قد أحدث في سبب العبادة ما ليس منها، مما يجعل عمله هذا مردودًا بناءً على هذه القاعدة.

خامسًا: تطبيقات على الإحداث في الزمان.

من ضمن تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أدّاها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات»[٢].

فلو أنالمزكي أخرج زكاة الفطر في شعبان، لكان عمله غير مشروع، ولا يجزيه لأنه أحدث في زمن العبادة ما ليس منها، فتكون مردودة عليه؛ لأن زكاة الفطر المشروعفيها، والذي جاءت به

---

(١) سبق تخريجه، ص(٦١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب كم يؤدي في صدقة الفطر (٣/٥٤ح: ١٦٠٩)، وابن ماجه في السنن، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر (٣/٣٩)، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (١/٦٦٨/ح: ٣٥٧٠).

الشريعة إخراجها في الأول من شوال قبل صلاة العيد أو تقديمها على العيد بيوم أو يومين[١]، أمّا إخراجها في شعبان فهذا لم تأت به الشريعة.

سادسًا: تطبيقات على الإحداث في المكان.

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «أضللت بعيرًا، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة...»[٢].

وكما جاء أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[٣].

فلو أن حاجًا وقف يوم التاسع من ذي الحجة فيمشعر مزدلفة بدلًا من مشعر عرفات؛ تعبدًا لله مع علمه، لكانت هذه العبادة مردودة عليه، لأنه أحدث في مكان العبادة ما ليس منها؛ لأن المشروع للحاج يوم التاسع هو الوقوف بعرفة وليس بمزدلفة.

---

(١) قال البخاري: كان ابن عمر رضي الله عنهما يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين. أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك (٢/١٣١/ح: ١٥١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة (٢/١٦٢/ح: ١٦٦٤).

(٣) سورة البقرة، آية (١٩٩)، وسبق تخريج الحديث، ص(٦٢).

القاعدة الثالثة: «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا؛ فإنه مشرك شركًا أصغر» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

شرح الألفاظ:

«اعتمد»: الاعتماد هو الاتكاء والتوكل، واعتمدت على الشيء: اتكأت عليه. واعتمدت عليه في كذا: أي اتكلت عليه[٢]، ويقال: اعتمد فلانًا وعليه اتكل[٣].

«السبب» في اللغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره، والجمع أسباب[٤].

وفي الاصطلاح الشرعي:

وهو مايفعله العبد بقدرته واختياره؛ ليتوصل إلى جلب ماينفعه، أو دفع مايضره، والعبد وفعله من خلق الله[٥].

والأسباب قسمان:

الأول: أسباب شرعية: وهي ما شرعها الله وأمر بها، وأحبه ورضيه لعباده.

الثاني: أسباب كونية قدرية: وهي ما عُلم أو جُرب في جلب ما ينفع ودفع ما يضر[٦]، ومنه المحبوب لله، ومنه المكروه المبغوض.

«الشرع»: جمع شريعة وهي: أحكام الإسلام من الأصول والفروع والمقاصد، التي جاء بها رسول الله بشريعته الخاصة شريعة القرآن.

قال ابن تيمية: «كل ماشرعه الله من العقائد والأعمال»[٧].

---

(١) القول المفيد (١/٥٧٧ و٥٧٥).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣/٣٠٣).

(٣) المعجم الوسيط (٢/٢٢٦).

(٤) لسان العرب (١/٤٥٨).

(٥) التعريفات الاعتقادية للشيخ سعد آل عبد اللطيف، ص(٢٥).

(٦) انظر: التعريفات الاعتقادية بتصرف يسير، ص(٢٥).

(٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩/٣٠٦).

وقال ابن الأثير[١]: «الشريعة هو ما شرع الله لعباده من الدين: أي سنه لهم وافترضه عليهم»[٢].

«لا كونًا ولا شرعًا»:

الكوني: ما وقع بقول الله(كن) ولا يشترط أن يكون محبوبًا، فقد يكون محبوبًا، وقد يكون مبغوضًا لله، فهو كالإرادة الكونية، والشرعي: ما أحبه الله ورضيه لعباده.

فذلك كل سبب شرعي يعتبركوني وليس كل سبب كوني يعتبر شرعي، وللشيخ رحمه الله تقسيم فيما يتعلق بالتعلق بالأسباب، فقال:

«القسم الأول: ما ينافي التوحيد في أصله، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادًا كاملًا معرضًا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة، وحكم الفاعل ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾[٣].

القسم الثاني: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبِّب وهو الله تعالى فهذا نوع من الشرك، ولكن لا يخرج من الملة؛ لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبب وهو الله تعالى.

القسم الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقًا مجردًا لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله، فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء قطعه ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله عز وجل، فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلًا ولا كمالًا.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة، ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقًا كاملًا مع الغفلة عن المسبب -وهو الله-

---

(١) هو المباركُ بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بْن عَبْد الواحد الشّيبانيّ، العلامة مجدُ الدّين أبو السعادات ابن الأثير الجَزَرِيّ، ثُمَّ المؤصلي، الكاتب البليغ، مصنّف جامع الأُصول، ومصنّف غريب الحديث، وُلِدَ بجزيرة ابنِ عُمَر في سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائة، عرض لَهُ مرضٌ مزمن أبطل يديه ورِجليه، وعجز عَنِ الكتابة، وأقام بداره، تُوُفِّيَ في آخر يوم من السّنة ٦٠٦ هـ.

انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٤٦/١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٦٠/٢).

(٣) سورة المائدة، آية (٨٢).

فهذا نوع من الشرك، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبب هو الله سبحانه وتعالى، فهذا لا ينافي التوكل، والرسول، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب وهو الله عز وجل»[١].

الخلاصة أنه يمكن أن نقسم الأسباب إلى قسمين:

القسم الأول: أسباب مشروعة: وهي على نوعين:

النوع الأول: الأسباب الشرعية، مثل الأوراد والمعوذات ونحو ذلك.

النوع الثاني: ما يحبه الله من الأسباب الكونية، كالدواء المباح ونحو ذلك.

القسم الثاني: أسباب غير مشروعة: وهي على نوعين.

النوع الأول: الأسباب الكونية المبغوضة من الله، مثل تعاطي المخدرات التي شاء الله أن تكون سببًا في تغييب العقل.

النوع الثاني: الأسباب التي ليست كونية ولا شرعية، مثل التميمة ولبس الحلقة وهي التي يقع فيها الشرك الأصغر لأنه ليس فيها أي سبب بخلاف الأسباب السابقة التي شاء الله فيها السببية، فلذلك تعتبر لا كونية ولا شرعية وهي المقصودة في القاعدة.

«الشرك الأصغر»: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[٢].

إذًا الشرك الأصغر هو الذي لم يصل بصاحبه إلى مرحلة العبادة ولم يخرجه من الملة، أما الذي وصل بصاحبه إلى مرحلة العبادة فيعتبر شركًا أكبر وهو المقصود.

الأول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[٣].

والشرك الأصغر كما في التعريفنوعان ظاهر وخفي، فالظاهر مايتعلق بالأقوال والأعمال، والخفي مايتعلق بالإرادات والنيات قال الشيخ: «الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنًا لخروج الإنسان عن دينه، والشرك الأصغر هو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة»[٤].

---

(١) فتاوى في العقيدة للشيخ، ص(١٩٥).

(٢) القول السديد للسعدي، ص(٥٤).

(٣) سورة النساء، آية (٤٨).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، ص(٤٢).

الأدلة على هذه القاعدة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

نقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس، في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾أنه قال: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولاكلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها "فلان". هذاكله به شرك»[٢].

فهذا تصريح من حبر الأمة وإمام أهل التفسير أن اتخاذ الأسباب الوهمية التي ليست كونية ولم يثبت نفعها وليست أيضًا أسباب شرعية فإنها من الشرك الأصغر كما نصّت على ذلك القاعدة، والشرك الأصغر يقع على الأعمال والأقوال الظاهرة، ويقع على الأعمال القلبية الباطنة، وابن عباس مَثَّل على الأقوال التي يقع فيها الشرك الأصغر، لكن في البداية صَرَّح بأن الأنداد معناها الشرك، بمعنى أن ذكره لهذه الأمثلة كان على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، أي أن التشريك أيضًا مع الله بالأعمال الظاهرة والباطنة يعتبر من اتخاذ الأنداد.

فالخلاصة أن تفسير ابن عباس لهذه الآية يعتبر دليلًا على صحة القاعدة.

وخصوصا الأسباب المنعقدة بالقول، أما الأسباب المنعقدة بالعمل كالتمائم، أو بالقلب كالتطير فإنه أيضًا يدل عليها بالعموم، لعموم تفسيره للأنداد بالشرك.

---

(١) سورة البقرة (٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٩٦).

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١].

قال ابن كثير في تفسيره: «وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالبًا فاعله، كما روى حماد بن سلمة[٢]، عن عاصم بن أبي النجود[٣]، عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى في عضده سيرًا فقطعه -أوانتزعه-ثم قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾»[٤].

فهذا التصرف من الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وتلاوته للآية، يدل دلالة واضحة على أن التمائم من الشرك، كما يدل على صحة القاعدة التي قعّدها الشيخ؛ لأن التمائم التي تتخذ لرفع البلاء، إما أن تكون شركًا أكبر، وذلكإذا اعتقد فاعلها نفعها بذاتها، أو أصغر إذا اعتقد أنها سبب فقط، فالشاهد هنا اتخاذها سببًا، وهذا السبب ليس سببًا كونيًا بمعنى أنه لم يثبت له نفع، ولا سببًا شرعيًا بدلالة فعل حذيفة، فالخلاصة أن هذا الدليل الذي فسره ابن كثير بأنه شرك خفي واستدل عليه بفعل حذيفة، يدل على صحة القاعدة وخصوصًا الأسباب العملية التي هي أحد المواطن التي يقع بسببها الشرك الأصغر.

الأدلة من السنة:

١- عن أبي مالك الأشعري[٥] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة..)[٦].

---

(١) سورة يوسف (١٠٦).

(٢) حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري، كان مولده في حياة أنس بن مالك، وقد سمع: من ابن أبي مليكة وهو أكبر شيخ له وأنس بن سيرين، وغيرهما كثير، كان بحًرا من بحور العلم، وإمامًا في الحديث، ورأسًا في السنة، ومحاربًا للبدعة، إلا أن البخاري حايد عنه ولم يخرج عنه إلا حديثًا واحدًا في الرقائق، كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد، توفي في ذي الحجة، سنة سبع وستين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٦/٧).

(٣) عاصم بن أبي النجود بهدلة، الإمام أبو بكر الأسدي القارئ الكوفي، وبهدلة أبوه وقيل أمه، تصدر للإقراء بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن، وكان صالحًا مؤدبًا فصيحًا حسن الصوت، في القراءة ثبت إمام، وأما في الحديث فحسن الحديث، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل: توفي في آخر سنة سبع وعشرين. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٣٥/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤١٨/٤).

(٥) قيل: اسمه الحارث بن الحارث، وقيل: عبيد، وقيل: عبيد الله، وقيل: عمرو، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: كعب بن كعب، وقيل: عامر بن الحارث بن هاني بن كلثوم، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، تُوُفِّيَ في خلافة عُمَر سنة ١٨هـ. انظر: التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل لابن كثير (٤٠٨/٣). تاريخ الإسلام للذهبي (١٠٤/٢).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (٦٤٤/٢/ح: ٩٣٤).

الاستسقاء بالنجوم كما جاء في فتح المجيد: (أي نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم)[١].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئتَ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أجعلتني واللهَ عَدْلًا؟! بل ما شاء الله وحدَه)[٢].

ففي هذا الحديث أيضًا دلالة على صحة القاعدة التي قعّدها الشيخ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلمنهى الرجل أن ينسب للرسول مشيئة تكون سببًا مؤثرًا مع مشيئة الله، حيث إن هذا السبب لم يثبت للرسول لا كونًا ولا شرعًا بل هو من خصائص ربوبية الله، والقاعدة نصت على: «كل إنسان اعتمد على سببلم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر» أما كونه شركًا أصغر، فقد تقدم إثبات ذلك والتفصيل فيه، وذلك بالتعليقعلى تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، كما تقدم.

٣- جاء في المسند عن زينب[٤] امرأة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهية أن يَهجم منّا علي شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترْقِيني من الحُمْرة [٥]، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلي جنبي، فرأى في عنقي خيطًا!، قال: ما هذا الخيط؟، قالت: قلت: خيط أُرْقي لي فيه!، قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الَشّرك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلة[٦] شرك)، قالت: فقلت له: لمَ

---

(١) فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن، باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (٣٢٣/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٣/٢/ح: ١٨٣٨)، قال الألباني: إسناده حسن. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٦/١/ح: ١٣٩).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٢).

(٤) هي زَيْنب بنت مُعاوية، وقيل: بنت أبي معاوية، وقيل: بنت عبد الله بن مُعاوية بن عَتَّاب بن الأَسْعد بن غاضِرة بن حُطيط بن قسي، الثَّقفية، امرأة عبد الله بن مسعود، لها صحبة، روت عن: النبي صلى الله عليه وسلم، وعن زوجها عبد الله، وعمر بن الخطاب.

انظر: التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل (٢٤٩/٤).

(٥) جاء في لسان العرب: «الحمرة: داء يعتري الناس فيحمر موضعها، وتغالب بالرقية. قال الأزهري: الحمرة من جنس الطواعين». انظر: لسان العرب (٢١١/٤).

(٦) سيأتي شرحهن بإذن الله في المتن، ص(٩٠).

تقِولُ هذا، وقد كانت عيني تقْذف، فكنت أختلفُ إلى فلان اليهودي يرْقيها، وكان إذا رقاها سكنتْ؟، قال: إنما ذلك عملُ الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيتِها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أذهب البأس رب الناس، اشْف أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادرَ سقَما)[١].

(الرقى) جمع رقية وهي مايُقرأ على المريض والمصاب، قال ابن الأثير «الرقية: هي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات»[٢].

وهذا الحديث دلالته صريحة على مضمون القاعدة؛ لأن هذه الأشياء التي اتخذت وسائل للشفاء، ليست أسبابًا لا كونية ولا شرعية، والدليل على ذلك أن النبي في الحديث جعلها من الشرك، وظاهر الحديث أن الرقى كلها من الشرك؛ للعموم الظاهر في الحديث، وهذا الشرك يدور بين الأكبر والأصغر على حسب اعتقاد صاحبه كما تقدم، فظاهر الحديث يدل على أن الرقى كلها من الشرك، ولكن جاء ما يخصص من هذا العموم، أو يدل على أنه عموم يراد به الخصوص، فالصحيح أن الرقية المقصودة في الحديث هيالرقية التي تحتوي على الشرك من استغاثة بغير الله ونحوه، أو التييعتقد فيها أنها تنفع بذاتها.

أما الرقية الشرعية التي هي من القرآن والأدعية المأثورة، فلا تدخل في الرقى المحرمة التي حكم عليها رسول الله بأنها من الشرك؛ لأنه ورد أن الرسول شَرَّعها وأقرَّها.

فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة؛ جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[٤]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٥]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/٥١٣/ح: ٣٦١٥)، قال أحمد شاكر (حديث حسن). انظر: مسند أحمد تحقيق شاكر (٣/٥١٣/ح: ٣٦١٥)، وقال الألباني: فإن للحديث طريقًا أخرى يتقوى بها. انظر: السلسلة الصحيحة (١/٦٤٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٢٥٤).

(٣) سورة الإخلاص، آية (١).

(٤) سورة الفلق، آية (١).

(٥) سورة الناس، آية (١).

بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[١] ، وفي رواية: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك[٢].

أما الإقرار فقدجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بماء فيهم لديغ، أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلًا لديغًا، أو سليمًا، فانطلق رجل منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء، فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله: أخذ على كتاب الله أجرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله)[٣].

فتبين لنا من هذين الحديثين أن الرقية الشرعية من الأسباب الشرعية، فلا تدخل إذًا في هذا الحديث ولا في مضمون القاعدة، قال ابن حجر في الفتح: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى»[٤].

أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ولا يسترقون)[٥] في الحديث المشهور عن أهل الجنة الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقد أجاب عنها الشيخ رحمه الله.

فقال: «الإنسان إذا أتاه من يرقيه ولم يمنعه: فإنه لا ينافي قوله: (ولا يسترقون)؛ لأن هناك ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن يطلب من يرقيه، وهذا قد فاته الكمال.

المرتبة الثانية: أن لا يمنع من يرقيه، وهذا لم يفته الكمال؛لأنه لم يسترق ولم يطلب.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (٦/١٩٠/ح: ٥٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية (٧/١٣٣/ح: ٥٧٤٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية (٧/١٣١/ح: ٥٧٣٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/١٩٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٨/١١٢/ح: ٦٥٤١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/١٩٨/ح: ٢١٨).

المرتبة الثالثة: أن يمنع من يرقيه، وهذا خلاف السنة ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع عائشة أن ترقيه، وكذلك الصحابة لم يمنعوا أحدا أن يرقيهم؛ لأن هذا لا يؤثر في التوكل»[١].

و(التمائم) (شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين)[٢] فيقال: إن التمائمجمع تميمة وهي قلائد وخرق وتعليقات وأساور تلبس[٣]، أو توضع لدفع البلاء ورفعه سواءً على الأطفال أو الكبار، والذي يترجح لي أنها غير محصور على البدن، ولذلك قلت (توضع)، فكل شيء يُلبس أو يُوضع بحيث يأتي علىحقيقة هذا المعنىفهي تميمة، والتميمة شرك كما هو نص الحديث، وهذا الشرك إما شرك أكبر أو أصغر على حسب اعتقاد صاحبها، فواضع التميمة أو لابسها لرفع البلاء أو دفعه فإن كان اعتقاده أنها تدفع عنه البلاء أو ترفعه بذاتهافهو شرك أكبر؛ لأنه قدحٌ في خصائص الربوبية، وإن كانت تُتخذ كسبب فتعتبر شركًا أصغر؛ لأنه سبب لم تثبت سببيته لا كونًا ولا شرعًا بدلالة أن النبي حكم عليها هنا بالشرك، هذا إذا كانت التميمة بشيء غير القرآن، أما التمائم التي فيها آيات فهذا قد وقع الخلاف المعتبر فيها بين السلف، والأرجح عند الباحث المنع لسبب شرعي وعقلي وحسي، أما الشرعي فقد ورد النهي على سبيل العموم عن تعليق التمائم كما مر معنا، بمعنى أن أي شيء يوضع على أنه تميمة فهو داخل في هذه الحديث دون النظر إلى محتواها؛ لأن الهدف والمقصود منها مخالف للتوحيد، وقد يفضي مع الأمد إلى تعليق الحرام، أما العقلي فإنه كما هو معلوم ومقرر أن الرقية الشرعية لا يجوز أن يُعتقد فيها أنها تنفع بذاتها وهي متضمنة لقرآن وأذكار تتلى، فكيف بورقة صامتة لم تُقرأ، ومعلوم أن القرآن شفاء بتلاوته بيقين كما مر معنا في أحاديث الرقية، ومنها طريقة قراءة النبي للمعوذات، فإذا كان اعتقاد نفع الرقية المتلوة بذاتها يعتبر محرمًا، فمن باب قياس الأولى تحريم تعليق التمائم التي من القرآن وذلك باتخاذها أسبابًا والله اعلم، أما الحسي فلم يثبت في الحس – حسب علمي-.

---

(١) القول المفيد (١/١١١).

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص (٣١)، بتصرف يسير.

(٣) انظر: لسان العرب (١٢/٦٩).

شفاء مريض بهذا، وهناك مسألة ترد حول من يلبس أو يضع شيئًا يشابه التمائم، كمن يلبس الأساور والقلائد ونحوهما لكنه لم يلبسها كتميمة ولم يقصدها لا من بعيد ولا من قريب، فهل صنيعه هذا يسمى تميمة وهل يدخل في حكمها؟

الذي يترجح لي أنه لا يسمى تميمة ولا يدخل في حكمها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنياتوإنما لكل امرئ ما نوى)[١] وهذا لم ينوِ التميمة ولا يريدها، وأيضًا لفظة التميمة لفظة شرعية مقصودة لذاتها، فلها حقيقة، ومعنى، ومقصود، كما جاء في الحديث -فلا يُتجاوز لغيرها ويُحكم عليها بما يُحكم على التميمة -فحقيقتها أن تكون شيئًا محسوسًا، وأما معناها أي أن ما يلبس وما يوضع على البدن أو غيره، وأما مقصودها أي أن تكون لرفع البلاء أو دفعه أما بذاتها أو بسببها.

فالخلاصة أن التميمة هي مايُلبس أو يُوضع على البدن أو غيره، لرفع البلاء أو دفعه، وهي شرك بنص الحديث، وهذا الشرك يكون أكبر، ويكون أصغر على حسب اعتقاد صاحبها، فهي ليست سببًا لا كونيًا ولا شرعيًا، لأن النبي حكم عليها بالشرك، فاعتقاد أنها سبب يعتبر شركًا أصغر كما هو نص القاعدة.

(التولة) التِّولة - بكسر التاء وفتح الواو- ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، جعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى[٢].

قال الشيخ في الحكم على التولة: «وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة. ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج»[٣].

ومقصود الشيخ إذا كانت الدبلة تستخدم لنفس غرض استخدام التولة، فتتخذ سببًا لجلب المحبة بينهما والمودة والاستمرارية.

فالخلاصة: أن هذا الحديث فيه دليل على صحة القاعدة بالنص الصريح؛لأن الرقى-على المعنى المنهي عنه كما تقدم- والتمائم والتولة جميعهن أسباب ثبت أنها غير كونية ولا شرعية

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (١/٦/ح: ١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٠٠).

(٣) القول المفيد (١/١٨١).

فُحكم عليهن بالشرك، وهذا الحديثيشتمل على الأسباب القولية كالرقى، والعملية كالتمائم والتولة.

٤- عن عبد الله ابن مسعودرضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطِيَرَة شِرْك، وما منّا إلاَّ، ولكن الله يُذهبه بالتوكل)[١].

٥- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك). قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك؟، قال: (أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)[٢].

هذان الحديثان واضحا الدلالة على مضمون القاعدة، قال الشيخ في تعريف الطيرة والتطير: «وأصله: التشاؤم بالطير، ولكنه أعم من ذلك؛ فهو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو زمان، أو مكان»[٣].

قال النووي رحمه الله: «والتطير التشاءم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبرّكوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإنأخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم..»[٤].

ويتبين من كلام النووي رحمه الله أن التطير ليس مقصورًا على الإحجام فقط عند رؤية ما يكرهه المتطير من الطيور ونحوها؛ اعتقادًا منه أن لها تأثيرًا على وقوع الشر، بل يشمل حتى الإقدام عند رؤية ما يسر من الطيور ونحوها، إذا اعتقد أن لها تأثيرًا بالخير، بمعنى أنه حتى إذا رأى طيرًا جميلًا واعتقد بسببه قدوم خير، فإنه يعتبر متطيرًا أيضًا وليس فقط التطير مقصورًا على الشر و على الإحجام، حتى وإن لم يُسم تطيرًا اسمًا فإنه يعتبر تطير حكمًا، كما أن مصطلح التطير نسبة للطير لكن الطيرة وحكمها غير محصور عليه بل كل ما يسبب تشاؤمً من مرئي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٥٤٦/ح: ٣٦٨٧)، و ابن ماجه، أبواب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٤/٥٦١/ح: ٣٥٣٩).وصححه الألباني. السلسلة الصحيحة (١/٧٩٢/ح: ٤٣٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/٤٧٢/ح: ٧٠٤٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لذات الكتاب (٦/٤٧١/ح: ٧٠٤٥).

(٣) القول المفيد (١/١٠٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤/٢١٨).

ومسموع أو مكان أو زمانكما تقدم فإنه يعتبر من الطيرة، وبما أن النبي حكم عليها بالشرك، فهي إذًاليست من الأسباب الكونية ولا الشرعية، فمن اتخذها سببًا فقد وقد في الشرك الأصغر كما هو نص القاعدة.

أقوال السلف:

١- تقدم في الأدلة قول الصحابي عبدالله بن عباس والصحابيعبدالله بن مسعودوالصحابي حذيفة رضي الله عنهم، وأقوالهم تدل على صحة القاعدة.

٢- عن أبي خراش الهذلي[١] ، سمع فضالة بن عبيد[٢] رضي الله عنهيقول: «من ردته الطيرة فقد قارف الشرك»[٣].

٣- قال ابن تيمية: «فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره - وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه...»[٤]، جاءت هذه العبارة من ابن تيمية في ثنايا حديثه عن الأسباب في الأعمال الدينية حيث تكلم عن الأسباب في ثلاثة أمور ومن ضمن هذه الأمور تكلم عن الأسباب في الأعمال الدينية.

٤- قال السعدي رحمه الله بعد أنفصّلفي الأسباب: «فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما، قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر، وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعَلَّق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببا

---

(١) اسمه خويلد بْن مرة القردى. من بنى قرد ابن عَمْرو بْن معاوية، مات فِي زمن عُمَر بْن الْخَطَّابِ من نهش حية سنة ١٥هـ، وله فِي ذلك خبر عجيب، وَكَانَ ممن يعدو عَلَى قدميه فيسبق الخيل، وَكَانَ فِي الجاهلية من فتاك العرب، ثم أسلم فحسن إسلامه. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٣٦/٤).

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن الأصرم الأنصاري الأوسي، أبو محمد، صحابي، ممن بايع تحت الشجرة، أسلم قديمًا، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا فما بعدها، وشهد فتح مصر والشام قبلها، ثم سكن الشام، مات في خلافة معاوية سنة ٥٣هـ، وكان معاوية ممن حمل سريره. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢٨٣/٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٥٦/١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣٧/١).

شرعيًا ولا قدريًا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر، أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة، وأما القَدَر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة»[١].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

تطبيقات القاعدة سوف تكون على مواطن الشرك الأصغر الثلاثة:

وهي الأقوال والأعمال والإرادات.

- **التطبيقات على الأقوال:**

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئتَ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أجعلتني والله عَدْلًا؟! بل ما شاء الله وحدَه)[٢].وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلمنهى الرجل أن يَنسب له مشيئة تكون سببًا مع مشيئة الله، حيث إن هذا السبب لم يثبت للرسول لا كونًا ولا شرعًا بل هو من خصائص ربوبية الله، والقاعدة نصت على: «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر» فعندما نطبق القاعدة على هذا النهي الوارد في النص، نجد أن القاعدة تحتوي على العلة التي من أجلها أنكر الرسول على هذا الرجل، فهي إذًا قاعدة منضبطة تنطبق على كل الأسباب، ومن ضمن هذه التطبيقات قول الشاعر البوصيري[٣] في قصيدته البردة مادحًا رسول الله:

يا أكــرمَ الخلْــقِ مــالي مَــن ألــوذُ بــه سـواك عنـد حـدوثِ الحـادثِ العَمـم[٤]

---

(١) القول السديد (٤٣).

(٢) سبق تخريجه، ص(٨٦).

(٣) محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن ملال الصنهاجي؛ كان أحد أبويه من أبو صير والآخر من دلاص، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري، ولد سنة ٦٠٨هـ، وهو شاعر وله ديوان شعري وأشهر شعره البردة والهمزية، توفي سنة ٦٩٦ هـ بالإسكندرية.

انظر: فوات الوفيات لمحمد شاكر (٣٦٢/٣).

(٤) انظر: البردة للبوصيري شرح إبراهيم الباجوري، ضبط وتعليق عبدالرحمن حسن محمود، رقم البيت (١٥٤).

الشاعر رحمه الله هنا نسب سببًا لرسول اللهصلى الله عليه وسلم، وهو أنه عند وقوع الحوادث و المصائب، فالرسول سبب في وزالها عن الخلق، وعندما نطبق القاعدة على هذه البيت نجد أن هذا البيت فيه شرك أصغر، لأنه اعتمد على سبب في زوال المصائب والحوادث، وهذا السبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونيًا ولا شرعيًا والقاعدة نصّت على أن:

«كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر».

- **التطبيقات على الأفعال:**

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كما مر معنا أنه سمع رسول الله يقول: (إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شرك)[١] فتعليق التمائم يعتبر من تطبيقات هذه القاعدة، فمثلًا مانشاهده من بعضالرجال حينما يلبس مايشبهالسوارة على اليد أو على العنق، بقصد دفع العين أو الحسد أو جلب السعاد والاطمئنان، فهنا اتخذ سببًا لم تثبت سببيته لا شرعًا ولا قدرًا فعندما نطبق القاعدة على هذه الأمثلة نجد أنها سبب في الوقوع في الشرك الأصغر لأنه تقرر أن «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر».

أما السوارة التي تلبس على اليد بهدف قياس الدهون فهذه إن ثبت أنها مقياس فعلًا، فإنها تعتبر سببًا كونيًا ثبت بالتجربة، فلذلك لا تنطبق عليها القاعدة لثبوت سببيتها الكونية، وكذلك التداوي بالأدوية الطبية والشعبية التي ثبت نفعها، فإن القاعدة لا تنطبق على مستخدمها لأنها أسباب كونية.

- **الطبيقات على الأعمال القلبية:**

من تطبيقات هذه القاعدة ماجاء عن عبد الله بن عمرو كما مر معنا، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك)[٢].

فالقاعدة هنا تنطبق على التشاؤم والتطير حيث أن حقيقتها تكمن في القلب.

---

(١) سبق تخريجه، ص(٨٦).

(٢) سبق تخريجه، ص(٩١).

حيث إنه يقع في قلب الإنسانتطير أو تشاؤم من أمرٍ معين، فيقدم أو يحجم بحسب مايقرره عليه قلبه، فمثلًا رجلًا عزم على أن يسافر فلما استعد وخرج رأى غرابًا على سيارته وكان غرابًا مريضًا، أو رأى رجلًا سيئ الخلق، أو تعثر عند عتبة الباب، أو لما تحرك من بيته وقبل أن يخرج من البلد صورته كاميرات ساهر؛ لمخالفته بعض الأنظمة، فوقع في قلبه شؤم من هذا السفر؛ بسبب أحد هذه الأمثلة، وقام بإلغاء هذا السفر اعتقادًا منه أن لها تأثيرًا على وقوع الشر له في هذا السفر، أو العكس تمامًا فمثلًا لم يكن يريد السفر إلا بعد شهر فلما رأى طيرًا جميلًا على سيارته، وقع في قلبه حصول الخير والسلامة له في هذا اليوم، وعقد السفر ليس تفاؤلًا وإنما اعتقادًا بتأثير ما رأعلى وقوع الخير، فهنا علّق حصول الخير له في هذا السفر، أو وقوع الشر عليه بسببٍ لم يثبت كونه سببًا لا كونًا ولا شرعًا، فحينها يكون قد وقع في الشرك الأصغر؛ لأن «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر».

والفرق بين التطير والتشاؤم وبين الفأل يكمن فياعتقاد وجود التأثير من عدمه، وفي حسن الظن بالله، فالمتطيريقع في قلبه أن وجود هذا الطير المريض على سيارته مثلًا سبب في وقوع الشر له، وعدم حصول الأمن والسلامة؛ مما يجعله يعزم على إلغاءالسفر، بينما أهل التفاؤل لا يعتقدون وجود تأثير لهذا الطير أبدًا، لا من بعيد ولا من قريب، وإنما هم دائماً يحسنون الظن بالله، ويتعلقون به ويتفاءلون بوجود الخير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل)، قالوا: وما الفأل؟ قال: (كلمة طيبة)[1].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لاعدوى (١٣٩/٧/ح: ٥٧٧٦).

القاعدة الرابعة: «الوسيلة لا بد أن تكون صحيحة في إيصالها إلى المقصود»[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

شرح الألفاظ:

«الوسيلة»: الوسيلة كما في لسان العرب تطلقعلىمعانٍ متقاربة وهي في الأصل: كل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وتطلق تارة ويراد بها المنزلة عند الملك، وتطلق تارة ويراد بها الدرجة، كما تطلق على القربة، فيقال: وسل فلان إلى الله وسيلة، إذا عمل عملًا تقرب به إليه، ويقال: توسل إليه بوسيلة، إذا تقرب إليه بعمل[٢].

قال الشيخ: «التوسل: مصدر توسل يتوسل؛ أي اتخذ وسيلة توصله إلى مقصوده، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة»[٣].

الوسيلة في الشرع لهامعنيان: عام وخاص[٤]:

- **المعنى العام**: هو التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وطلب مرضاته، والبعد عماهو سبب في غضب الله ومقته، وذلك بطاعة الله ورسوله.

قال ابن تيمية: «والوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه، هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله»[٥].

قال الشيخ في هذا النوع العام من التوسل: «عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة، ولهذا نقول جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار ودخول الجنة قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) فتاوى نور على الدرب للشيخ (٢/٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط بتصرف (٧٢٤/١١).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ (٣٣٥/٢).

(٤) انظر: التعريفات العقدية (١٣٣).

(٥) فتاوى ابن تيمية (٢٤٧/١).

يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[١]»[٢].

- **المعنى الخاص**: الوسيلة بالمعنى الخاص هو موضوع هذه القاعدة، وهوالمرادعند الإطلاق، وهذا النوع من التوسل يكون داخل دائرة دعاءالمسألة، بمعنى أنه يُستخدم في حال دعاء العبد ربه؛ رجاء القبول والاستجابة، بخلاف التوسل بالمعنى العام؛ فإنه ليس خاصًا بالدعاء، كما أن هذا المعنى الخاص للتوسل هو الذي قسمه العلماء إلى أقسام، وفصلوا أحكامه.

قال الشيخ: «والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببًا في قبول دعائه، ولا بد من دليل على كون هذا الشيء سببًا للقبول»[٣].

إذًا هذا هو تعريف الشيخ للتوسل بالمعنى الخاص، وعند التتبع واستقراء الآيات والأحاديث المتعلقة بالتوسل بالمعنى الخاص، نجدهاكلهاتؤكد ما ذهب إليه الشيخ في تعريفه، من أن هذ النوع من التوسل موضوعه الدعاء.

- **أقسام التوسل**:

الحديث هنا سوف يكون مقصورًا عن أقسام التوسل بالمعنى الخاص؛ لأنه هو المقصود الأول عند الإطلاق في كتب أهل العلم عامة، وكتب العقائد بشكل خاص، - أما التوسل العام فهو معنى واحد كما مر معنا، وليس له أقسام -، فالتوسل الخاص كما ذكرنا آنفًا موضوعه الدعاء، والدعاء عبادة، والعبادة توقيفية، بمعنى أن الوسائل لا بد أن تكون مشروعة، وعليه فالوسائل التي يتوسل بها العبد إلى الله لقبول الدعاء قسمان:

١- وسائل مشروعة: وهي ماورد دليله من الكتاب، أو السنة، أوفعل السلف، وهي أنواع: كالتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه بذكر الإيمان به، والتوسل إليه بالعمل الصالح، والتوسل إليه بذكر الحال، والتوسل إليه بدعاء من ترجى إجابة دعاءه.

---

(١) سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (٢٧٩/٥).

(٣) مجموعة فتاوى الشيخ (٣٤٠/٢).

٢- الوسائل غير المشروعة: وهي الوسائل التي ليس عليها دليل من الكتاب والسنة وفعل السلف، كالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالميت، وهذا النوع من التوسل يدور بين البدعة و الشرك.

وقد تكلم الشيخ رحمه الله عن هذه المسألة، وبسط القول فيهافي عدة مواضع من كتبه، منها:

قال الشيخ: «وينقسم التوسل إلى قسمين:

القسم الأول: قسم صحيح، وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب؛ وهو على أنواع نذكر منها:

النوع الأول: التوسل بأسماء الله تعالى وذلك على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون ذلك على سبيل العموم، ومثاله ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والغم قال: (اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي[١])...إلخ؛ فهنا توسل بأسماء الله تعالى على سبيل العموم «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك».

الوجه الثاني: أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم، مثل ما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه حيث طلب من النبي صلى الله عليه وسلم دعاءً يدعو به في صلاته، فقال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)[٢]، فطلب المغفرة والرحمة وتوسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب وهما (الغفور) و(الرحيم).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢١٥/ح: ٤٣١٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٣٨٣/ح: ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام (١/١٦٦/ح: ٨٣٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/٢٠٧٨/ح: ٢٧٠٥).

وهذا النوع من التوسل داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١] فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بصفاته، وهو أيضًا كالتوسل بأسمائه على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون عامًّا كأن تقول: "اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا" ثم تذكر مطلوبك.

الوجه الثاني: أن يكون خاصًّا، كأن تتوسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص، مثل ما جاء في الحديث (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي)[٢]، فهنا توسل لله تعالى بصفة (العلم) و(القدرة) وهما مناسبتان للمطلوب.

ومن ذلك أن يتوسل بصفة فعلية مثل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

النوع الثالث: أن يتوسل الإنسان إلى الله عز وجل بالإيمان به، وبرسوله صلى الله عليه وسلم فيقول: «اللهم إني آمنت بك، وبرسولك فاغفر لي أو وفقني»، أو يقول: «اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا»، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٣]، فتوسلوا إلى الله تعالى بالإيمان به أن يغفر لهم الذنوب، ويكفر عنهم السيئات، ويتوفاهم مع الأبرار.

النوع الرابع: أن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح؛ ومنه قصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار ليبيتوا فيه، فانطبق عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله؛ فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره بوالديه؛ والثاني بعفته التامة؛

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الدعاء (٦/٤٤/ح: ٢٩٣٤٦)، و النسائي في السنن، كتاب السهو (٣/٥٤/ح: ١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٢٧٩/ح: ١٣٠١).

(٣) سورة آل عمران، الآيات (١٩٠-١٩٣).

والثالث بوفائه لأجيره، قال كل منهم: (اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه)[١]، فانفرجت الصخرة، فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح.

النوع الخامس: أن يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله؛ يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وما هو عليه من الحاجة، ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢] يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله أن ينزل إليه الخير، ويقربمن ذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٣]، فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة؛ لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها.

النوع السادس: التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله عز وجل لهم بدعاءٍ عام، ودعاءٍ خاص؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رجلًا دخل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: (اللهم أغثنا) ثلاث مرات، فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي المطر أسبوعًا كاملًا، وفي الجمعة الأخرى جاء ذلك الرجل أو غيره والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: يا رسول الله، غرق المال، وتهدم البناء فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: (اللهم حوالينا ولا علينا) فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت، حتى خرج الناس يمشون في الشمس»[٤].

وهناك عدة وقائع سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم على وجه الخصوص ومن ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن في أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره (٣/٩١/ح: ٢٢٧٢).

(٢) سورة القصص، آية (٢٤).

(٣) سورة مريم، آية (٤).

(٤) أخرجه البخاري، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (٢/٢٨/ح: ١٠١٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٢/٦١٢/ح: ٨٩٧).

بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: (أنت منهم)[١] ،

فهذا أيضًا من التوسل الجائز، وهو أن يطلب الإنسان من شخص ترجى إجابته أنيدعو الله تعالى له؛ إلا أن الذي ينبغي أن يكون السائل يريد بذلك نفع نفسه، ونفع أخيه الذي طلب منه الدعاء، حتى لا يتمحض السؤال لنفسه خاصة؛ لأنك إذا أردت نفع أخيك ونفع نفسك صار في هذا إحسان إليه؛ فإن الإنسان إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب قال الملك: (آمين ولك بمثل)[٢]، وهو كذلك يكون من المحسنين بهذا الدعاء والله يحب المحسنين.

القسم الثاني: التوسل غير الصحيح وهو:

أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة؛ أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة؛ لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو، والباطل المخالف للمعقول والمنقول؛ ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو الله له؛ لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة؛ بل من سفه الإنسان أن يطلب من الميت أن يدعو الله له؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله، ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يدعو لأحد بعد موته؛ ولهذا لم يتوسل الصحابة رضي الله عنهم إلى الله بطلب الدعاء من رسوله صلى الله عليه وسلم بعد موته؛ فإن الناس لما أصابهم الجدب في عهد عمر رضي الله عنه قال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[٣]، فقام العباس رضي الله عنه فدعا الله تعالى. ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغًا، ووسيلة صحيحة لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم أقرب من إجابة دعاء العباس رضي الله عنه، فالمهم أن التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من ميت توسل باطل لا يحل، ولا يجوز.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل من لم يتطير (١/٣٣٨/ح: ٤٠٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤/٢٠٩٤/ح: ٢٧٣٣).

(٣) أخرجه البخاري، أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/٢٧/ح: ١٠١٠).

ومن التوسل الذي ليس بصحيح: أن يتوسل الإنسان بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن جاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليس مفيدًا بالنسبة إلى الداعي؛ لأنه لا يفيد إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى الله به والحالة هذه، وقد تقدم أن التوسل اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر. فما فائدتك أنت من كون الرسول صلى الله عليه وسلم له جاه عند الله؟! وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل: اللهم بإيماني بك وبرسولك، أو بمحبتي لرسولك، وما أشبه ذلك؛ فإن هذا الوسيلة الصحيحة النافعة[١].

الأدلة على هذه القاعدة:

الأدلة من القرآن الكريم:

لم أجد دليل من القرآن -فيما أعلم- ينص منطوقه على معنى القاعدة نصًا صريحًا، ولكن هناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة، فيه دلالة على مشروعية بعض أنواع التوسل، والتوسل دعاء، والدعاء عبادة، والعبادة توقيفية كما تقرر معنا، فلا يجوز أن يُحدث فيها شيئًا إلا بدليل، فما ورد لنا من وسائل مشروعة لقبول الدعاء عملنا بها، وما لم يرد لا نعمل به، فإذا تقرر أن الأصل في الوسائل أن تكون مشروعة بالدليل حتى تكون صحيحة، فإن مفهوم هذا الأصل أن الوسائل التي لم يرد فيها دليل فإنها وسائل غير صحيحة، كما سوف يتبين لنا بأن الوسائل غير الصحيحة مردودة شرعًا وعقلًا وحسًا.

فمن ضمن الآيات التي تشرع بعض أنواع التوسل مايلي:

١- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٣]، قال قتادة: «أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى للشيخ (٢/٣٣٥).

(٢) سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٣) سورة المائدة، آية (٣٥).

(٤) نقله ابن كثير في تفسيره (٣/١٠٣).

فالوسيلة في هاتين الآيتينالمقصود بهما التوسل العام، وقد تقدم تعريفه، فموضوعهما عام في التوسل بعبادة الله وطاعته، وتقواه ودعائهورجائه والخوف منه..

٢- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١].

قال السعدي: «ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها لأنها وسيلة مقربة إليه»[٢].

فهذه الآية فيها دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بالدعاء بالأسماء الحسنى، وأنها من وسائل التوسل بالمعنى الخاص.

٣- قوله تعالى عن حال أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٣].

ففيهذه الآية دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بذكر الإيمان به وبرسوله، فهي من وسائل التوسل بالمعنى الخاص.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: داعيا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم»[٤] ومثل ذلك قاله البغوي[٥] ونصّ على أن هذا الرأي قاله ابن مسعود وبن عباس وكثير من المفسرين[٦].

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٢) تفسير السعدي (٥٠٢/١).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (١٩٣).

(٤)تفسير ابن كثير (١٨/٢).

(٥) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المفسر المعروف، وصاحب تصانيف كثيرة منها: شرح السنة و معالم التنزيل و المصابيح، توفي بمرو الروذ -مدينة من مدائن خراسان- في شوال، سنة ست عشرة وخمس مائة، وعاش بضعا وسبعين سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٩/١٤).

(٦) انظر: تفسير البغوي (٥٥٧/١).

٤- قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١]، هذه الآية فيها دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بذكر الحال، فهي من وسائل التوسل بالمعنى الخاص.

الأدلة من السنة:

وما قيل في مبحث الأدلة القرآنية يقال أيضًا في مبحث الأدلة النبوية.

فمن الأحاديث الدالة على مشروعية بعض أنواع التوسل ما يلي:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحَزَنٌ: اللهمِ إني عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أَمَتك، ناصيتي بيدكِ، ماضٍ فيَّ حُكْمُك، عدْلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيْتِ به نفسَك، أو أنزلتَه فِي كتابك، أو عَلّمته أحدًا من خَلْقك، أو استأثرت به في علم الغيبِ عندك، أن تجعل القرآنَ ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاءَ حزني، وذَهَاب هَمّي...)[٢].

ففي هذا الحديث دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وهو من التوسل بالأسماء على سبيل العموم، وهو من وسائل التوسل بالمعنى الخاص.

٢- عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي وفي بيتي قال: (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا [وفي رواية: كثيرًا]، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)[٣].

هذا الحديث فيه دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بالأسماء الحسنى على سبيل الخصوص، وهو من وسائل التوصل بالمعنى الخاص.

٣- حديث الثلاثة الذي سدت عليهم الصخرة مدخل الغار حيث أن كل واحد منهم دعاء الله بصالح عمله الذي كان قد فعله فقال كل واحد منهم: اللهم فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت عنهم الصخرة[٤].

---

(١) سورة القصص، آية (٢٤).

(٢) سبق تخريجه، ص(٩٨).

(٣) سبق تخريجه، ص(٩٨).

(٤) سبق تخريجه، ص(١٠٠).

ففيه دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بذكر العمل الصالح، وهو من وسائل التوسل المعنى الخاص.

٤- أن الصحابة كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم بنزول الغيث، كما في قصة الرجل الذي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فطلب منه أن يستغيث لهم، فيستجيب النبي لهم ويقول: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا...)[١].

ففيه دلالة على مشروعية التوسل إلى الله بطلب الدعاء ممن ترجى إجابته، وهو ومن سائل التوسل بالمعنى الخاص.

من أقوال السلف:

١- عن ابن عباس، أن عمر، استسقى بالمصلى، فقال للعباس قم فاستسق، فقام العباس، فقال: «اللهم إن عندك سحابًا، وإن عندك ماء فانشر السحاب، ثم أنزل فيه الماء، ثم أنزله علينا، فاشدد به الأصل، وأطل به الزرع، وأدر به الضرع، اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا»[٢].

فهذا الأثريدل على مشروعية التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته، كما أن هذا الأثر يدل على معنى هذه القاعدة التي قعّدها الشيخ، وذلك من جهة أن عمر لم يتوسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، كما كان ذلك مشروعًا في حياته صلى الله عليه وسلم، فلمّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة كانت وسيلة التوسل إلى الله بدعائه وسيلة صحيحة؛ لأن فيها إيصالًا إلى المقصود، فلما توفي أصبح التوسل إلى الله بدعائه غير مشروع؛ لأنه لم يعد في هذه الوسيلة إيصالًا إلى المقصود، فلذلك أصبحت غير مشروعة.

٢- روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٣]، قال: «ومن أسمائه: (العزيز، الجبار)، وكل أسمائه حسن»[٤].

---

(١) سبق تخريجه، ص(١٠٠).

(٢) مصنف عبدالرزاق، كتاب الصلاة، باب الاستسقاء (٣/٩٢/ح: ٤٩١٣)، وقال عنه الألباني: أخرجه عبدالرزاق بإسناد واه، سكت عليه الحافظ؛ ولعله لشواهده. انظر: مختصر البخاري للألباني كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (١/٣٠٦/ح: ٥١١).

(٣) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٤) تفسير الطبري (١٣/٢٨١).

وفي هذا الأثر دلالة على جواز التوسل إلى الله بالأسماء الحسنى، ووجه الدلالة منهأن ابن عباس رضي الله عنه مثّل على الأسماء الحسنى بقوله العزيز، الجبار، وكانت الآية الكريمة تدعو إلى التوسل بالأسماء الحسنى.

المطلب الثاني: تطبيقات علىالقاعدة.

سيتم تطبيق القاعدة على الوسائل المشروعة وغير المشروعة الواردة معنا في هذه القاعدة، لكي ننظر مدى انضباطية هذه القاعدة بتوضيح التوسل المشروع من غيره، مع تطبيقات للقاعدة التي سبقت هذه القاعدة على أقسام التوسل بقسميه، وهي قول الشيخ: «كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر» ؛ لأن هذه القاعدة لها صلة بدراسة وتحقيق أقسام التوسل من جهة السببية، فكل وسيلة صحيحة في إيصالها للمقصود نجد أن الشرع قد جعل سببها سببًاكونيًا أوشرعيًا، وكل وسيلة غير صحيحة في إيصالها للمقصود نجد أن الشرع لم يجعلها من الأسباب الكونية ولا الشرعية.

القسم الأول: التطبيقات على الوسائل المشروعة التي ذكرها الشيخ:

- **التطبيقات على التوسل بأسماء الله وصفاته:**

- التطبيقات على الأسماء:

من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١] مثل قول الداعي: «يا رحيم ارحمني، يا غفورا غفرلي»، هذا على سبيل الخصوص، أو أن يدعو بالعموم فيقول: «يا من له الأسماء الحسنى أسألك أن تقبل مني صومي»، فهنا توسل الداعي إلى الله بالأسماء الحسنى رجاء أن يُقبل دعاؤه، فالوسيلة التي استخدمها هذا الداعي لكي يتحقق مقصودة، هي وسيلة الدعاء بالأسماء الحسنى، وهي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة لأن الله أمر بها بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[٢]، فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

- التطبيقات على الصفات:

مثل أن يقول الداعي: «اللهم برحمتك التي وسعت كل شيء ارحمني»، هذا على سبيل الخصوص، أو أن يدعو بالعموم، فيقول: «ياعظيم الصفات ارزقني»، فهنا توسل الداعي إلى الله بصفات الله رجاء أن يُتقبل دعاؤه. فالوسيلة التي استخدمها هذا الداعي لكي يتحقق مقصودة هي وسيلة الدعاء بصفات الله، وهي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة لأن الله أمر بها بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١]، ومن المتقرر أن كل اسم يتضمن صفة أو أكثر بطريق اللزوم، فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

- **التطبيقات على التوسل بالإيمان بالله:**

- من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢]، فمثلًا عندما يقول الداعي: «اللهم أني آمنتُ بك وبرسولك، فاغفرلي وارحمني»، فالداعي هنا توسل إلى الله بذكره لإيمانه به سبحانه وبرسوله رجاء أن يُقبل دعاؤه، فالوسيلة التي استخدمها هذا الداعي لكي يتحقق مقصودة هي وسيلة الدعاء مقرونًا بذكر الإيمان، وهي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

- **التطبيقات على التوسل إلى الله بالعمل الصالح:**

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء من حديث النفر الثلاثة الذين اغلقت عليهم الصخرة باب الكهف[٣]، فيكون للداعيعمل صالح من كفالة يتيم مثلًا فيقول: اللهم إني كفلتُ اليتيم فلانًا رجاء رحمتك وعفوك اللهم إن كنت فعلتُ هذا خالصًا لوجهك الكريم، ففرج عني همي وغمي، فالداعي هنا توسل إلى الله بذكر عمله الصالح، فالوسيلة التي استخدمها هذا الداعي

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٢) سورة المؤمنون، آية (١٠٩).

(٣) سبق تخريجه، ص(١٠٠).

لكي يتحقق مقصودة ذكر العمل الصالح في الدعاء، وهي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة بدلالة حديث النفر الثلاثة الذين اغلقت عليهم الصخرة باب الكهف، فكل واحد منهم ذكر عمله الصالح، ودعا ربه أن يفرج عنهم، واستجاب الله لهم كما مر في أدلة السنة، فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

- **التطبيقات على التوسل إلى الله بذكر الحال:**

من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١]، فمثلًا يقول الداعي: «اللهم إني مغموم ومهموم ومدين؛ ففرج عني غمي وهمي، وسدد ديني»، فالداعي هنا توسل إلى الله بذكر حاله وتوصيفها، فالوسيلة التي استخدمها هذا الداعي لكي يتحقق مقصودة ذكر الحال بالدعاء، وهي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة بدلالة قوله تعالى عن موسى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

- **التطبيقات على التوسل إلى الله بدعاء العبد الصالح:**

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاءفي قصة الرجل الذي على دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فطلب منه أن يستغيث لهم، فيستجيب النبي صلى الله عيه وسلم لهم ويقول: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا...)[٢].

مثل أن يطلب أحد المصلين من خطيب الجمعة أن يدعو له أو للمسلمين إذا كان ممن يرجى قبول دعواته، فالوسيلة التي استخدمها هذا الرجل لكي يتحقق مقصودة هي وسيلة صحيحة لكونها من الوسائل المشروعة، بدلالة فعل الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالسبب هنا من الأسباب الشرعية.

---

(١) سورة القصص، آية (٢٤).

(٢) سبق تخريجه، ص(١٠٠).

القسم الثاني: التطبيقات على الوسائل الغير مشروعة التي ذكرها الشيخ، وهي تنقسم إلى قسمين توسل شركي، وتوسل بدعي:

- **التطبيقات على التوسل إلى الله بدعاء الميت:**

من تطبيقات هذه القاعدة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ماتَ الإنسانُ انقطَعَ عنه عملُه إلا من ثلاثة أشياء: مِن صدقة جارية، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو له)[1].

فمثلًا أن يذهب الإنسان الحي إلى قبر، ويطلب من الميت أن يدعو له، فهذا الإنسان الحي توسل إلى الله بدعاء هذا الرجل الميت، فإذا نزلنا القاعدة على هذا النوع من التوسل فنجد أنه توسل غير صحيح لما يلي:

أولًا: لأنه توسل غير مشروع، فلم يأت في النصوص، ولا من فعل السلف الصالح، ما يدل عليه، بل أتى ما يدل على خلافه، وقد ثبت معنا أن الوسيلة لابد أن تكون مشروعة حتى تكون صحيحة في إيصالها للمقصود.

ثانيًا: أنها وسيلة لا تأتي بالمقصود، لا شرعًا ولا عقلًا ولا حسًا، فالصحابة كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعوا لهم في حياته، فلما توفي أصبحوا يطلبون من العباس أن يستغيث لهم، ولم يطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أن يستغيث لهم كما كانوا يطلبون منه ذلك حال حياته، فلو كانت الوسيلة بالميت جائزة، لما استعاضوا بالعباس، هذا من جهة الشرع، وأما من جهة العقل فإن الميت لا يستطيع أن ينفع نفسهإلا بما قدم، أو تسبب، فكيف ينفع غيره؟ وأمَّا من جهة الحس فنحن نعلم أن الميتلا ينفع ولا يضر ولم يحدث قط أن ميتًا تحققت وسيلة من الوسائل بسببه.

فالخلاصة: لو كان دعاء الميت ينفع، أو كان وسيلة صحيحة في الوصول إلى المقصود، لما استسقى عمر والصحابة بالعباس وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فدل على أن المستقر عندهم أجمعين، والذي علموه من هدي نبيهم وسيرته حرمة التوسل بدعاء الميت، كما أن السبب هنا ليس من الأسباب الكونية ولا الشرعية، فمن اتخذ هذا التوسل سببًا لقبول الدعاء، فقد وقع في الشرك الأصغر؛ لأن القاعدة السابقة تنص على: «أن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا فإنه مشرك شركًا أصغر»

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب مايلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/١٢٥٥/ح: ١٦٣١).

فتوسلهنا توسل شركي، وإن اعتقد بتوسله أن الميت ينفع بذاته أو يضر فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

- **التطبيقات على التوسل إلى الله بجاه النبي صلى الله عليه وسلم:**

من تطبيقات هذه القاعدة ما جاء عن ابن عباس، أن عمر، استسقى بالمصلى، فقال للعباس قم فاستسق، فقام العباس، فقال: «اللهم إن عندك سحابًا، وإن عندك ماء فانشر السحاب ، ثم أنزل فيه الماء، ثم أنزله علينا، فاشدد به الأصل، وأطل به الزرع، وأدر به الضرع، اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا...»[١].

فلو كان التوسل بجاه رسول الله مشروعًا لما احتاج الخليفة عمرأن يطلب من العباس أن يدعوا لهم، بل يختصر ويسأل الله مباشرة بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن صنيع الخليفة عمر مع العباس يدل عدم مشروعية التوسل بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتوسل بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم توسل بدعي، فإن اعتقد أنه ينفع بذاته دخل في الشرك الأكبر، وإذا قيل هذا في جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاهه عند الله عظيم، فغيره من باب أولى.

فمن تطبيقات هذه القاعدة، أن التوسل بالجاه محرم، وهو من التوسل البدعي.

قال الشيخ: «التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ليس بجائز على الراجح من قول أهل العلم؛ فيحرم التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلا يقول: الإنسان: اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا، وكذا؛ وذلك لأن الوسيلة لا تكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود؛ وجاه النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود؛ وإذا لم يكن له أثر لم يكن سببًا صحيحًا؛ والله عز وجل لا يدعى إلا بما يكون سببًا صحيحًا له أثر في حصول المطلوب؛ فجاه النبي صلى الله عليه وسلم هو مما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم وحده؛ وهو مما يكون منقبة له وحده؛ أما نحن فلسنا ننتفع بذلك؛ وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته»[٢].

---

(١) سبق تخريجه، ص(١٠٥).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (٣٤٨/٢).

القاعدة الخامسة: «أمْرُ النبي في الشرع لا بأس أن يُقرن مع الله بالواو؛ لأن ما جاء به هو من شرع الله، بخلاف الأمور الكونية فإنه لا يقرن مع الله إلا مقرونًا بثم» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

شرح الألفاظ:

«الأمور الكونية» هي التي إذا أمر بها الله فإنها واقعة لا محالة، وهي التي لا تكون بمقدور البشرلا أن يأتوا بمثلها ولا أن يردوها، ولا تلازم بينها وبين المحبة والرضا، أما الأمر الشرعي فهو الذييكون في أمور الدين والتشريع من أوامر ونواهي، وملازم للمحبة والرضا.

قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر: «والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره»[٢]، أي أمره الشرعي وليس الكوني

قال ابن أبي العز[٣] في شرحه للطحاوية: «وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾[٥]، في أحد الأقوال، وهو أقواها، والأمر الشرعي، في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[٦]»[٧].

---

(١) تفسير سورة النساء للشيخ (٤٩٩/١).

(٢) الفقه الأكبر (٣٥/١).

(٣) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ ولد سنة ٧٣١هـ.كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، له كتب، منها شرح الطحاوية و التنبيه على مشكلات الهداية، و النور اللامع فيما يعمل به في الجامع أي جامع بني أمية توفي سنة ٧٩٢ هـ.

انظر: الدرر الكامنة (١٠٣/٤)، والأعلام للزركلي (٣١٣/٤).

(٤) سورة يس، آية (٨٢).

(٥) سورة الإسراء، آية (١٦).

(٦) سورة النحل، آية (٩٠).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية (٦٥٧/٢).

ففي هذه الأدلة دلالة على الفرق بين الأمر الكوني و الأمر الشرعي، فإذا اتضح هذا الأمر بأن الأمر الكوني من خصائص الربوبية المتعلقة بالله والصادرة منه وحدة، فلا يجوز أن يُقرن أمر أحد من الخلق مع أمره الكوني، حتى وإن كان في حق رسول الله، والدليل على ذلك ماجاءعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: (جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه)[١] ؛ لأنه يتعلق بالمشيئة والقدرة.

وأمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُقرن مع الله في الأمور الكوني إلا مقرونا بـ (ثم) أو ما يدل على الترتيب كما جاء في هذا الحديث، وكما جاء في مصنّف ابن أبي شيبة[٢] عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)[٣]، فقوله: (ثم) فيه دلالة على وجوب إضافة ما يدل على الترتيب عند الاقتران فيما يتعلق بالأمور الكونية.

أما إذا كان الأمر من الأوامر الشرعية، فإنه يجوز أن يقرن أمر رسول الله مع الله مباشرة بدون (ثم) كما هو مقرر في القاعدة؛لأن أمر رسول الله الشرعي إنما هو من أمر الله، فالرسول مُبلّغ عن الله في الأوامر الشرعية، وطاعة رسول الله طاعة لله، فالله سبحانه وتعالى في الأوامر الشرعية كثير ما يقرن بينه وبين الرسول مباشرة بدون إضافة ما يدل على الترتيب، ففي آيات كثيرة ومواضع متعددة من القرآن يأمر الله بطاعته وطاعة رسوله، ويقرن بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[٤] ؛ لأن الرسول في الأوامر الشرعية مبلغ عن الله كما قال الله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾[٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا

---

(١) رواه البخاري في كتابه الأدب المفرد، باب قول الرجل: ماشاء الله وشئت (١/٢٧٤/ح: ٧٨٣).

(٢) عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الإمام العلم، صاحب الكتب الكبار كالمسندوالمصنف والتفسير، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ، توفي في محرم سنة (٢٣٥ هـ).انظر: سير أعلام النبلاء (٩/١٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي (٧/٣٣٥/ح: ٤٩٨٠)، وأخرجه الإمام أحمد مسنده(٣٨/٣٩٦/ح: ٢٣٣٨١)، وهذا الحديث صححه الألباني في كتابه: صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/١٢٣٤)، حديث رقم (٧٤٠٥ - ٢٥٨٩).

(٤) سورة الأنفال، آية (١)، و(٤٦)، وسورة المجادلة، آية (١٣).

(٥) سورة المائدة، آية (٩٩).

وَحْيٌ يُوحَى﴾[١] روى الطبري في تفسيره عن قتادة، في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾قال قتادة: «أي ما ينطق عن هواه»، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، قال: «يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل، ويوحي جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم»[٢].

قال الطبري: «وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[٣].

قال ابن كثير: «إنما يقول ما أُمر به، يبلغه إلى الناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان، كما رواه الإمام أحمد»[٤].

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٥]، قال: «أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله»[٦]، وقال الطبري في تفسيرها: «وهذا إعذار من الله إلى خلقه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى ذكره لهم: من يطع منكم، أيها الناس، محمدا فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي»[٧].

وأيضًا مما يدل على مشروعية أن يقرن بين الله والرسول في الأوامر الشرعية دون الكونية، إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبدالقيس عندما قال لهم: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟!)، قالوا: الله ورسوله أعلم[٨]، فأقرهم، بينما في حديث ابن عباس السابق لم يقر الرجل على قوله.

---

(١) سورة النجم، الآيتان (٣-٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٤٩٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/٤٩٧).

(٤) تفيير ابن كثير (٧/٤٤٣).

(٥) سورة النساء، آية (٨٠).

(٦) تفسير البغوي (١/٦٦٦).

(٧) تفسير الطبري (٨/٥٦١).

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (١/٢٠/ح: ٥٣).

قال الشيخ: «جواز اقتران اسم الرسول باسم الله في الأمر الذي يكون مشتركًا بينهما؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[١]، أما الأمر الذي لا يكون مشتركًا بينهما، وهو الأمر الكوني القدري، فهذا لا يذكر فيه الرسول مع الله، إلا بحرف يدل على الترتيب؛ وبهذا نعرف الفرق بين إسناد الشيء الشرعي إلى الله ورسوله، وبين إسناد الكوني إلى الله ورسوله؛ فإسناد الشيء الشرعي يجوز بالواو، وأما الكوني فلا يجوز إلا بـ(ثم) الدالة على الترتيب والمهلة فإذا قلت فيأمر شرعي: الله ورسوله اعلم؛فهذا صحيح وجائز، وقد أقره النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، فإنه في حديث زيد بن خالد الجهني[٢] أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الصبح على إثر سماء كانت من الليل فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم[٣].فأقرهم، لأن المراد هنا العلم الشرعي لكن في المسائل الكونية لما قال له الرجل: ماشاء الله شئت، أنكر عليه وقال: (أجعلتني لله عدلًا بل ماشاء الله وحده)[٤]»[٥].

وهذه القاعدة وإن كانت تشمل جميع البشر من جهة عدم جواز مقارنة أمرهم مع الله، سواء أمر الله الكوني أو الشرعي، إلا أنها تعتبرخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم من جهة أنه يجوز فيه مقارنة أمره الشرعي مع أمر الله الشرعي دون الكوني، بخلاف بقية البشر فإنه لا يجوز بحقهم مقارنة أمرهم مع الله مطلقًا سواء الكوني أو الشرعي.

لكن هل هذه الخاصية بالأمر الشرعي خاصة بالرسول فقط؟ أم تشمل غيره من الرسل؟

الذي يظهر لي أنها تشمل كل الرسل عليهم الصلاة والسلامالذي سبقوا رسول الله؛ لأنهم كلهم رسل مبلغون عن الله شرعه للناس، فطاعتهم تعتبر طاعة لله، فبما أن العلة مشتركة فلا مانع من شمول القاعدة لجميع الرسل، وهذا هو الذي يميل له الشيخ وذلك عند تعليقه على

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٣٢).

(٢) زيد بن خالد الجهني يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو طلحة، سكن المدينة وبها مات، شهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ثمان وسبعين، وله خمس وثمانون سنة.
انظر: معرفة الصحابة (١١٨٩/٣)، والأعلام للزركلي (٥٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الآذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (١٦٩/١/ح: ٨٤٦).

(٤) سبق تخريجه، ص(٨٦).

(٥) تفسير سورة آل عمران للشيخ (١٦٤/٢، ١٦٥).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[١]، قال: «(أل) في الرسول للعهد، والمراد بهم محمد صلى الله عليه وسلم، وفيها احتمال آخر أن المراد الجنس: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾أي: الذي أرسله سواء كان محمدًا أم غيره، وهذا العموم أقرب»[٢].

الأدلة على هذه القاعدة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٣].

٢- قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

٣- قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٥].

٤- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[٦].

٥- قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[٧].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٨].

٦- قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينًا﴾[٩].

---

(١) سورة النساء، آية (٦٩).
(٢) تفسير سورة النساء للشيخ (٤٩٩/١).
(٣) سورة الأنفال، آية (١).
(٤) سورة الأنفال، آية (٤٦).
(٥) سورة المجادلة، آية (١٣).
(٦) سورة التوبة، آية (٥٩).
(٧) سورة النساء، آية (٨٠).
(٨) سورة النساء، آية (١٤).
(٩) سورة الأحزاب، آية (٣٦).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[١].

الأدلة من السنة:

١-قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبدالقيس: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟!)، قالوا: الله ورسوله أعلم[٢].

٢-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: (جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه)[٣].

أقوال السلف:

الأثار الواردة عن السلف في عدم جواز مقارنة أمر الإنسان الكوني مع أمر الله الكوني كثيرة جدًا، وقد مر معنا بعض منها عند الحديث عن الشرك، مثلما نقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] أنه قال: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها "فلان". هذاكله به شرك»[٥].

وكما جاء عن عكرمة قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾قال: «أن تقولوا: لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار، لولا كلبنا صاح في الدار، ونحو ذلك»[٦].

وكما جاء عن محمد بن سيرين[١] وهو من التابعين، أن رجلًا قال له: قرأت كتابًا فيه: ما شاء الله والأمير، فقال: ما شاء الأمير بعد الله[٢].

---

(١) سورة الجن، آية (٢٣).

(٢) سبق تخريجه، ص(١١٤).

(٣) سبق تخريجه، ص(١١٢).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٢).

(٥) تفسير ابن كثير (١/١٩٦).

(٦) تفسير الطبري (١/٣٦٩).

ومثل هذه الآثاركثيرة و مشهورة ممايدل على عدم جوازالمقارنة في الأمر الكوني بين الله وبين البشر وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها آثار في الأمر الكوني، وهي تؤكد ما جاء في الشق الثاني من القاعدة، أما مايتعلق بالأمر الشرعي فقد ورد مايدل على جواز المقارنة في الأمر الشرعي بين الله ورسوله وهي تؤكد ما جاء في الشق الأول من القاعدة، وذلك في تفسيرهم للآيات التي جمعت بين طاعة الله وطاعة رسوله كما مر معنا عند الكلام عن شرح(الأمور الكونية)، مثل تفسير الطبريالذي مر معنا في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[٣]: قال«وهذا إعذار من الله إلى خلقه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى ذكره لهم: من يطع منكم، أيها الناس، محمدا فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمره، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي»[٤].

ومشابه لهذا القول ما قاله البغوي[٥]، وابن كثير[٦] في تفسيرهما لمثل هذه الآيات التي وردت معنا في شرح معنى(الأمور الكونية)في شرح هذهالقاعدة.

إذًا هذه مواطن من كلام السلف، البعض منها يؤكد شق القاعدة الأول، والبعض يؤكد شق القاعدة الثاني، دون تعارض بينهما.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

من تطبيقات هذه القاعدة الآيات والأحاديث التالية:

=

(١) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري البصري، الإمام الرباني، صاحب التعبير، مولى أنس بن مالك، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وتوفي سنة: ١١٠ هـ، وعمره بضع وثمانون سنة.
انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير (٢٣٩/٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأدب (٣٤٠/٥/ح: ٢٦٦٨٩).

(٣) سورة النساء، آية (٨٠).

(٤) تفسير الطبري (٥٦١/٨).

(٥) تفسير البغوي (٦٦٦/١).

(٦) تفسير ابن كثير (٣٦٣/٢).

١- قال تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[١].

٢- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[٢].

٣- قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٤].

٥- قال النبي لوفد عبدالقيس: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟!) قالوا: الله ورسوله أعلم[٥].

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهماقال: قالرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قال: (جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه)[٦].

ففي هذه الآيات قرن ربنابين أمره تعالىوأمر رسوله الشرعي، وكذلك في حديث الوفد حيث أقرّهم رسول الله على هذا الاقتران، وهذا ما تؤكده القاعدة في الشق الثاني منها، بينما في حديث ابن عباس تأكيد على شق القاعدة الأول، حيث أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل قرنه بينأمر الله الكوني وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة المجادلة، آية (١٣).

(٢) سورة التوبة، آية (٥٩).

(٣) سورة النساء، آية (٨٠).

(٤) سورة النساء، آية (١٤).

(٥) سبق تخريجه، ص(١١٤).

(٦) سبق تخريجه، ص(١١٢).

المبحث الثاني: قواعد في الأسماءوالصفات.

القاعدة الأولى: «جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله؛فإنه متعدٍ» [(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها:

الشرح:

التأويل في القرآن الكريم جاء على ثلاثة معان:

الأول: التفسير، وقد جاء على سبيل المدح كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

الثاني: العاقبة والمآل: وقد جاء على سبيل المدح، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[(٣)].

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره دون وجود صارف.، وقد جاء على سبيل الذمكما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ﴾[(٤)]. قال ابن كثير: «تحريفه على ما يريدون»[(٥)].

---

(١) شرح العقيدة السفارينية للشيخ (١٣٢).

(٢) سورة يوسف، آية (٢١).

(٣) سورة النساء، آية (٥٩).

(٤) سورة آل عمرآن، آية (٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/٢).

والمذكور في القاعدة هو المعنى الثالث، وهو صرف اللفظ عن ظاهره.

فهل كل صرف للفظ عن ظاهره يعد تأويلًا مذمومًا؟

إن كان هذا الصرف مبنيًا على دليل صحيح، ودلالة واضحة، فهو سائغ شرعًا، أما إذا كان هذا الصرف ليس عليه دليل من شرع ولا لغة، فهو تحريف، لاتأويل؛ لأن الأصل في التأويل أن يكون مبنيًا على قرينة رجحت المعنى المصار إليه، بينما التحريف، هو ليّ ظاهر النص لغير قرينة ظاهرة، وقال الله فيهم على سبيل الذم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١] فكل معنى صرف عن ظاهره بدليل وقرينة راجحة، فهو تأويل محمود، وكل معنى صرف عن ظاهره بدون دليل، فهو تحريف مذموم.

قال الشيخ: «والتأويل ليس كله مذمومًا؛ لأن التأويل له معان متعددة، فيكون بمعنى التفسير، ويكون بمعنى العاقبة والمآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره...» إلى أن قال: «المعنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم؛ فإن دل عليه دليل؛ فهو محمود، ويكون من القسم الأول، وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل؛ فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل، وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عز وجل»[٢].

وقال ابن تيمية: «ذكرت في غير هذا المجلس: أني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتِّباع الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ التأويل له عدة معان، كما بينته في موضعه من القواعد»[٣].

فالتحريف إذًا هو صرف اللفظ عن ظاهره ومعناه الظاهر منه بدون دليل، والتحريف يقع على اللفظ وعلى المعنى، وتحريف اللفظ يلزم منه تحريف المعنى، كما أن تحريف المعنى، هو المقصود بالقاعدة، وهو الذي يسميه أهل التحريف تأويلًا.

---

(١) سورة النساء، آية (٤٦).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (٨/٧٠، ٧١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٦٥).

قال ابن القيم: «والتحريف نوعان: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى، فتحريف اللفظ: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة، وإما بنقصان، وإما بتغيير حركة إعرابية، وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع...» إلى أن قال: «وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلًا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما»[١].

قلتُ: فإذا تبين هذا التفريق بين التأويل والتحريف، فإنالتأويل وإن كان مشروعًا في بعضه، إلا أنه استثناء من الأصل، إذ أن الأصل إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، كما هو مقرر عند السلف[٢]، فالشيخ عبّر في هذه القاعدة بالتأويل، وهو يريد في الحقيقة التحريف، وعليه فلا يجوز بحال من الأحوال أن يتجاوز المعنى الظاهر من القرآن إلى غيره بدون دليل، إذ أن هذا التجاوز يعتبر تعديًا على النصوص، وتمرّدًا على مدلولاتها، لأن التحريف لابد أن يقع على اللفظ أو المعنى، وهذا يُلزمهبأن يأتي بمعنى يختلف عما يريده الله من ظاهر النص، مما يستلزم منه أيضًا أن تختلف الدلالة الظاهرة من النص، وهذا هو حقيقة التعدي والتحريف الذي يشمله قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، ويعتبر تعديًا أيضًا لأن هذا المحرّف تعدى على مثل قوله تعالى في وصف القرآن المنّزل على قلبي رسول الله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٤]، فالله بيّن بآية محكمة قطعية الدلالة، أن القرآن عربي ومبين، فهذا المحرف كأنه يقول بلسان الحال: إن القرآن غير عربي، أو عربي ولكنه غير مبين.

قال الشيخ: «سواء كان تأويله عًاما أو خاصًا، فإذا أول أي نص من غير ما إثبات، فإنه يكون متعديًا، وسواء أول في الصفات الخبرية، أو في الصفات الفعلية، أو في الصفات الذاتية، فإنه يعتبر متعديًا»[٥].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١/٣٨٧).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية (٢/٥٢٣).

(٣) سورة البقرة، آية (٧٥).

(٤) سورة الشعراء، آية (١٩٥).

(٥) شرح العقيدة السفارينية للشيخ، ص(١٢٩).

ومن الشُبه التي يرددها الصارفون لظواهر النصوص إلى معان بلا دليل، ما فهموه خطأ من الحديث القدسي وفيه (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[١] قالوا: ظاهر اللفظ أنالله يكون سمعَ الإنسان، وبصرَه، ويدَه، ورجلَه، ولا قائل به غير أهل الضلال والاتحاد، فلزم تأويله، فدل على صحة التأويل، وللشيخ جواب عن هذه الشُبهة، أكتفي به، قال فيه: «فإن وجد دليل للتأويل فإن ذلك لا بأس به، ولا يعد هذا تعديًا، مثاله قوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

فلو قال قائل: ظاهر الحديث أن الله يكون سمع الإنسان، وبصره، ويده، ورجله، فلماذا تؤولون هذا الحديث، وتقولون: إن المراد أن الله يسدد هذا الرجل في سمعه وبصره ومشيه وبطشه؟

فالجواب أن نقول: لأن عندنا دليلًا يدل على ذلك، وهو قول الله عز وجل في أول هذا الحديث القدسي: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تتقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه).

فهنا يوجد عابد ومعبود؛ لقوله: (ما تقرب إلى عبدي)، ويوجد متقرب ومتقرب إليه، (ما تقرب إلي عبدي)، ويوجد فارض ومفروض عليه (مما أفترضت عليه) وفيه أيضًا سائل ومسؤول، ومعط ومعطى، ومستعيذ ومستعاذ به، في قوله: (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه). وكل هذا يدل على التباين بين هذا وبين هذا، فإذا كان هذا دالًا على التباين، فكيف يكون هذا الشيء المباين بعضًا من الشيء المبايَن؟! وكيف يكون سمعَه وبصرَه ويدَه ورجلَه؟! فهذا مستحيل، وأيضًا السمع، والبصر، واليد، والرجل، بعض من المخلوق، ولا يمكن أن يكون بعض المخلوق هو الخالق، فهذا شيء مستحيل».[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع (٨/١٠٥/ح: ٦٥٠٢).

(٢) شرح العقيدة السفارينية للشيخ، ص(١٣٠).

الأدلة على هذه القاعدة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[١]، قال ابن كثير: (المبين) أي: الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها[٢].

٢- قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[٣]، قال ابن عباس: «لسان قريش ليفهموا ما فيه»[٤].

٣- قال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[٥]، قال الشيخ السعدي: «﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه»[٦].

إذاً صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل، لا يسمى تأويلًا بل تحريفًا، لأن التأويل لفظ لم يأت ذمه في القرآن، والذي أتى ذمه في القرآن هو الذي كان معناه التحريف، والقاعدة تنصّ على أن التأويل الذي لا دليل عليه يعتبر تعدياً، والشيخ عبرّ بالتأويل وهو يريد التحريف، فإذا تبين لنا أن القاعدة موضوعها هو التحريف وليس التأويل، فإن الأدلة المذكورة أعلاه كلها جاءت لإبطال التحريف؛ إذ أن هذه الآيات فيها ما يدل على أن القرآن خاطبنا بما نفهم ونعقل، بلسان عربي مبين، وهذا البيان يدل على أن ظاهر القرآن هو المراد، وأنه واضح جلي غير مبهم، وإذا كان الظاهر من القرآن غير مراد، فلماذا يخبرنا الله أنه انزل القرآن بلسان عربي مبين؟ وكيف يكون نور وهدى؟وكيف يكون لنا حجة وشريعة؟ ولماذا يخبرنا أنه أنزل القرآن على مهل؛للتدبر ويحثنا عليه، والتدبر يقع على غير مراد، وبلا فائدة مرجوة؟

---

(١) سورة يوسف، الآيتان (١-٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٦٥).

(٣) سورة الشعراء، الآيات (١٩٣-١٩٥).

(٤) رواه البغوي في تفسيره (٣/٤٧٨).

(٥) سورة الإسراء، آية (١٠٦).

(٦) تفسير السعدي (١/٤٦٨).

٤- قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

٥- قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٢]، قال الشيخ: «فكل من أول الكلم عن موضعه وحمله على معنى آخر فقد حرَّف»[٣].

٦- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، قال أبو جعفر الطبري في تفسيره: «والتبديل الذي سألوه، فيما ذكر، أن يحول آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا، والحرام حلالًا، والحلال حرامًا، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يرد حكمه، ولا يتعقب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلغ ومأمور متبع»[٥].

فهذه الآيات قطعية الدلالة بتجريم التحريف، الذي هو صرف النص عن ظاهره بدون دليل، مما يدل على أن الأصل إجراء النص على ظاهره، كما أن فيها دلالة على أن التحريف ليس هو التأويل.

٧- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[٦].

جاء في تفسير ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، قال: «الحجاب المستور، أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم»[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية (٧٥).
(٢) سورة النساء، آية (٤٦).
(٣) شرح العقيدة السفارينية للشيخ، ص(١٢٩).
(٤) سورة يونس، آية (١٥).
(٥) تفسير الطبري (١٥/٤٠).
(٦) سورة الإسراء، الآيات (٤٥-٤٧).
(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٣٢).

وجاء في تفسير الجلالين: «﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن، أي فلا يفهمونه، ﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا فلا يسمعونه»[(١)].

ففي هذه الآيات عاقب رب العالمين الكفار بأن يحجب عنهم سماع القرآنسماع فقه وفهم، فيدل على أن المراد ظاهر النص، إذلا فقه ولا فهم يؤخذ إلا من النصوص، وإذا كانت ظواهرها غير مرادة، فمن أين يأتي الفقه والفهم؟

فالخلاصة: أن الآيات الدالة على هذه القاعدة على ثلاثة أنحاء:

الأول: مخاطبة العقل والحس وذلك، بالإخبار عن اللغة التي نزل بها القرآن، وعن بيانه ووضوحه، وعن الأمر بتدبره، وهذه الآيات دلالتها بالمفهوم.

الثاني: آيات منطوقة بالتمسك بظاهر النص، وهذه الآيات قطعية الدلالة.

الثالثة: آيات دلالتها تكمن على سبيل المقابلة، وذلكبالنظر للعقوبة على عدم الفهم والفقه والسماع للقرآن.

أقوال السلف:

في مبحث الأدلة القرآنية وردت عدة أقوال للسلف، فالذي ورد عنهم من أقوال وتفسير للآيات، متعلق بالتحريف، وليس بالتأويل، فكل ما يرد عنهم فهو ذم للتحريف، كما أن كل ما يرد عنهم من تفسيرات للآيات والأحاديث، فإن فيه دلالة على أن المراد هو التمسك بظاهر النص، وأن الانحراف عنه تعد، وهذا هو المتقرر بالعقل والفطرة.

تقدم معنا في الأدلة تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[(٢)]، قال ابن عباس: «لسان قريش ليفهموا ما فيه»[(٣)].

فهذا تصريح من ابن عباس بالتمسك بظاهر النص، إذ لو أنه كان ظاهره غير مراد، لما كان للسان قريش ولا لغيره فائدة، وكذلك تفسير قتادة، وتقدم معنا تفسيرأبي جعفر الطبري، وهو

---

(١) تفسير الجلالين (١/٣٧٠).

(٢) سورة الشعراء، آية (١٩٣-١٩٥).

(٣) سبق تخريجه، ص(١٢٤).

صريح في ضمون هذه القاعدة، وكذلك قول ابن تيمية وابن القيم في شرح القاعدة، وكذلك ابن كثير: في تفسيره للفظة (المبين) كما مر معنا في الأدلة، قال أي: الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها[١].

قال الذهبي[٢]: «قال الأوزاعي[٣]: كان الزهري[٤]، ومكحول[٥]، يقولان: أمروا هذه الأحاديث كما جاءت»[٦].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٧]، قال: «فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري[٨]، والليث بن سعد[٩]، والشافعي، وأحمد بن حنبل،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٦٥)

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الفارقي، الشيخ أبو عبد الله الدمشقي المقرئ المعروف بالذهبي، كان مولده في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وست مئة. وتوفي في ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بدمشق، وصلي عليه عقيب الظهر من يوم الاثنين بجامع دمشق.
انظر: معجم الشيوخ للسبكي (١/٣٥٥).

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو الأوزاعي، كان مولده في حياة الصحابة، سنة ثمان وثمانين، وكان خيّرًا فاضلًا مأمونًا كثير العلم، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٥٤٣).

(٤) هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني، أحد الأعلام وحافظ زمانه، ولد سنة خمسين من الهجرة، توفي رحمه الله سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائة من الهجرة.
انظر: تاريخ الإسلام (٣/٤٩٩).

(٥) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل بن سند بن شروان بن يزدك بن يغوث بن كسرى، عداده في أوساط التابعين، مختلفٌ في وفاته فقيل توفب سنة ثلاث عشرة وقيل سنة اثنتي عشرة وقيل سنة أربع عشرة. وقيل سنة ثلاث عشرة وقيل سنة ست عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٤٧٢).

(٦) سير أعلام النبلاء (٥/٤٧٧).

(٧) سورة الأعراف، آية (٥٤).

(٨) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي؛ ولد في سنة خمس، وقيل ست، وقيل سبع وتسعين للهجرة، وكان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم، وهو أحد الأئمة المجتهدين، شهد له الناس بدينه وورعه وزهده وثقته، وله أقوال وقصص تدل على زهده وحكمته، أراد المهدي أن يوليّه قضاء الكوفة فامتنع وهرب، وتوفي رحمه الله بالبصرة أول سنة إحدى وستين ومائة متواريًا من السلطان، ودفن عشاء رحمه الله تعالى؛ ولم يعقب.
انظر: وفيات الأعيان (٢/٣٨٦).

(٩) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، وكان من الكرماء الأجواد، وله قصص في ذلك، قيل إنه حنفي المذهب وأنه ولي القضاء بمصر، توفي رحمه الله يوم الخميس – وقيل الجمعة – منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: وفيات الأعيان (٤/١٢٧).

وإسحاق بن راهويه[١] وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل»[٢].

فقوله: «إمرارها كما جاءت»، فيه تصريح بأن المراد هو ظاهر النص، وأن العبث فيها وتحريفها، ليس هو منهج السلف، وهذا يشمل جميع النصوص في الصفات وفي غيرها.

قال السفاريني[٣] في منظومته:

فكل من أول في الصفات كذاته من غير ما إثبات

فقد تعدى واستطال واجترى وخاض في بحر الهلاك وافترى[٤]

قال الشيخ: «هذه خمس صفات -والعياذ بالله من ذلك-: تعدى، واستطال، واجترى، وخاض في بحر الهلاك، وافترى. كل هذه أوصاف لمن أول في الصفات من غير دليل، و قوله: (فقد تعدى) أي تعدى على النصوص، وعلى المتكلم بالنصوص؛ لأن هذا التأويل تعد على اللفظ، وإخراج له عن ظاهره، وتعد على قائل النص، حيث كلم الناس بما لا يريد، وهذا نوع من التعمية، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٥]»[٦].

---

(١) أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه؛ توفي ليلة الخميس النصف من شعبان - وقيل: الأحد، وقيل: السبت - سنة ثمان، وقيل: سنة ثلاثين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان (١٩٩/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٦/٣).

(٣) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس).سنة ١١١٤ وتوفي فيها سنة ١١٨٨ هـ. من كتبه الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام. انظر: الأعلام للزركلي (١٤/٦).

(٤) العقيدة السفارينية المعروفة بـ (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، ص (٤٧).

(٥) سورة النحل، آية (٤٤).

(٦) شرح العقيدة السفارينية للشيخ، ص(١٣٢).

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

تقرر في ماتقدم أن التحريف يقع على اللفظ، أو على المعنى، وعليه فإن التطبيقات بإذن سوف تكون على كلا هذين النوعين:

وقبل الدخول في هذين النوعين، هناك تطبيق عام لهذه القاعدة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

والقاعدة تنص على أن «جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله فإنه متعد» وهذا عام في تحريف اللفظ، أو المعنى، فمن أوّل النص على خلاف مايدل عليه ظاهره، من غير دليلفقد حرّف.

أولًا: التطبيقات على التحريف باللفظ:

من تطبيقات هذه القاعدة[٢] قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٣]، فهذه الآية ظاهرة الدلالة بأن الله كلم موسى، حيث إن لفظ الجلالة مرفوع، فالمتكلم هو الله عز وجل، وهذا واضح من ظاهر النص، لكن هناك من ضل عن الحق، وحرّف الحركة الإعرابية في لفظ الجلالة، من الرفع إلى النصب، وبهذا يتغير المعنى، من معنى صحيح إلى معنى فاسد، فيكون الفاعل هو موسى، ولا يكون فيها إثبات كلام لله، فهذا التحريف اللفظي قاد إلى تحريف عن المعنى الظاهر، وفاعله متعد؛ لأن«جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله، فإنه متعد».

ثانيًا: التطبيقات على تحريف المعنى:

من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾[٥]، فاليد صفة ثابتة لله عز وجل، بدلالة هاتين الآيتين، لكن هذه اليد لا تشبه

---

(١) سورة البقرة، آية (٧٥).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد خليفة التميمي، ص(٧٠).

(٣) سورة النساء، آية (١٦٤).

(٤) سورة المائدة، آية (٦٤).

(٥) سورة ص، آية (٧٥).

صفات المخلوقين، بل يد تليق بجلاله، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١]، ففي هذه الآية إثبات ونفي، إثبات للصفات، ونفي للماثلة، فظاهر هاتين الآيتين أن لله يدًا، لكن هناك من حرّف النص عن ظاهره، وفسّر اليدين بالنعمة، أو القوة، فحرف وتعدى، ونفى صفة اليد عن الله.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[٢]، فظاهر هذه الآية أن الله استوى على العرش استواء حقيقيًا يليق بعظمته، والمحرفة حرّفوا المعنى الظاهر من الآية، وفسّروا الاستواء بالاستيلاء[٣]، وهذا التحريف يغير المعنى تمامًا، ويلزم منه أن العرش لم يكن فترة من الزمنلله، بل كان غيره مستوليًا عليه، حتى غالبه الله فغلبه، ثم استوى عليه-تعالى الله-.

فتبين لنا من خلال هذه الآيات أن التحريف عن المعنى الظاهر، يقود إلى معنى مغاير تمامًالمراد النص، مما يُظهر جليًا صحة القاعدة التي نصّت على أن«جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله فإنه متعد».

قال الشيخ: «فمن قال إن المراد باليدين النعمة، فهو مؤول، ومن قال: إن المراد بالاستواء الاستيلاء، فهو مؤول[٤] ومقصود الشيخ التأويل المذموم الذي هو التحريف.

---

(١) سورة الشورى، آية (١١).

(٢) سورة الأعراف، آية (٥٤).

(٣) انظر: تفسير الرازي المعروف بمفاتيح الغيب (١٢٥/٣١).

(٤) شرح العقيدة السفارينية للشيخ، ص(١٢٩).

القاعدة الثانية: «كل كُتب الله لا يوجد فيها، أو فيما جاءت به الرسل خبران مختلفان في صفات الله» "[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

الشرح:

الكلام في هذه القاعدة فرع عن الكلام عن التعارض بين نصوص الوحي، إذ أن السؤال العريض الذي لا بد من الإجابة عليه: هل يقع التعارض بين نصوص الوحي؟

فإذا حررنا جواب هذا السؤال نكون قد حررنا ما جاء في نص القاعدة، إذ أن السؤال يتعرض للنصوص بالجملة، ونصوص الصفات جزء منها.

فأقول: إن جميع الكتب التي أنزلها الله على رسله يصّدق بعضها بعضًا، لأن مشرّعها واحد، وهو الله عز وجل، ودعوتها واحدة، وهي: الإيمان بالله وتوحيده، وإنما الاختلاف يقع في الشرائع والمنهج، أما مايتعلق بالعقيدة، وتوحيد الله، وصفاته، فليس بين دعوة الأنبياء اختلاف فيها؛ لأن الله أخبر في آية المائدة أن هذه الكتبيصدّق بعضها بعضها، كما قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾[٢].

قال ابن عباس في قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾: «موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع»[٣].

---

(١) كتاب شرح الكافية الشافية للشيخ (١٤٠/٢).

(٢) سورة المائدة، الآيات (٤٦-٤٨).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٩٥/١).

فتبين لنا أن التوحيد، ومسائل الصفات وغيرها من مسائل العقائد، من الأصول التي جاءت الكتب بالاتفاق فيها، فكل كتاب يصدق الآخر فيها، بمعنى أن الأخبار الواردة فيها متوافقة مع بعضها وليست مختلفة.

وكما قال ابن القيم في الكافية.

فمـــن المحـــال بأن يكـــون لرســـله في وصـــفه خـــبران مختلفـــان[١]

وقال في موضوع آخر: «قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[٢]، وذلك أن الكتاب الأول مصدق للقرآن، فمن نظر فيه علم علمًا يقينًا أن هذا وهذا من مشكاة واحدة، لا سيما في باب التوحيد والأسماء والصفات، فإن التوراة مطابقة للقرآن في ذلك، موافقة له، وهذا يدل على أن ما في التوراة من ذلك ليس هو من المبدل المحرف الذي أنكره الله عليهم، بل هو من الحق الذي شهد للقرآن وصدقه، ولهذا لم ينكر النبي عليهم ما في التوراة من الصفات، ولا عابهم به، ولا جعله تشبيهًا وتجسيمًا وتمثيلًا»[٣].

كما أن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات الإلهي، فلا يمكن أن يأتي في كتب الله خبران مختلفان عن صفات الله، لأن من أقر بهذا، فقد أقر بالاختلاف في الأخبارعن الذات، وهذه إقرار فاسد، فإذا تبين لنا أن الشرع والعقل ينفيان أن يكون في كتب الله المنزلة على الرسل خبران مختلفان في صفات الله، وما ظن وجوده، فإنماهو شبه وإشكالات، قد انبرى لها أهل العلم بالبيان والتوفيق بينها، وألفوا فيها المؤلفات.

قال الشيخ: «فلو قال قائل: إذا كان الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فهل هذا ينافي العلو؟ قلنا: لا ينافيه؛ لأن كونه في العلو ثابت بخبر، ونزوله إلى السماء الدنيا ثابت بخبر، والخبران لا يتناقضان؛ لأننا لو جوزنا تناقض الخبرين، لجوزنا أن أحدهما كاذب

---

(١) متن القصيدة النونية (الكافية الشافية)(١/٨٥).

(٢) سورة الأنعام، آية (١١٤).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/١٠٤٤).

وهذا محال، ولكن يقال إن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فلا يلزم من نزوله إلى السماء الدنيا أن يكون غير عالٍ على خلقه»[١].

فآية المائدة صريحة الدلالة على توافق هذه الكتب فيما جاء فيها من مسائل العقائد التي من ضمنها مسائل الصفات، وأنها سليمة من التناقض والاختلاف، و قد جعل الله القرآن خاتم هذهالسلسلة المنزلة من الكتب المصدق بعضها البعض، وجعله هو المهيمن والشاهد على هذه الكتب كلها – كما قال ابن عباس[٢] – بما فيها تصديق وتوحيد، وناسخ لما فيها من تشريع، وذلك تكفل الله بحفظه كما تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٣].

فالقرآن الكريم أنزله الله بلسان عربي مبين، محكم متقن، ليس فيه اختلاف لا في أخباره ولا في أحكامه، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٤] قال قتادة: «أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض»[٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٦]، قال أبو جعفر الطبري: «وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه»[٧].

فهاتان آيتان صريحتان في دلالتهما بإتقان القرآن في أخباره وأحكامه، وأخبار الصفات من ضمن هذه الأخبارالمحكمة التي أحكمها الله في كتابه، فلن يأتي في القرآن خبران مختلفان في صفات الله كما نصت القاعدة، فمن زعم هذا قلنا له أحضر آية واحدة تصدّق ما تقول؛لأن هذا القرآن قد تكفل الله بحفظه فلن يدخله التحرّيف، وأيضًاقد تحدى به الخلق فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن

---

(١) شرح الكافية الشافية للشيخ (١٤٠/٢).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٩٥/١).

(٣) سورة الحجر، آية (٩).

(٤) سورة هود، آية (١).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٤٣٨/٢).

(٦) سورة النساء، آية (٨٢).

(٧) تفسير الطبري (٥٦٧/٢).

دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[١].

أمَّا إن وقع أو حدث لبس واستشكال، بين آيتين أو أكثر، وكان ظاهرهما الاختلاف والتعارض، فحينئذٍ فالمنهج الشرعي القائم على التصديق بالقرآن والوحي المنزل، يقرر أن هذا تعارض ظاهري وقع لفهمالشخص، لا في نفس الأمر، روى الطبري عنابن زيد[٢] قال: «إن القرآن لا يكذب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، ما جهل الناس من أمر فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم»[٣].

ورب العالمين أخبرنا أن في القرآن آيات محكمات وأُخر متشابهات، وهذه التشابه لا يعني التناقض والإختلاف في نفس الأمر، وإنما يعني التشابه النسبي على بعض الناس، وليس الكل، فالراسخون في العلم يعرفون المتشابه على أحد قولي أهل العلم في آية آل عمران[٤]: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢٣-٢٤).

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، مولى عمر رضي الله عنه، وهو صاحب حديث: (أحلت لنا ميتتان، ودمان)، يرويه عن أبيه، عن ابن عمر، توفي رحمه الله سنة اثنتين وثمانين ومائة.
انظر: تاريخ الإسلام (٩٠٤/٤).

(٣) تفسير الطبري (٥٦٧/٨).

(٤) قال ابن كثير: «اختلف القراء في الوقف هاهنا، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل... ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾».
ونقل ابن كثير أن ابن عباس قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وكذلك نقل أن مجاهدً قال: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.. ثم قال ابن كثير: «من العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان:
أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه... فإن أريد التأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره.
وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالا منهم». انظر: تفسير ابن كثير (١٠/٢).

قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[١]

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾أي: أصله»[٢].

فالإحكام والتشابه في القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام[٣]:

١- الإحكام العام: بمعنى الإتقان في أخباره وأحكامه.

٢- التشابه العام: معناه التماثل بين أخباره، والتناسب في أحكامه، وتصديق بعضه بعضًا، وهذا ثابت بكتاب الله، كما في سورة الزمر﴿مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾[٤].

٣- التشابه الخاص: مشابهة الشيء لغيره من وجه، ومخالفته من وجه آخر، واشتباهه.

٤- الإحكام الخاص: الفصل بين الشيئين المشتبهين من وجه، المختلفين من وجه آخر.

وهذه التقسمات الأربع نتيجة الجمع بين الآيات التالية:

١- قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٥]، هذه الآية في الإحكام العام.

٢- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[٦]، وهذه الآية في التشابه العام.

---

(١) سورة آل عمران، آية (٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٢).

(٣) الأصول القرآنية في أسماء الله وصفاته العلية، للدكتور أحمد القاضي، ص(٤٢)،.

(٤) سورة الزمر، آية (٢٣).

(٥) سورة هود، آية (١).

(٦) سورة النساء، آية (٨٢).

٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[١] وهذه الآية في التشابه الخاص والإحكام الخاص.

قال ابن تيمية: «والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان، فقد سماه الله حكيمًا بقوله: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٢]، فالحكيم بمعنى الحاكم، كما جعله يقص بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٣]، وجعله مفتيًا في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤] أي: ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن، وجعله هاديًا ومبشرًا في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٥].

وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٦]، وهو الاختلاف المذكور في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[٧].

فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضًا، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به، أو بنظيره، أو بملزوماته، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل ينهى عنه، أو عن نظيره، أو عن لوازمه، إذا لم يكن هناك نسخ.

وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك، بل يخبر بثبوته، أو بثبوت ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته، بل ينفيه، أو ينفي لوازمه، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضًا، فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد، أو يفرق بين

---

(١) سورة آل عمران، آية (٧).

(٢) سورة يونس، آية (١).

(٣) سورة النمل، آية (٧٦).

(٤) سورة النساء، آية (١٢٧).

(٥) سورة الإسراء، آية (٩).

(٦) سورة النساء، آية (٨٢).

(٧) سورة الذاريات، الآيتان (٨-٩).

المتماثلين، فيمدح أحدهما ويذم الآخر، فالأقوال المختلفة هنا هي المتضادة، والمتشابهة هي المتوافقة.

وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ، فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضًا، ويعضد بعضها بعضًا، ويناسب بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعض، ويقتضي بعضها بعضًا - كان الكلام متشابهًا، بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضًا.

فهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضًا، لا يناقض بعضه بعضًا.

بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص، فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما، فيكون مشتبهًا عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دونبعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه»[(١)].

وبعد هذا التفصيل في مسألة المحكمات والمتشابهات، يتأكد لنا أن آيات الصفات سليمة من الاختلاف والتناقض، فهي واضحة جلية في القرآن، وفي جميع الكتب المنزلة، إذ أن جميع الكتب يصدق بعضها بعضًا، والقرآن مهيمن وشاهد عليها.

فالمنهج السليم في نصوص الصفات هو الإيمان بها على حقيقتها، والتسليم بما ورد من ظاهرها، دون تكييفها، أو التعمق والتنطع في الفحص عن كنهها، لأن ثبوتها عن طريق الخبر وليس العقل، وما يقال في نصوص القرآن يقال في نصوص السنة؛ إذ أنهما هما مصدرا التشريع، ورسول الله مبلغ عن ربه، ورب العالمينيقول عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[(٢)] ولذلك أَمر رسول الله الشرعي يُقرن مع أمر الله الشرعي بدون عطف بثم، كما في

---

(١) التدمرية (١/١٠٣).

(٢) سورة النجم، الآيتان (٣-٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[١] ؛لأن طاعة الرسول طاعة لله، فإذا تقرر هذا فإنه لا تعارض بين نصوص الكتاب والسنة أيضًا، وإذا وُجِد هذا فهو تعارض في فهم الشخص لا في نفس النصوص.

قال ابن عبد البر[٢]: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة»[٣].

قال الشاطبي: «..أن يوقن أنه لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع[٤] واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادئ الرأي إلى ظاهر اختلاف، فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛لأن الله قد شهد له أن لا اختلاف فيه»[٥].

وقال ابن تيمية: «ما أخبر به الرسول عن ربه عز وجل فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه»[٦].

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٣٢).

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي؛ أحفظ أهل المغرب، صنّف كتبًا مفيدة، منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، و" الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار " توفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة، بمدينة شاطبة من شرق الأندلس رحمه الله. انظر: وفيات الأعيان (٧١/٧).

(٣) نقله ابن تيمية في كتابه الفتوى الحموية الكبرى (٤٨٢/١).

(٤) المهيع: هو الطريق الواسع الواضح. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٥/٦).

(٥) الاعتصام للشاطبي (٨٢٢/٢).

(٦) التدمرية لابن تيمية، ص(٦٥).

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

تقرر معنا كما في القاعدة: أن كل كتب الله لا يوجد فيها، أو فيما جاءت به الرسل خبران مختلفان في صفات الله، وكتب الله السابقة على القرآن لم يتكفل الله بحفظها، بل وكله إلى أحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١]، فما حفظوا ما استحفظوا، بل ضيعوا وحرفوا، فأصبحنا اليوم لا نستطيع أن نطبق عليها؛لأنه يوجد فيها أخبار متناقضة كما نصّ على ذلك القرآن، وبما أن القرآن هو الناسخ والمهيمن على تلك الكتب السابقة، فتطبيقات القاعدة سوف تكون على الآيات التي ظُن فيها التضاد والتعارض في صفات الله.

- **صفات الله تنقسم إلى قسمين**[٢]:

القسم الأولى: **صفات ثبوتية:** وهي التي أثبتها الله لنفسه في كتابه، أو أثبتها له رسول في سنته.

وهي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وهي نوعان:

النوع الأول: صفات ذاتية: وهي التي كان الله ولازال متصفًا بها، لا تنفك عنه سبحانه كالسمع والبصر.

النوع الثاني: صفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته واختياره، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها: كالضحك والمجيء.

القسم الثاني: **صفات سلبية أو منفية:** وهي التي نفاها الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، ونفيها مع إثبات كمال ضدها هو الكمال والواجب.

---

(١) سورة المائدة، آية (٤٤).

(٢) هذه التقسيم من كتاب القواعد المثلى للشيخ (٣٣-٣٧).

- **التطبيقات على الصفات الثبوتية:**

- من تطبيقات القاعدة على الصفات الذاتية قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، فقد يُفهم من هاتين الآيتين وجود التناقض والاختلاف بينهما، إذ أن الأولى تفيد أنه كان متصفًا بالسمع والبصر، ومفهومها أنه الآن ليس كذلك، فتخالف الثانية وما في معناها.

وقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما عن مثل هذا، فقد سأله رجلفقال: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، وذكر منها هذا السؤال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤]، ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٥] فكأنه كان ثم مضى؟

فأجاب ابن عباس قائلًا: «﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله»[٦].

وقال الفراء[٧] في معاني القرآن: «ربما أدخلت العرب (كان) على الخبر الدائم الذي لاينقطع»[٨].

من تطبيقات القاعدة على الصفات الفعلية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١٠].

---

(١) سورة النساء، آية (١٣٤).

(٢) سورة الحج، آية (٦١).

(٣) سورة النساء، آية (٩٦).

(٤) سورة النساء، آية (٥٦).

(٥) سورة النساء، آية (٥٨)، و(١٣٤).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن (١٢٧/٦).

(٧) الفراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، قيل: عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام، توفي رحمه الله بطريق الحج، سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩١/٨).

(٨) معاني القرآن للفراء (٤٠٣/٢).

(٩) سورة الأعراف، آية (٥٤).

(١٠) سورة الحديد، آية (٤).

قد يُفهم من هاتين الآيتين وجود التناقض والاختلاف بينهما، إذ الآية الأولى تفيد أن الله سبحان استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، والآية الثانية قد يُفهم منها أن الله مع البشر في كل مكان، فيقال: كيفيكون الرب جل في علاه قد استوى علىعرشه-وعرشه في السماء- ويكون معنا في كل مكان؟

والجواب عن هذا أن يقال: إن صفة الاستواء على العرش من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه، وليس بين صفة الاستواء وبين صفة معيته لخلقه أي اختلاف أو تعارض، فالمعية معية علم وإحاطة، لا معية اختلاط وامتزاج، فأي محذور في كونه مستويًا على عرشه، ومع خلقه بعلمه؟كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

قال الشيخ: «نحن نعلم أن الله فوق كل شيء، وأنه استوى على العرش فإذا سمعنا قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فلا يمكن أن يفهم أحد أنه معنا على الأرض، لا يتصور ذلك عاقل فضلًا عن مؤمن، ولكنه معنا سبحانه وهو فوق العرش فوق سماواته، ولا يستغرب هذا؛ فإن المخلوقات وهي لا تنسب للخالق تكون في السماء ونقول: إنها معنا.فيقولشيخ الإسلام: تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا[٢]، ومع ذلك فالقمر مكانه في السماء، فالله مع خلقه، ولكنه في السماء»[٣].

قال اللالكائي: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[٤]: «فدلت هذه الآية أنه تعالى في السماء، وعلمه محيط بكل مكان من أرضه وسمائه، وروي ذلك من الصحابة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة رضي عنهم»[٥].

---

(١) سورة الحديد، آية (٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠٣/٥).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ (١٤٣/١).

(٤) سورة الأنعام، آية (٦١).

(٥) شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٣٠/٢).

القاعدة الثالثة: «كل من قاس صفات الله بصفات المخلوق، فإنه يضل بتحريف النص وتعطيل الصفة أو التمثيل» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

هذه القاعدة تقوم على ثلاثة أصول[٢]:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾[٣].

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[٤].

الأصل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٥].

الشيخ رحمه الله في هذه القاعدة بيّن أن من قاسصفات الله بصفات المخلوق فإنه لا بد منه أن يسلك أحد مسلكين:

الأول: التعطيل.

الثاني: التمثيل.

والسبب الأول في سلوكه أحد هذين المسلكين، أن القياس لا يكون إلا لمن كان له مثيل، والله لا مثيل له، فلا بد أن يقع القائس في أحد هذين النجدين:

التعطيل، بأن ينكر الصفة أصلًا، أو يمثلها بمخلوق مشاهد.

كما في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، فمن مَثَّل الله بخلقه، فقد ناقض أول الآية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، ومن أنكر صفته وعطّلها فقد ناقض الشق الثاني من الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وهذه الآية فيها دلالة صريحة على

---

(١) شرح الكافية الشافية للشيخ (٩٨/٢).

(٢) لمعرفة تفاصيل هذه الأصول انظر: كتاب الأصول القرآنية للدكتور القاضي، ص(١٥، ٢٥، ٣٠).

(٣) سورة فصلت، آية (٤٠).

(٤) سورة الشورى، آية (١١).

(٥) سورة الشورى، آية (١١).

محتوى القاعدة، قال الشوكاني[١]: «المبالغة في النفي بطريق الكناية، فإنه إذا نفي عمن يماثله كان نفيه عنه أولى. كقولهم: مثلك لا يبخل، وغيرك لا يجود... قوله: وهو السميع البصير، فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل على برد اليقين، وشفاء الصدور، وانثلاج القلوب، فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة، والبرهان القوي، فإنك تحطم بها كثيرًا من البدع، وتهشم بها رؤوسًا من الضلالة، وترغم بها آناف طوائف من المتكلفين، ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه: ولا يحيطون به علمًا»[٢].

- **لكن من هم الممثلة ومن هم المعطلة؟**

الممثلة (المشبهة):

جمع ممثل وهو من جعل لله مماثلًا فيما يختص به من حقوق أو صفات[٣]، والتمثيل في باب الصفات أن يجعل لله مثيلًا في صفاته، كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان، وسمع الله مثل سمع الإنسان وهكذا، وهذا مردود بالشرع والعقل والفطرة.

- أما الشرع: فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا نص صريح وقطعي الدلالة على نفي المماثلة.

- أما العقل فمن وجوه كما قال الشيخ:

«الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله: فقيه، أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بها سنة ١٢٥٠ هـ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها، له مؤلفات كثيرة منها وهو من أشهرها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، ونيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والسيل الجرار، و إرشاد الفحول.
انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٨/٦)، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر لعادل نويهض (٥٩٣/٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٦٠٥/٤).

(٣) مجموع فتاوى الشيخ (٢١/٥).

المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلًا غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث، فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تَنقّص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة»[(١)].

- أما الفطرة: فإن الإنسان بفطرته ينكر المماثلة بين الخالق الكاملوالمخلوق الناقص.

فهذه ردود من الشرع، والعقل، والفطرة على من حرّف النص المنطوق بنفي المماثلة.

لكن هل هناك فرق بين التمثيل والتشبيه؟

قال الشيخ: «والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾»[(٢)].

وقال ابن حجر الهيتمي[(٣)]: «المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، والمشابهة تقتضي ذلك في الأكثر»[(٤)] وذهب السيوطي[(٥)] لمثل هذا[(٦)].

---

(١) القواعد المثلى للشيخ، ص(٢٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٧).

(٣) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، أبو العباس، توفي بمكة سنة ٩٧٤ هـ. له تصانيف كثيرة، منها مبلغ الأرب في فضائل العرب و الجوهر المنظم رحلة إلى المدينة، و الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة.انظر: الأعلام للزركلي (٢٣٤/١).

(٤) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (١٣٦/١).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي سنة ٩١١ هـ، من كتبه تفسير الجلالين والإتقان في علوم القرآن.

انظر: الأعلام للزركلي (٣٠١/٣).

(٦) الحاوي للفتاوي للسيوطي (٣٢٨/٢).

ويُفضّل ابن تيمية استخدام لفظة التمثيل؛ لأنه هو اللفظ الوارد في القرآن، ولأن لفظة التشبيه تحتمل معنيين: صحيحًا وفاسدًا، بخلاف لفظة التمثيل فقال: «ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[٢]، وكان أحب إلي من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله وإن كان قد يعنى بنفيه معنى صحيح كما قد يعنى به معنى فاسد»[٣].

ولعل هذا عند الاختيار، وعند اجتماعهما، وإلا فقد نقل عن غير واحد من السلف التعبير عن التمثيل بالتشبيه، كما نقل ابن تيمية في المجموع عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وإسحاق بن راهويه وغيرهما أنهم قالوا: «المشبهة الذين يقولون: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي»[٤].

وهل هناك فرق بين التمثيل والتكييف؟

التمثيل سبق التعريفبه، أمَّا التكييف فهو متعلق بالحقيقة والكنه[٥]، كأن يصف يد الله ويتكلم عن شكلها وعن حقيقتها وكنهها، دون أن يمثلها بمماثل، أما الممثل فيمثل مباشر بصفة المخلوق، **وكل ممثل مُكّيف، ولا عكس**[٦].

قال السعدي: «التكييف: هو تكييف صفات الله والبحث عن كنهها، والتمثيل: أن يقال فيها مثل صفات المخلوقين»[٧].

والتكييف محرم وتعدٍ على الصفة؛لأن الله أثبت أنه ليس كمثله شيء، ولا يتصور أن يُكيَّف إلا من رؤي، أو رؤي مثيله، فأما إذا انتفت الرؤية، ورؤية المثيل، فليس إلى التكييف سبيل.

---

(١) سورة الشورى، آية (١١).

(٢) سورة مريم، آية (٦٥).

(٣)مجموع الفتاوى (١٦٦/٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥٤/١٣).

(٥) الكنه في اللغة: جوهر الشيء. انظر: لسان العرب (٥٣٧/١٣).

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ (١٠٢/١)،

(٧) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي، ص(٢٣).

- **المعطلة.**

المعطلة جمع معطل: وهو من أخلى النص من معناه المفهوم من ظاهر لفظه، كمن يأتي إلى قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١]، فيخلي الآية من معناها الظاهر، ويسلك أحد طريقين:

١- إما أن يؤول المعنى بالنعمة مثلًا، أو القوة، وهو تحريف وليس بتأويل.

٢- أو أن يفوّض المعنى إلى الله، ويقول الله أعلم بمراده.

وكل مُفوّض معطل، ولا يلزم أن يكون كل مُعطل مفوّضًا؛ لأنه قد يؤول تأويلًا مذمومًا، فيثبت معنى في نفس الأمر معلومًا، ولكنه باطل لا يفهم من ظاهر اللفظ، والسبب الذي جعل المعطل يسلك هذا المسلك هو أنه أخذ ببعض الكتاب وترك بعضه أخذ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]، فجعل من هذ الشق دليلًا على النفي المطلق، فنفى كل صفة مشتركة بين الخالق والمخلوق بالمعنى العام، لأن إثبات أصل الاشتراك عنده يضاد هذا الشق من الآية، فالمعطل ترك الشق الثاني وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣]، إذ أن هذا الشق فيه إثبات صفة السمع والبصر بالمعنى الحقيقي، والمخلوق يسمع ويبصر، وعلى اختيار المعطل، فإن التشابه في أصل الصفة يوجب تعطيلها عن البارئ لئلا يشابه المخلوق!!

فمذهبهم باطل من وجوه:

قال الشيخ: «أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربيٍ مبين؛ ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

---

(١) سورة ص، آية (٧٥).

(٢) سورة الشورى، آية (١١).

(٣) سورة الشورى، آية (١١).

الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم»[١].

من هم الذين سلكوا مسلك التعطيل، وأين تكمن وسطية السلف بينهم وبين الممثلة والمشبهة؟

المعطّل في حقيقة مذهبه قد وقعفي التمثيل؛ لأن التعطيل غاية ونتيجة للتمثيل، وما عطل من عطل إلا لظنه أنه إن أثبت ظاهر النص مَثَّل، ففر بزعمه من الإثبات لأنه يقتضي للتمثيل عنده، ووقع في التعطيل، والتعطيل كما تقدم ليس خاصًا بالأسماء والصفات، بلهو عام يشمل كل أبواب الاعتقاد، وكذلك الأحكام.

وكل من عطّل الصفة ففوّضها أو تأولها بتأويلٍ مذموم فهو معطل؛ لأنه أخلاها عن ظاهرها المراد منها.

قال الكناني[٢]: «المعطلة: هم الذين زعموا أن الله تعالى لا يوصف بما وصف به نفسه في القرآن الكريم، أو وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في صحيح السنة، وأكثر ما ذكر هذا الزعم الباطل عند المسمى جهم بن صفوان»[٣].

فالذين اشتهر عنهم هذا المسلك في باب الصفاتهمالجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة[٤].

قال ابن تيمية: «وهكذا أهل السنة والجماعة في الفِرق، فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت

---

(١) القواعد المثلى للشيخ، ص(٤٠).

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي أبو عبد الله الكناني الحموي، محدث فقيه توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة عن أربع وتسعين سنة، ودفن بالقرافة.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٤٠/٩)، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب لا بن الملقن (٤١٧/١).

(٣) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل للكناني (٣٤/١).

(٤) انظر: التدمرية لابن تيمية (١٥/١و ١٨)، ومجموع الفتاوى (١٥/٦)، عقيدة التوحيد وبيان مايضادها للشيخ صالح الفوزان، ص(٦٤).

الله به نفسه؛ حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل، الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات، فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل»[١].

قال ابن القيم: «يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين»[٢].

فالخلاصة في هذا الباب ما قاله ابن تيمية إذ قال: «فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب ولا يرضى، ولا نادى ولا ناجى، ولا استوى -كان معطلًا، جاحدًا، ممثلًا لله بالمعدومات والجمادات، ومن قال له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضا كرضاي، أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي- كان مشبهًا، ممثلًا لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل»[٣].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

تبينا لنا أن أهل السنة في باب الصفات وسط بين طرفين، وهما: أهل التعطيل، وأهل التمثيل، فالتطبيقات سوف تكون على ثلاثة مسالك، وكل هذه التطبيقات سوف تكون على آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٤] لمقارنتها بما تضمنته القاعدة تنص على أن: «كل من قاس صفات الله بصفات المخلوق فإنه يضل بتحريف النص وتعطيل الصفة أو التمثيل».

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٣/٣٣٤).

(٣) التدمرية (١/٣٠).

(٤) سورة الشورى، آية (١١).

إذ أن الشق الأول فيه نفي المماثلة بين الله وخلقه، والشق الثاني فيه إثبات الصفة لله، فعندما نسلّم لهذا النص الظاهر من الآية ونأخذها جميعًا بشقّيها فإنه يتبين لنا بكل وضوح وبدون تكلف، أن لله سمعًا وبصرًا حقيقيين، مع نفي مماثلة هاتين الصفتين لأحد، لكن عندما لا تُجرى هذه الآية على ظاهرها، وتُحرف فإن المحرّف سوف يأخذ الشق الأول ويترك الشّق الثاني، وسوف يقوده هذا الصنيع إلى تعطيل الصفات عن الله بحجة أن إثباتها يوجب الماثلة، وهؤلاء هم المعطلة، أو يأخذ المحرّف الشق الثاني من الآية ويترك الشق الأول، فيثبت الصفات لله لكن دون نفي المماثلة، فيجعلها مماثلة لصفات الخلق، وهؤلاء هم الممثّلة.

وبهذا يتبين لنا صحة القاعدة ودقتها إذ نصّت على أن«كل من قاس صفات الله بصفات المخلوق، فإنه يضل بتحريف النص وتعطيل الصفة أو التمثيل».

القاعدة الرابعة: «الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عمّا لم يرد إثباته ولا نفيه» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

الفطرة في اللغة[٢]:

تطلق ويراد به عدة معان:

المعنى الأول: الابتداء والاختراع. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٣].

المعنى الثاني: الخلقة، ومنه قولثعلب[٤]:

هــون عليــك فقــد نال الغــنى رجــل في فطــرة الكلــب، لا بالــدين والحــس

المعنى الثالث: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، ومنه عند الأكثرين قوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾[٥].

الفطرة في الشرع:

الإسلام، لقوله قوله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)[٦].

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر الإسلام، بل ذكر اليهودية والنصرانية والمجوسية والفطرة، مما يدل دلالة قطعية على أن الفطرة المقصود بها الإسلام، قال ابن تيمية: «فطرة الله

---

(١) شرح الكافية الشافية للشيخ (٤٣١/٣).

(٢) لسان العرب (٥٦/٥).

(٣) سورة فاطر، آية (١).

(٤) هو المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي، توفي في جمادى الأولى، سنة إحدى وتسعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/١١).

(٥) سورة الروم، آية (٣٠).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات (٩٤/٢/ح: ١٣٥٨).

التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[١]. وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة»[٢].

قال ابن رجب[٣]: «فإن الله خلق بني آدم، وفطرهم على قبول الإسلام، والميل إليه دون غيره، والتهيؤ لذلك، والاستعداد له بالقوة، لكن لا بد للعبد من تعليم الإسلام بالفعل، فإنه قبل التعليم جاهل لا يعلم شيئًا، كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾»[٤].

وقال الإمام أحمد: «من مات أبواه وهما كافران حكم بإسلامه»[٥].

وقال ابن حجر[٦]: «فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام»[٧].

فهذه نصوص وتفسيرات من كبار أئمة السلف تفسر الفطرة بالإسلام، فضلًا أن حديث المولود يقطع في ذلك، فالفطرة هي الإسلام، لكن ليس المقصود بالإسلام الأحكام والشرائع وتفاصيل ذلك، وإنما الانقياد، والسلامة من الإعتقادات الباطلة، والإستعداد لقبول الحق وهو الإسلام وبعد ذلك لأوامره ونواهيه، إذا سلم من المؤثرات الصارفة، فإذا تبين هذا فإن القاعدة تنص على أن الفطرة السليمة تقود العبد إذا سلم من المؤثرات، إلى إصابة المعتقد الصحيح في باب الأسماء والصفات، وذلك بإثبات ماثبت لله من أسماء وصفات، ونفي مانفى الله عن نفسه، والسكوت عمالم يردإثباته ولا نفيه، وهذه القاعدة تقوم على أربعة أصول:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٨].

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٧٢).

(٢) مجموع الفتاوي (٤/٢٤٥).

(٣) هو الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، صنف تصانيف كثيرة منها: شرح الترمذي وشرح علل الترمذي وذيل طبقات الحنابلة وغيرها كثير، توفي رحمه الله في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١/٥٤٠).

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب (٢/٣٢).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٣/٢٤٨).

(٦) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني إمام الحفاظ في زمانه وحافظ الديار المصرية، صنّف التصانيف التي عم النفع بها كشرحه المشهور على صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (١/٥٥٢/ح: ١١٩٠).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٣/٢٤٨).

(٨) سورة الروم، آية (٣٠).

الأصل الثاني: قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[١].

الأصل الثالث: قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾[٢].

الأصل الرابع: قول الرسول صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم[٣].

تفاصيل هذه الأصول:

- الأصل الأول: في بيان الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، وهي الإسلام كما جاء في الحديث (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)، قال أبو هريرة رضي الله وهو راوي الحديث تعليقًا على هذا الحديث: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٤].
- الأصل الثاني: قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾، هذا أصل فطري، أن الفطرة السليمة، تضطر لأن تثبت السمع والبصر وباقي صفات الكمال لفاطرها وخالقها، وهذا الإثبات متقرر في فطرة الإنسان، إذ أن الإنسان بفطرته ينكر أن يكون الإله المعبودمعطلًا عن الصفات؛لأن ثبوتها صفات كمال، وفقدانها صفات نقص، وهذه الفطرة يؤكدها قول إبرهيم لأبيه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُوَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾، ومن الأصول أيضًا في الإثبات الفطري قول الرسول للجارية: (أين الله؟) قالت في السماء قال: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة)[٥]، فهذا الجواب الفطري من جارية لم تتعلم، يثبت أن الفطرة لو تُركت لأقرت بمقتضى ما فُطرت عليه بوحدانية خالقها وكماله.

---

(١) سورة مريم، آية (٤٢).

(٢) سورة مريم، آية (٤٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم (١/٢٩/ح: ٨٧).

(٤) سبق تخريجه، ص(١٥٠).

(٥) سبق تخريجه، ص(٣٢).

● الأصل الثالث: قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾، قال ابن كثير: «أيلا ينفعك ولا يدفع عنك ضررًا»[١].

فهذا احتجاج من الخليل على أبيه بدليل الفطرة، وأن الفطرة تدفع أن يعبد الشخص ما لا يملك له ضرًا ولا نفعًا، وقد تقرر في الفطر أن العجز ليس من صفات الإله المعبود، بل هي صفة نقص، كمافي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٢].

قال ابن القيم: «من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة أن يكون المِلك الحقّ عاجزًا أو جاهلًا، لا يعلم شيئًا، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلّم، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يثيب ولا يعاقب، ولا يعزّ من يشاء ولا يذل من يشاء، ولا يرسل رسله إلى أطراف مملكته ونواحيها، ولا يعتني بأحوال رعيته، بل يتركهم سدًى، ويخلّيهم هَمَلًا، وهذا يقدح في مُلك آحاد ملوك البشر ولا يليق به، فكيف يجوز نسبة المِلك الحق المبين إليه؟»[٣].

إذًا هذا الأصل يدل على أن الفطرة السليمة توجب نفي ما نفى الله عن نفسه من النقص.

● الأصل الرابع: قول الرسول صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟) قالوا: الله ورسوله أعلم[٤]

وهذا الجواب من وفد عبدالقيس جواب فطري لكل من يجهل الجواب، فلم يخوضوا بغير علم، وهو بمثابة السكوت عن كل أمر لا يُعرف جوابه، ومن ضمن ذلك الصفات التي لم يردفيها إثبات ولا نفي، لأن الجواب عنها بالإثبات أو النفي قولٌ على الله بغير علم، وقد نهى الله جل وعلا عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٥]، وهذا النهيمتقرر في فطرة الإنسان[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٣٤).

(٢) سورة فاطر، آية (٤٤).

(٣) الجواب الكافي لابن القيم (١/٣٧).

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

(٥) سورة الإسراء، آية (٣٦).

(٦) انظر: كتاب الأصول القرآنية للدكتور القاضي، ص(٣٥).

فالخلاصة: أن هذه الأصول تؤكد أن الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، والسكوت عما لم يرد فيه إثبات ولا نفي، كما نصّت على ذلك القاعدة.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

تطبيقات هذه القاعدة قد أوردتها بالتفصيل في ثنايا الحديث عن الأصول الأربعة التي تقوم عليها هذه القاعدة، وهنا سوف أوردها على سبيل الإجمال.

القاعدة تنص على أن «الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عمّا لم يرد إثباته ولا نفيه».

تطبيقات القاعدة سوف تكون على مايلي:

١- الأصل الثاني وهو متعلق بصفات الكمال.

٢- الأصل الثالث وهو متعلق بصفات النقص.

٣- الأصل الرابع وهو متعلق بالصفات التي ليست كمالًا ولا نقصًا.

- من تطبيقات القاعدة على الإثبات: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[١].

ففيه هذه الآية إثبات صفتي القوة والعزة، وفطرة العبد كما في الأصل الثاني توجب إثبات هاتين الصفتين، لأنهما صفتا كمال، وفقدانهما نقص.

والفطرة السليمة توجب إثبات كل صفة هي كمال لله، وفقدانها نقص وقدح كما تقرر في الأصل الثاني.

- من تطبيقات القاعدة على النفي: قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٢].

في هذه الآية نفي لصفة النوم عن الله، وفطرة العبد كما في الأصل الثالث توجب نفي هذه الصفة عن الله، لأن النوم نقص في الحياة، وناقص الحياة لا يكون إلهًا.

---

(١) سورة الشورى، آية (١٩).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

- من تطبيقات هذه القاعدة: (صفة الحيز).

هذه الصفة من الصفات التي لم يرد فيهاإثبات ولا نفي، فهي ليست صفة كمال، وليست صفة نقص، فلذلك الفطرة السليمة تسكت عنهافلا تنفيها ولا تثبتها، إلا إذا استفصل عن معناها، فحينئذ يكون الإثبات أو النفي مُنصبًا على المعنى المذكور.

القاعدة الخامسة: «كل ما أسنده الله لنفسه فهو له نفسه لا لغيره» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

هذه القاعدة تقوم على ثلاثة أصول، أصلان من القرآن وأصل من السنة:

الأصل الأول: وهو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢].

الأصلالثاني: وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[٣].

الأصل الثالث: وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالىكل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني؟ فأستجيبَ له، من يسألني؟ فأعطيَه، من يستغفرني؟ فأغفرَ له)[٤].

فالقاعدة بهذا النص تقوم على الأصلين القرآنيين دون النبوي، لأن الشيخ قال: «كل ما أسنده الله» فقط، ولم يقل: أو أسنده له رسوله، لكني أدرجت هذه الأصل النبوي في الأصول التي تقوم عليها القاعدة؛ لأنه يتوافق معها ولا يعارضها، ولأن الشيخ من منهجه المعروف – كما قرر في أحد القواعد المتعلقة بتوحيد الألوهية– يوافق على إضافة عبارة أو أسنده له رسوله؛ لأن الرسول مبلغ عن الله، فالأكملإضافة عبارة (أو أسنده له رسوله)فتكون صياغة القاعدة كالتالي: «كل ما أسنده الله لنفسهأو أسنده له رسوله فهو له نفسه لا لغيره» لكنني سأستمر على صياغة الشيخ كما بيّنت في منهجية وإجراءات هذا البحث، وهذه الأصول على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر، وهذه القاعدة متعلقة بالصفات، إذ أن صفات الله كما مر معنا[٥] تنقسم إلى ثبوتية ومنفية، والصفات الثبوتية تنقسم إلى نوعين: ذاتية، وفعلية.

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ (١/١٩٩).

(٢) سورة الفجر، آية (٢٢).

(٣) سورة الاعراف، آية (١٤٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (٢/٥٣/ح: ١١٤٥)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١/٥٢١/ح: ٧٥٨).

(٥) انظر: تطبيقات القاعدة الثانية من هذا المبحث.

فالصفات الذاتية والفعلية تتفقانبأن الله موصوف بهذه الصفة، والفرق بين الصفات الذاتية والفعلية، أن الفعلية لها آثار وآحادتتجدد، وأنها تتعلق باختياره ومشيئته فإن شاء فعل، وإلا لم يفعل، قال الشيخ السعدي: «الجميع اشتركا بأن الله موصوف بها، وافترقا بأن صفات الأفعال لها آثار ومفعولات تتجدد عنها»[(١)]، وهذه الأفعال المتجددة، جنسها قديم وآحادها هي التي تتجدد؛ لأنها متعلقة بمشيئة الله سبحانه[(٢)].

قال الشيخ الهراس[(٣)] عن الصفات الفعلية: «تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفًا بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالًا لما يريد، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئًا فشيئًا، تبعًا لحكمته وإرادته»[(٤)].

فالشيخ عبّر بالإسناد في هذه القاعدة ولم يعبّر بالإضافة، وفي إحدى القواعد القادمة المساندة لهذه القاعدة عبّر بالإضافة للصفات الفعلية أيضًا، وهما وإن كان لا فرق بينهما، فالإضافة أبلغ في التعبير عن الصفات الذاتية، والإسناد أبلغ في التعبير عن الصفات الفعلية.

والكلام عن الصفات كالكلام عن الذات، فلا يجوز أن ننسب الصفات الفعلية لغيره سبحانه، لأن هذا تحريف يقود إلى تعطيل للصفة الثابتة لله، وذلك بتأويلها تأويلًا فاسدًا، أو تفويض معناها، والقاعدة تنّص على أن مانسبه اللهلنفسه فهو له لا لغيره، والقاعدة كما مر معنا قامت على أصول ثابتة وهي بالتفصيلكالتالي:

---

(١) الأجوبة السعدية على المسائل الكويتية، ص(١٣٠).

(٢) انظر: الأصول القرأنية للدكتور القاضي، ص(٥٤).

(٣) هو العلامة، السلفي، المحقق، محمد خليل هراس، من محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٩٥هـ عن عمر يناهز الستين، كان رحمه الله سلفي المعتقد، شديدا في الحق، قوي الحجة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، له مؤلفات عدة؛ منها: تحقيق كتاب (المغني) لابن قدامة، تحقيق وتعليق على كتاب التوحيدلابن خزيمة.

انظر: مقدمة شرح العقيدة الواسطية للهراس (٤١/١) تحقيق علوي السقاف.

(٤) شرح العقيدة الواسطية للهرّاس (١٦٠/١).

- الأصل الأول: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[١].

هذا الأصل فيه إثبات صفة المجيء لله دون تكييف، فالله سبحانه أسند هذا المجيء لنفسه لا لغيره فقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وقد تقرر معنا أن الأصل في النصوص أنها تُجرى على ظاهرها، والظاهر من الآية بكل وضوحأن الله هو الذي يجيء مجيئًا يليق بعظمته، فمن فسّر هذا المجيء بغير الظاهر منه، فقد قال على الله بغير علم، ووقع في التحريف، وهذا التحريف يقوده إلى تعطيلالصفة، إما بالتأويل فيقول: جاء أمر ربك[٢]، أو بالتفويض فيقول: لا أدري مامعناه، وإنما أفوض معناه إلى الله، وهذا ضلال، بل نثبت له سبحانه صفة المجيء؛ لأن الله أثبتها له لا لغيره، ومنهج السلف في الصفاتواحد، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عن الذي لم يرد فيه إثبات ولا نفي.وإليك قولين من أقوال السلف تثبت صفة المجيء لله:

١- قال ابن عباس: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ ويجيء ربك بلا كيف[٣].

٢- قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا»[٤].

فبهذا الأصل المفسر بأقوال السلف، يتبين لنا أن المجيء صفة حقيقة ثابتة لله، وهذا المجيء لا نعلم كيفيته، وإنما هي صفة أسندها الله لنفسه فهي له دون غيره كما نصّت القاعدة.

- الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾[٥].

هذا الأصل فيه إثبات صفة الكلام لله دون تكييف، فالله سبحانه أسند هذا الكلام لنفسه لا لغيره فقال: ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾، وقد تقرر معنا أن الأصل في النصوص أنها تُجرى على ظاهرها، والذي هو ظاهر الآية أن الله هو المتكلم، وكلامه لا نعرف كيفيته، فهو كلام عظيميليق بعظمته، فمن فسّر هذا الكلام بغير الظاهر منه فقد قال على الله بغير علم، ووقع في التحريف،

---

(١) سورة الفجر، آية (٢٢).

(٢) نقل هذا القول البغوي في تفسيره (٢٥٢/٥).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٥١١/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٩/٨).

(٥) سورة الأعراف، آية (١٤٤).

ويقوده هذا إلى أن ينسب الكلام لغير الله، بينما الله نسبه لنفسه بباء المتكلم، فكما أثبتنا أن لله صفة العزة والحكمة؛ لأن الله أثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١]، فكذلك نثبت له صفة الكلام؛ لأن الله أثبت ذلك له لا لغيره، وذلك في قوله: ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ ومنهج السلف في الصفاتواحد، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عن الذي لم يرد فيه إثبات ولا نفي، وذلك من خلال إجراء النصوص على ظاهرها.

وإليكشيئًا من أقوال السلف التي تثبت صفة الكلام له:

١- قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾قال: «وبتكلمي معك»[٢].

٢- قال قتادة: «اتخذ الله إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا»[٣].

٣- قال أبو جعفر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾: «أي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي»[٤].

فبهذا الأصل المفسر بأقوال السلف، يتبين لنا أن الكلام صفة حقيقة ثابتة لله، وهي صفة فعلية أسندها الله لنفسه، فهي له دون غيره، كما نصّت القاعدة.

و صفة الكلام تعتبر من الصفات التي هي ذات اعتبارين، فهي ذاتية فعلية، فجنسها ذاتي، وآحادها فعلية متجددة.

قال الشيخ عن صفة الكلام: «وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٥]»[٦].

---

(١) سورة إبراهيم، آية (٤).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٣٧/١).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٥٦٢/٥)، رقم الأثر (٨٩٥٤).

(٤) تفسير الطبري (١٠٥/١٣).

(٥) سورة يس، آية (٨٢).

(٦) القواعد المثلى للشيخ، ص(٢٥).

● الأصل الثالث: قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالىكل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني؟ فأستجيب له، من يسألني؟ فأعطيه، من يستغفرني؟ فأغفر له)[١].

هذا الأصل فيه إثبات صفة النزول لله دون تكييف، فالرسول أسند هذا النزول لله، لا لغيره، فقال: (ينزل ربنا) وقد تقرر معنا أن الأصل في النصوص أنتُجرى على ظاهرها، فمن فسّر هذا النزول بغير الظاهر منه، فيقول ينزل حكمه[٢] -مثلًا- فقد قال على الله بغير علم، ووقع في التحريف، أو التعطيل، فكما أثبتنا أن لله صفة السمع والعلم؛لأن الله أثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣]، فكذلك نثبت له صفة النزول؛ لأن الرسول أثبت ذلك لله لا لغيره، وذلك في قوله: (ينزل ربنا)؛ لأن منهج السلف في الصفاتواحد، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عن الذي لم يرد فيه إثبات ولا نفي، وإجراء النصوص على ظاهرها.

وإليك قولين من أقوال السلف تثبت صفة النزول لله:

١- قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[٤] قال: «ينادي مناد بين يدي الساعة: يا أيها الناس، أتتكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات، قال: وينزل الله، إلى سماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[٥].

٢- قال الذهبي: «ومسألة النزول فالإيمان به واجب، وترك الخوض في لوازمه أولى، وهو سبيل السلف، فما قال هذا: نزوله بذاته، إلا إرغامًا لمن تأوله، وقال: نزوله إلى السماء بالعلم فقط. نعوذ بالله من المراء في الدين.

وكذا قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[٦]، ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، وننهى عن القول: ينزل بذاته، كما لا نقول: ينزل بعلمه، بل نسكت ولا نتفاصح على الرسول صلى الله عليه وسلم بعبارات مبتدعة، والله أعلم»[٧].

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.
(٢) نقل هذا القول البغوي في تفسيره (٢٥٢/٥).
(٣) سورة البقرة، آية (١٣٧).
(٤) سورة غافر، آية (١٦).
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٦٥/١٠)، رقم الأثر (١٨٤٢٧).
(٦) سورة الفجر، آية (٢٢).
(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٦/١٥).

فبهذا الأصل المفسر بأقوال السلف، يتبين لنا أن صفة النزولصفة حقيقية ثابتة لله، وهو نزول لا نعلم كيفيته، والنزول صفة فعلية أسندها الرسول لربه، فهي له دون غيره كما نصّت القاعدة.

فهذه ثلاثة أصول ثابتة تقوم عليها القاعدة، وهذه الأصول على سبيل المثال لا الحصر، لأن الصفات الفعلية الثابتة لله كثيرة، وكلها تعتبر أصولًا تقوم عليها هذه القاعدة.

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

تقرر معنا كما في القاعدة أن أي صفة أسندها الله لنفسه، فهي له نفسه لا لغيره.

وسوف نطبّق بإذن الله على عدة أصول في الصفات الفعلية التي أسندها الله لنفسه.

فمنها هذه الأصول العشرة على سبيل الإجمال[١]:

- الأصل الأول: في صفة الاستواء على العرش قال تعال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢].

- الأصل الثاني في صفة الإتيان قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾[٣].

- الأصل الثالث في صفة الرضا قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٤].

- الأصل الرابع في صفة الغضب قال تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾[٥].

- الأصل الخامس في صفة الكراهية قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾[٦].

- الأصل السادس في صفة المحبة قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[٧].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس (١/١٦٠).

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣) سورة مريم، آية (٩٥).

(٤) سورة المائدة، آية (١١٩).

(٥) سورة البقرة، آية (٦١).

(٦) سورة التوبة، آية (٤٦).

(٧) سورة آل عمران، آية (٣١).

- الأصل السابع في صفة الخلق قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

- الأصل الثامن فيصفة الرزق قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٢].

- الأصل التاسع والعاشر في صفة الإحياءوصفة الإماتة قال تعالى: ﴿فَأَحۡيَىٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣].

فكل هذه الصفات الواردة في الأصول العشرة، صفات أسندها الله لنفسه، فلذلك يجب الإيمان بها، وبأنها حقيقة مع إمرارها على ظاهرها، والإيمان بأنها صفات لله وليست لغيره، وإني لأعجب كل العجب كيف بعاقل يدرك ويفهم الكلام فضلًا أن يكون مسلمًا يؤمن بالله وبالقرآن المنزّل، يقرأ كل هذه النصوص المحكمة والقطعية في دلالتها على الصفة التي وصف اللهُ بها نفسه، ثم يعطّلها إما بتأويلٍ أو تفويض، وأين يكمن إيمانه بالقرآن واتخاذه شريعة ! وإن أثبت بعض الصفات وأوّل البعض الآخر، فقد وقعفي التناقض، ويكون قد أجاب على نفسه بنفسه، إذ أن الأصول دلالتها واحدة ومصدرها واحد، وما لزمك فيما أثبت نلزمك به فيما عطلت، ومنهج السلف إمرارها على ظاهرها مع الإيمان بحقيقتها (بإثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل).

فأهل السنة والجماعة أسعد الناس بالدليل، وأفرحهم بالتنزيل، تلقّوه بالقلوب السليمة، والفطر المستقيمة، والعقول الصريحة، فقرّوا بها عينًا، وطابوا بها، قال تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾[٤]، بخلاف أهل الأهواء؛ من الذين في قلوبهم زيغ، المتبعين للمتشابه، فقد شقوا بدلالته، فسلّطوا معاول التحريف على معانيه، وركبوا كل صعب وذلول، ليصرفوه عن حقيقته، فألفوه كتابًا عزيزًا، وحصنًا منيعًا، فلم يطفروا منه بطائل، فانقلب البصر خاسئًا وهو حسير[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية (٤٧).

(٢) سورة البقرة، آية (٢١٢).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٨).

(٤)سورة طه، آية (٢).

(٥) الأصول القرآنية للدكتور القاضي، ص(٥٦).

القاعدة السادسة: «كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى مافي الاسم من صفاته، ويدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

الأصل الذي تقوم عليه القاعدة هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

وهناك أصول أخرى تقوم عليها القاعدة كثيرة، ولكن هذا الأصل فيه رد على شبه المعطّلة الذين عطلوا صفات الله، التي تضمنتها أسماؤه، بحجة أن هذا يستلزم تعدد القدماء، أي تعدد الذات، إذًا هذا الأصل له جانبان:

الجانب الأول: التأصيل، والجانب الثاني: الرد.

الجانب الأول:

هذا الأصل فيه إثبات لمضمون القاعدة، إذ أن موضوع القاعدة يتعلق بأسماء الله، وأسماء الله مترادفة في دلالتها على الذات، لأنها تتكلم عن ذاتٍ واحدة، ومتباينة باعتبار الصفات، فكل صفة لها معنى يخصّها، فلذلك يقال أسماء الله «أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار دلالتها على المعاني»[٣].

فهذا الأصل احتوى على أكثر من اسم من أسماء الله الحسنى، فالشيخ في هذه القاعدة بيّن أن كل اسم ورد في النصوص يتضمن ثلاث حقائق:

الأولى: إثبات ذات الله سبحانه.

الثاني: إثبات الصفة التي يتضمنها هذا الاسم.

الثالث: إثبات الصفة الأخرى، التي يتضمنها الاسم عن طريق اللزوم.

---

(١) شرح (مقدمة التفسير لابن تيمية)للشيخ (١/١٥١).

(٢) سورة الحشر، آية (٢٣).

(٣) القواعد المثلى للشيخ (٨).

وسوف أتناول بإذن الله اسم واحدًا من الأسماء الواردة في هذا الأصل؛ لتوضيح مدى دقّة هذه القاعدة.

(الملك) اسم من أسماء الله الحسنى التي سمّى بها نفسه كما في قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾.

هذا الاسم يتضمن ثلاث حقائق:

الأولى: أن هذه الاسم يدل على ذات الله سبحانه..

الثانية: ثبوت صفة الملك لله، وأنه ملك هذا الكون.

الثالثة: أن ثبوت صفة الملك لله، يستلزم ثبوت صفات كثيرة: كصفة القدوس، وصفة السلام، وصفة المؤمن، وصفة المهيمن، وصفة العزة، وصفة الجبّار، وصفة الكبر، لأنها صفات كمال ومُلك، وفقدانها يقدح في ملكه سبحانه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا، فلذلك كان اسم الملك مستلزم لإثبات هذه الصفات.

قال السعدي في تفسير هذه الصفات: «﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أي: المصدق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور»[1].

فإذًا هذه الصفات كمال وفقدانها نقص، فثبوت اسم الملك يستلزم إثبات هذه الصفات، لكن قد يرد سؤال يتعلق بالثبوت باللزوممفاده كالتالي:

أليست هذه القاعدة تناقض مذهب السلف وما تم تقعيده من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عن الذي لم يرد فيه إثبات ولا نفي؟

---

(١) تفسير السعدي (١/٨٥٤).

الجواب: ليس في هذا تناقض؛ ولايعني إقرار اللزوم، أن نثبت لله مالم يثبته لنفسه، لكن هذا اللزوم نتيجة صحيحة لبعض الصفات، ثم إنا لم نثبت إلا صفات قد ثبتت بالنصوص الصريحة.

قال ابن القيم في تقرير ماتضمنته هذه القاعدة: «الاسم من أسمائه تبارك وتعالى، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته»[١].

الجانب الثاني:

الرد على بعض المعطلة الذين نفوا عن الله بعض الصفات بحجة أنها تستلزم تعدد الذات[٢]، تعالى اللهُ عن ذلك، وهذه الشُبهة نتيجة الانحراف عن ضوء الأدلة التي هي نور وبرهان وهدى، وعن فهم السلف، كما أن هذه المقالاتنتيجة تقديم العقل القاصر على الدليل الهادي، فالمعطل يأتي بمثل هذه المقالات بحجة أن العقل يرفضها، والواقع أن عقله هو الذي يرفضها وليس مطلق العقول، فالشريعة لم تعطّل العقل بل أمرت باستخدامه، فكثيرًا ما يردفي القرآن قوله

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٤).

(٢) قال القاضي عبد الجبار كلامًا الظاهر منه نفي تعدد الصفات لعلل كلامية صعبة التصور وصعبة الفهم، فمثلًا على سبيل المثال في ثنايا كلامٍ طويل عن نفي الصفات وأنه لا يجوز أن يستحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة كما يزعمون قال: «لو كان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة وقد ثبت أن القديم إنما يخالف مخالفه بكونه قديماً، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفه عند الافتراق بها تقع المماثلة عند الاتفاق، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلًا لله تعالى، حتى إذا كان القديم تعالى عالماً لذاته، قادرًا لذاته، وجب في هذه المعاني مثله، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلًا لهذه المعاني تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرً لأن الاشتراك في صفة من صفات الذات يوجب الاشتراك في سائر صفات الذات، بل كان يجب أن يكون كل واحد مثلًا لصاحبه، وكان يلزمهم العلم بصفة الحياة والقدرة وغيرها، حتى يقع الاستغناء بواحدة منها عن سائرها».

انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص(١٩٥)، و في ص(١٦٧) قال كلامًا كأنه يخالف فيه ماتقدم.

وهناك مقالتان الأولى لأبي الهذيل العلاّف، والثاني لواصل بن عطاء، يعتبران نموذجان لهذه الشبه، ولكن لم أجد المصدر الأصيل لهاتين المقالتين، فلذلك أبرأ إلى الله من أن أنسب لهم شيئًا لم أقف على مصدره.

تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، فالصحيح تقديم النص، ثم إعمال العقل في فهمه وتحليله، والعقول الصريحة لا تتعارض مع النصوص الصحيحة، قال ابن تيمية: «ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص الثابتة»[٢].

ومن أكبر الدلائل على أن العقل يعتريه القصور والفهم القاصر، هذه الشبهة، والجواب عن هذه الشبهة أن يقال: من قال لكم إن تعدد الصفات يستلزم تعدد الذات؟!، فالإنسان كما ترون وتشاهدون، مخلوق، وذاته واحدة وتجتمع فيه عدة صفات، فيكون كريمًا وشجاعًا ورحيمًا في آنٍ واحد، والله أثبت أنه لا إله إلا هو، ثم بعد ذلك سرد مجموعة من الأسماء المتضمنة لصفاته، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣] وبهذا ترتفع هذه الشبة، ويتبين لنا جناية الفهم القاصر.

قال الشيخ: «ف(الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا... ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر. وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل، وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها، من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا، وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء. وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها»[٤].

---

(١) سورة البقرة، آية (٤٤، ٧٦)، آل عمران، آية (٦٥)، الأنعام، آية (٣٢)، الأعراف، آية (١٦٩)، يونس، آية (١٦)، هود، آية (٥١)، يوسف، آية (١٠٩)، الأنبياء، آية (١٠، ٦٧)، المؤمنون، آية (٨٠)، القصص، آية (٦٠)، الصفات، آية (١٣٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٥١/١).

(٣) سورة الحشر، آية (٢٣).

(٤) القواعد المثلى للشيخ، ص(٨).

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

من تطبيقات القاعدة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

فمن الأسماء الثابتة لله في هذه الآية ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ والقاعدة تنصّ على أن «كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى مافي الاسم من صفاته، وتدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم».

وسوف نطبّق هذه القاعدة بحقائقها الثلاث على اسم ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾:

١- كل اسم من أسمائه يدل على ذاته: فالخالق يدل على ذاته سبحانه.

٢- وعلى مافي الاسم من صفاته: فثبوت اسم الخالق يدل على ثبوت صفة الخلق لله، إذ أن الخالق يخلق.

ويدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم: فثبوت اسم الخالق لله، يدل على اسم العزيز، وصفة العزة باللزوم، واسم الحكيم وصفة الحكمة، فالخالق لا بد أن يكون عليمًا عزيزًا حكيمًا وهي أيضًا صفات أثبتها الله لذاته العليّة.

فهذان نموذجان يدلان على صحة القاعدة واطّرادها.

---

(١) سورة الحشر، آية (٢٤).

القاعدة السابعة: «ما كان وصفًا لله غير قائم بنفسه، فهو صفة لله غير مخلوقة، وما كان عينًا قائمة بنفسه، فهو مخلوق، وكذلك لو كان وصفًا في عين قائمة بنفسها، فهو مخلوق؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة» [(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

هذه القاعدة تنقسم إلى شقّين:

الشق الأول: هو قوله: «ما كان وصفًا غير قائم بنفسه فهو صفة لله غير مخلوقة».

الشق الثاني: هو قوله: «وما كان عينًا قائمة بنفسه فهو مخلوق».

أما قوله: «وكذلك لو كان وصفًا في عين قائمة بنفسها فهو مخلوق؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة» فهذا ليس شقًا منفردًا، بل هو تابع للشق الثاني، فإذا تقرر الشق الثاني فإنه يتقرر معه تِباعًا.

- وهذه القاعدة تقوم على أصلين:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[(٢)].

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[(٣)].

هذه القاعدة تتكلم عن المضاف إلى الله، وأنه على نوعين[(٤)]:

النوع الأول: مضاف إليه بـ(من)، كالإضافة الواردة في الأصل الأول.

النوع الثاني: مضاف إليه بالإضافة المعروفة كالإضافة الواردة في الأصل الثاني.

وفي كلا النوعين سواء كانت الإضافة بـ(من)، أو بالإضافة المعروفة، فهيعلى ضربين:

الضرب الأول:

---

(١) شرح الكافية الشافية للشيخ (١/٥١٠).

(٢) سورة الزمر، آية (١).

(٣) سورة الشمس، آية (١٣).

(٤) شرح الكافية الشافية للشيخ (١/٥٠٦).

أن يكون هذا المضاف وصفًا غير قائم بنفسه، بمعنى أنه ليس عينًا مستقلة موجودة في الأعيان، ففي هذه الحالة يعتبر هذا المضاف من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة، لأنها مرتبطة بذات الله سبحانه، كما جاء في الأصل الأول: في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[١].

ففي هذا الأصل أضاف الله الكتاب الذي هو كلامه إلى نفسه سبحانه فقال: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهذه إضافة صريحة بـ﴿مِنَ﴾ فالمضاف إلى الله هو﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي هو القرآن، والقرآن كلام، فهل الكلام عينٌ قائمة بنفسها مستقلة عن ذات، أم أنها مرتبطة بذات؟ مرتبطة بالذات لا تنفك عنها، فكلام الإنسان ليس عينًا مستقلة عن الإنسان، بحيثيكون الإنسان ذاتًا وكلامه ذاتًا أخرى، بل الإنسان ذات وعينٌ قائمة، وكلامه صفة من صفات هذه الذات، فإذا تقرر هذا فإن الكتاب الذي هو كلام الله ليس عينًا مستقلة عن ذات الله، بل هو صفة من صفات الله، ومن ثمرات هذا التقرير دحض شبهة القول بأن القرآن مخلوق.

قال الشيخ: «وهنا أضاف القرآن إليه بـ﴿مِنَ﴾ والقرآن كلام، والكلام وصف المتكلّم، إذن فيكون المضاف إلى الله بـ﴿مِنَ﴾ هنا غير مخلوق، لأنه صفة، والصفة قائمة بالموصوف، والموصوف هو الرب عز وجل وهو الخالق، إذن فيكون القرآن صفة من صفاته غير مخلوق»[٢].

الضرب الثاني:

أن يكون المضاف إلى الله عينًا قائمة بنفسها، كما هو المراد بالشق الثاني، بمعنى أنها ذات مستقلة بأوصافها، ففي هذه الحالة يكون المضاف إلى الله مخلوقًا، كما جاء في هذا الأصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[٣].

ففي هذا الأصل أضاف الله الناقة له، فهل الناقة وصف من أوصاف الله المرتبطة بذاته، لا حقيقة لها في الأعيان، أم لها عين قائم محسوسة في الأعيان؟

الثاني هو الصواب، فحينئذٍ تكون هذه الإضافة إضافة مخلوق إلى خالقه.

---

(١)سورة الزمر، آية (١).

(٢) شرح الكافية الشافية للشيخ، ص(٥٠٦).

(٣) سورة الشمس، آية (١٣).

قال الشيخ: «﴿ناقة الله﴾ مضافة إلى الله، والناقة عين قائمة بنفسها، فتكون مضافة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه»[١].

وبما أنه تقرر أن الأعيان المضاف إلى الله هي أعيان مخلوقة، فإن يلزم أن تكون أوصاف هذه الأعيان البائنة مخلوقة، لأن الصفة قائمة بالموصوف والموصوف مخلوق.

قال ابن تيمية رحمه الله في تقرير هذه القاعدة: «المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات، وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمًا به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عينًا قائمة بنفسها، كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره، لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين: أحدهما: أن تضاف إليه من جهة كونه خلقها وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم: سماء الله، وأرض الله، ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عباد الله، وجميع المال مال الله، وجميع البيوت والنوق لله.

والوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه الله به من معنى يحبه ويرضاه ويأمر به، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره، وكما خص المساجد بأن يفعل فيها ما يحبه ويرضاه من العبادات، وأنتصان عن المباحات التي لم تشرع فيها فضلًا عن المكروهات، وكما يقال عن مال الفيء والخمس: هو مال الله ورسوله، ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه، وهذه الإضافة العامة لا تتضمن إلا خلقه وربوبيته»[٢].

وقال ابن القيم في تقرير هذه القاعدة[٣]:

والله أخبر في الكتاب بأنه ... منه ومجرور، بـ (من) نوعان
عين ووصف قائم بالعين فا ... لأعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجرور قام لأنه ... أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضا سواء ما يضا ... ف إليه من صفة ومن أعيان

---

(١) شرح الكافية للشيخ (١/٥١٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/٢٦٥).

(٣) نونية ابن القيم (الكافية الشافية)(١/٥٠).

فإضـــافة الأوصـــاف ثابتـــة لمـــن قامـــت بـــه كـــإرادة الـــرحمن
وإضـــافة الأعيـــان ثابتـــة لـــه ملكًـــا وخلقًـــا مـــا همـــا ســـيان
فـــانظر إلى بيـــت الإلـــه وعلمـــه لمـــا أضـــيفا كيـــف يفترقـــان
وكلامـــــه كحياتـــــه وكعلمـــــه في ذي الإضـــافة إذ همـــا وصـــفان
لكـــن ناقتـــه وبيـــت إلهنـــا فكعبـــده أيضـــا همـــا ذاتان
فـــانظر إلى الجهمـــي لمـــا فاتـــه الـــ ـــحق المبـــين وواضـــح البرهـــان
كـــان الجميـــع لديـــه بابًا واحـــدًا والصـــبح لاح لمـــن لـــه عينـــان

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

التطبيقات على القاعدة سوف تكون بإذن الله على شقّي القاعدة، على المضافات، الأوصاف والأعيان.

- أولًا: التطبيقات على مضافات الأوصاف:

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾[١].

هذه الإضافة إضافة وصف، وهذا الوصف هو العلم، إذ أن من صفاته أنه عالم بكل شيء، والعلم وصف غير قائم بنفسه، فهو وصف غير مخلوق، لا عين مخلوقة.

- ثانيا: التطبيقات على الأعيان:

١- قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[٢].

المضاف هنا البيت، أضافه الله له، وهذه الإضافة إضافة أعيان، لأن البيت عين قائمة بنفسها،، وإضافة البيت إلى الله إضافة تشريف.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾[٣].

المضاف هنا العبد، وهذه الإضافة إضافة أعيان، لأن العبد عين قائمة بنفسها، فالعبد هنا مخلوق، وليس وصفًا لله.

---

(١)سورة النساء، آية (١٦٦).

(٢)سورة الحج، آية (٢٦).

(٣) سورة الجن، آية (١٩).

● بقيت مسألة الروح، وهل إضافتها لله كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[١].

إضافة عين أو إضافة وصف؟

أولًا: هل الروح عين مستقلة وقائمة بذاتها، أم أنها صفة مرتبطة بالذات وغير قائمة بنفسها؟

فالصحيح أن الروح عين قائمة وبائنة بذاتها، لأنه لا ينطبق عليها حقيقة الصفة، فلو كانت صفة لما انفكّت عن الإنسان عند موته، ومن المعلوم أن موت الإنسان بخروج روحه وانفكاكها عنه، وإضافتهامن باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

---

(١) سورة الأنبياء، آية (٩١).

القاعدة الثامنة: «إن الله إذا أضاف الفعل أو الوصف إلى نفسه اختص به نفسه، وأن كل فعلٍ مضاف إلى الله، فإنه يعني ذات الله» (١).

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها:

هذه القاعدة تقوم على أصول كثيرة منها الأصول التالية:

الأصل الأول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾(٢).

الأصل الثاني قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾(٣).

الأصل الثالث قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤).

الأصل الرابع قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٥).

فهذه أصولٌ محكمة، قطعية الدلالة، بأن ما أضافه الله لنفسه من فعلٍ أو وصفٍ، فإنه يعني ذاته العليّة كما أنه يعني أنه مما يختص به سبحانه، والفطرة المستقيمة، والعقول الصريحة متوافقة مع دلالة هذه الأصول.

---

(١) شرح الكافية (٣٢٤/١)، (٣٩٠/١٦٣/٣)، (١٧٨/٤).

(٢) سورة السجدة، آية (٤).

(٣) سورة الروم، آية (٥٤).

(٤) سورة الروم، آية (٤٠).

(٥) سورة الأعراف، آية (١٥٦).

فعندما يقول الله كما في هذ الأصول الثلاثة الأولى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾فهذا يدل على أن الله هو الذي خلقنا بنفسه؛ لأن هذا هوظاهر النص«ولأن الفعل إذا أضيف إلى فاعله فهو له حقيقة أي ذاته»[١].

قال الشيخ: «فالخلقُ صادرٌ منه؛لأنه أضافه إلى نفسه، فكل شيءٍ أضافه الله لنفسه فهو لنفسه حقيقة، ولكنه لا ينافي كمال صفاته»[٢]، وكذلك الإقرار بأن الله هو الخالق هو حقيقة توحيد الربوبية، فمن حرّف هذا الفعل عن الله بتأوّيل صفة الخلق، بتأويلٍ فاسد أو فوّض المعنى، فقد قدح في ربوبية الله، فلذلك أقول من انصرف عن المعنى الظاهر من هذه الآية فإنه حينئذٍ سوفيسلك أحد ثلاثة طرق لا مناص عنها:

١-أن يتأول المعنى بتأويل فاسد لا دليل عليه فيصرف معنى الخلق إلى معان أخرى بعيدة عن حقيقة الخلق.

٢- أن يفوّض المعنى.

٣- أن ينسب صفة الخلق إلى غير الله.

وكل واحد من هذه الطرق الثلاثة تقدح بتوحيد الربوبية، إذ أنهن جميعًا يلتقين على حقيقة واحدة، وهي عدم الاعتراف بأن الله خالق، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

أما تأويل الخلق بالأمر فهذا تأويل صحيح؛ لأن اللهيقولفي مواضع كثيرة من كتابه الحكيم أنه إذا أراد أو قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣]، وهذا من التأويل المشروع؛ لأنه قائم على الدليل.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾: «أي: هكذا أمر الله عظيم، لا يعجزه شيء. وصرح هاهنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ﴾ولم يقل: (يفعل) كما في قصة زكريا، بل نص هاهنا على أنه يخلق؛ لئلا يبقى شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فلا يتأخرشيئًا، بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة»[٤].

---

(١) شرح الكافية للشيخ (١/٣٢٤).

(٢) المرجع السابق (٣/١٦٣).

(٣) سورة آل عمران، آية (٤٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٤).

وهذه الصفة -أي أن الله خالق يخلق بذاته- قد لا يوجد من ينازع فيها، ولكن يوجد من ينازع في صفة النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة، أو ينازع في صفة الاستواء على العرش، ويفوّضها أو يتأولها بتأويلٍ لا دليل عليه، ويقول ليس الله من ينزل بذاته وإنما الذي ينزل أمره أو رحمته.

فأقولُ مناقشًا لمن وقع في مثل هذه المحاذير:

أليس الله هو من أثبت له صفة الخلق بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أليس من أثبت له صفة الخلق، هو من أثبت لنفسه أنه يستوي على العرش بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فبأي حق وبأي دليل تثبت حقيقة الذات في صفة الخلق ولا تثبتها في صفة الاستواء، وكذلك أليس من أثبت له صفة النزول هو الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر)[١]، فلماذا تثبت حقيقة الذات في صفة الخلق ولا تثبتها في صفة النزول، والباب واحد؟

قال الشيخ: «فهو تعالى خلق بذاته، واستوى بذاته، كل الأفعال تعود على الذات فلماذا نُفرّق ونقول: إنه لم يستوِ بذاته بل علا بقدره؛ونقول خلق بذاته؟!»[٢].

وقال أيضًا: «هل يجب علينا أن نقول: ينزل بنفسه، أو ينزل بذاته، أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا يجب علينا إلا إذا كان هناك من يحرّف النزول إلى نزول الرحمة، أو الأمر أو الملائكة، فهنا نضيف كلمة (ذاته) من أجل ردِّ هذا القول»[٣].

المطلب الثاني: الطبيقات على القاعدة:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٤].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥].

---

(١) سبق تخريجه، ص(١٥٦).

(٢) شرح الكافية للشيخ (١٧٨/٤).

(٣) شرح الكافية للشيخ (٣٢٤/١).

(٤) سورة الفجر، آية (٢٢).

(٥) سورة البقرة، آية (٢١٣).

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[١].

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾[٤].

قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالىكل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني؟ فأستجيب له، من يسألني؟ فأعطيه، من يستغفرني؟ فأغفر له)[٥].

كل هذه الأوصاف والأفعال التي أضافها الله لنفسه، مما يختصُ بها سبحانه، وتعني ذات الله كما هو متقرر جليًا في هذه الأصول مع الأصول التي قامت عليها هذه القاعدة، والتي تنصّ على أن الله إذا أضاف الفعل أو الوصف إلى نفسه، اختص به نفسه، وأن كل فعلٍ مضاف إلى الله فإنه يعني ذات الله.

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٧٢).

(٢) سورة البقرة، آية (١٩٥).

(٣) سورة طه، آية (١٠٩).

(٤) سورة الأعراف، آية (١٥٢).

(٥) سبق تخريجه، ص(١٥٦).

القاعدة التاسعة: «كل صفة مربوطة أو معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية» [١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها:

هذه القاعدة موضوعها هو الصفات الفعلية، وقد تقدم الحديث عن الصفات الفعلية بشيءٍ من التوسع في القاعدة الخامسة من هذا المبحث، وهذه القاعدة كليّة، والهدف منها الضبط في التفريق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية، وذلك نصّ الشيخ على أن كل صفة مربوطة أو معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية، وهذه القاعدة تقوم على أصول كثيرة منها:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٢].

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣].

الأصل الثالث: قوله تعالى: ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٤].

الأصل الرابع: قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٥].

الأصل الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله، فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد)[٦].

---

(١) تفسير سورة آل عمرآن للشيخ (٢/٢٦٣).

(٢) سورة الفجر، آية (٢٢).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٢٢).

(٤) سورة الفتح، آية (١٨).

(٥) سورة طه، آية (٨١).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم (٤/٢٤/ح: ٢٨٢٦).

كل هذه الصفات الخمس الواردة في هذه الأصول، صفات فعليّة، وكلها لها أسباب، فاللهيفعلها عند حدوث سببها، لكن هذا لا يعني أن جنسها حادث تعالى الله عن ذلك، وإنما جنسها أزلي وآحادها حادثة، بينما الصفات الذاتية ثابتة مع ذاته العليّة، ولا نقول بأن آحادها حادثة؛ فصفة العلم من الصفات الذاتية التي كان الله ولازال متصفًا بها، ولا يمكن أن يقال بأن الله كان لا يعلم ثم علم تعالى الله عن ذلك.

قال الشيخ: «فالصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها»(١).

بينما صفة الاستواء على العرش اتصف بها بعد خلق السموات والأرض، وكذلك صفة النزول، أما صفة الحب والغضب والرضى فإن جنسها ذاتي وآحادها فعلي، فإذا وقع سببها اتصف بها، والصفات الفعليّة ليست محصورة على من كان له سبب، بل هناك صفات فعليّة ليس لها سببٌ معلوم كالنزول للسماء الدنيا، ولكن كل صفة لها سبب فهي صفة فعليّة.

قال الشيخ: «الصفات الفعلية هي الصفات المتعلقة بمشيئته، وهي نوعان: صفات لها سبب معلوم، مثل: الرضى... وصفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»(٢).

وقال أيضًا: «اصطلح العلماء رحمهم الله أن يسموا هذه الصفات الصفات الفعلية، لأنها من فعله سبحانه وتعالى»(٣).

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

١- صفة الحب:

قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾(٥).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٧٨).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/٧٨).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/٧٩).

(٤) سورة البقرة، آية (١٩٥).

(٥) سورة البقرة، آية (٢٢٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٦].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٨].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٩].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[١٠].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١١].

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١٣].

---

(١) سورة الصف، آية (٤).

(٢) سورة آل عمرآن، آية (٣١).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (٧٦).

(٤) سورة آل عمرآن، آية (١٤٦).

(٥) سورة آل عمرآن، آية (١٥٩).

(٦) سورة المائدة، آية (٤٢).

(٧) سورة المائدة، آية (٥٤).

(٨) سورة البقرة، آية (١٩٠).

(٩) سورة البقرة، آية (٢٠٥).

(١٠) سورة البقرة، آية (٢٧٦).

(١١) سورة آل عمرآن، آية (٥٧).

(١٢) سورة آل عمرآن، آية (٣٢).

(١٣) سورة النساء، آية (٣٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(١).

قال تعالى: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾(٢).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(٧).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(٨).

الحب ونفيه يعتبر من الصفات التي يتّصف بها الله كما في هذه الآيات، وهي صفة فعليّة؛ لأنها مرتبطة بمشيئته وفعله، وقد تتبعتُ صفة الحب ونفيه في القرآن وحصرتها كلها، فوجدتُ أنه عندما يوصف الله بها فإنما يتصف بها لسبب، كما أن لفظة الحب جاءت بصيغة المضارع؛مما يدل على أنها مرتبطة بمشيئته وفعله، فقد يكون الإنسان من المتقين أو المحسنين فيحبه الله ثم بعد ذلك يكون من الكافرين أو الظالمين فلا يحبه الله، فلذلك كل صفة يتّصف الله به لسبب فإنها تعتبر صفة فعليّة.

٢- صفة الرضا:

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٩).

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾(١٠).

---

(١) سورة النساء، آية (١٠٧).
(٢) سورة النساء، آية (١٤٨).
(٣) سورة المائدة، آية (٦٤).
(٤) سورة الأنعام، آية (١٤١).
(٥) سورة الأنفال، آية (٥٨).
(٦) سورة الحج، آية (٣٨).
(٧) سورة النحل، آية (٢٣).
(٨) سورة القصص، آية (٧٦).
(٩) سورة التوبة، آية (٩٦).
(١٠) سورة الزمر، آية (٧).

قال تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[١].

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[٤].

قال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[٥].

قال تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[٦].

الرضا يعتبر من الصفات التي يتّصف بها الله كما في هذه الآيات، وهي صفة فعليّة لأنها مرتبطة بمشيئته وفعله، وقد تتبعتُ صفة الرضا في القرآن وحصرتها كلها فوجدتُ أنها متعلقة بسبب، كما أن لفظة الرضا جاءت بصيغة الماضي و المضارع والمستقبل؛ فمجيئها بالقرآن بصيغة الماضي يدل على أنها أزلية الجنس بينما مجيئها أيضًا بصيغة المضارع والمسقبل يدل على أنه آحادها تتجدد، وأنها مرتبطة بمشيئته وفعله، فقد يكون الإنسان من الكافرين الفاسقين الذين لم يرض الله عنهم، ثم بعد ذلك يكون من المتقين الذين يريدون وجه الله فيرضى الله عنهم، فلذلك كل صفة يتّصف الله بها لسبب فإنها تعتبر صفة فعليّة.

---

(١) سورة النجم، آية (٢٦).

(٢) سورة الليل، الآيات (١٧-٢١).

(٣) سورة طه، آية (٨٤).

(٤) سورة طه، آية (١٠٩).

(٥) سورة الفتح، آية (١٨).

(٦) سورة المجادلة، آية (٢٢).

٣- صفة الغضب:

قال تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢).

قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٦).

قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٧).

قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٨).

---

(١) سورة البقرة، آية (٦١).

(٢) سورة النساء، آية (٩٣).

(٣) سورة الأعراف، آية (٧١).

(٤) سورة الأعراف، آية (١٥٢).

(٥) سورة الأنفال، آية (١٦).

(٦) سورة النحل، آية (١٠٦).

(٧) سورة طه، آية (٨١).

(٨) سورة النور، آية (٩).

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾[١].

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[٢].

الغضب صفة فعليّة؛ لأنها مرتبطة بمشيئته وفعله، وقد تتبعتُ صفة الغضب في القرآن وحصرتها كلها فوجدتُ أنها متعلقة بسبب، وكل صفة يتّصف الله بها لسبب فإنها صفة فعليّة.

الخلاصة: أنه من خلال هذه الأصول المحكمة الواردة في الشرح والتطبيقات، يتضح بكل وضوح أن الصفات المرتبطة أو المتعلقة بالأسباب فإنها صفات فعليّة.

---

(١) سورة الشورى، آية (١٦).

(٢) سورة الفتح، آية (٦).

القاعدة العاشرة: «كل ما يتعلق بمشيئة الله من الصفات فهو صفة فعلية»[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها:

في القاعدة السابقة تقرر بأن كل صفة اتّصف الله بها لسبب، فإنها صفة فعليّة، وقد ثبت صحة هذه القاعدة واطرادها من خلال الأصول المحكمة التي قامت عليها القاعدة، وهذه القاعدة امتداد لها؛إذ أنها قاعدة كليّة تنصّ على أن كل صفة اتصف الله بها، وكانت لها علاقة بمشيئته فإنها صفة فعليّة، وهذه القاعدة تقوم على أصول منها:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٢].

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾[٣].

الأصل الثالث: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٤].

الأصل الرابع: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٥].

الأصل الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[٦].

الأصل السادس: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[٧].

---

(١) تفسير سورة آل عمرآن للشيخ (٢/٤٥٢).

(٢) سورة النور، آية (٤٥).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٨٤).

(٤) سورة البقرة، آية (١٤٢).

(٥) سورة البقرة، آية (٢١٢).

(٦) سورة فاطر، آية (٢٢).

(٧) سورة البقرة، آية (٢٤٧).

كل هذه الصفات الواردة في هذه الأصول صفات فعليّة، وكلها متعلقة بمشيئته، و كلها جاءت بصيغة المضارع مما يدل على أنها صفات تتجدد أفرادها بحسب مشيئته وإرادته سبحانه، ولو كانت ذاتية فقط لَمَا قرنها الله بالمشيئة، فلا يمكن أن يكون بصر الله متعلقًا بالمشيئة، بمعنى إن شاء أبصر وإن شاء لم يبصر، وكذلك لا نفهم ولا نعقل أن يكون البصر آحاده حادثة ومتجددة، بينما الرحمة والرزق والهداية كلها صفات أزلية الجنس حادثة النوع.

قال الشيخ: «الصفات الذاتية: هي صفات المعاني الثابتة لله أزلًا وأبدًا، مثل الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، إلى غير ذلك وهي كثيرة فهذه نسميها صفات ذاتية؛ لأنه متصف بها أزلًا وأبدًا ولا تفارق ذاته.

الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، مثل الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد، والفرح بتوبة التائب، والضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، والغضب على الكافرين، والرضا للمؤمنين، وغيرها، فهذه نسميها صفات فعلية؛ لأنها من فعله، وفعله يتعلق بمشيئته، لكن هذا القسم من صفات الله آحاده حادثة، تحدث شيئًا فشيئًا، وأما جنس الفعل فإنه أزلي أبدي، فجنس كون الله فعالًا – أي جنس الفعل في الله عز وجل – أزلي، فلم يزل ولا يزال فعالًا، لم يأت وقت من الأوقات يكون الله تعالى معطلًا فيه عن الفعل، فإن الله لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد سبحانه وتعالى، لكن نوع الفعل أو آحاده هي التي تكون حادثة»[(١)].

وصفات الأفعال من المسائل التي وقع فيها الانحراف منقِبل الذين انصرفوا عن ظاهر النص بلا دليل إذ أنهم قالوا بأن صفات الأفعال صفات مناقضة لصفات الكمال، وهذا الاعتراض منهم سببه تحكيم العقل القاصر في مقابلة النص الصريح القاطع.

قال الشيخ: «وقد أنكر بعض الناس صفات الأفعال... ويقولون: إن الله لا تقوم به الأفعال الاختيارية؛ لأن هذه الأفعال إن كانت كمالًا وجب أن يكون الله متصفًا بها دائمًا، وإن كانت نقصًا لزم أن لا يتصف بها أبدًا.

والجواب على هذه الشبهة أن نقول لهم: إنها صفة كمال في محلها، والحكمة لا تقتضيها في غير محلها، فلو جاءت في غير محلها لكانت نقصًا، أرأيت لو أن ولدك أساء فضربته لكان

---

(١) شرح العقيدة السفارينية للشيخ (١/١٥٥).

ضربك إياه في ذلك الوقتحكمة وكمالًا، لكن ضربك إياه وهو يطيع نقص. فنقول: هذه الأفعال الاختيارية كمال لله في محلها الذي تقتضيه الحكمة، وفي غير محلها لا يمكن أن يتصف الله بها، لأنها في غير محلها لا تقتضيها الحكمة، والله سبحانه وتعالى أفعاله مقرونة بالحكمة»[١].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة:

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾[٦].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾[٨].

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٩].

---

(١) شرح العقيدة السفارينية للشيخ (٢٧٨/١).

(٢) سورة القصص، آية (٦٨).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (٤٧).

(٤) سورة آل عمرآن، آية (٦).

(٥) سورة البقرة، آية (٢١٣).

(٦) سورة البقرة، آية (٢٧٢).

(٧) سورة البقرة، آية (١٠٥).

(٨) سورة النساء، آية (٤٨، و١١٦).

(٩) سورة آل عمرآن، آية (٣٧).

قال تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾(١).

قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾(٢).

قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾(٥).

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٦).

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٧).

قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾(٨).

قال تعالى: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾(٩).

الخلق، الرزق، والتصوير في الأرحام، والهداية، والاختصاص بالرحمة، ومغفرة الذنوب، وإيتاء الملك والحكمة والفضل، والتأييد بالنصر، والمضاعفة في الحسنات، والتزكية، والإنفاق والتوبة، كلها صفات فعليّة جاءت بها هذه الأصول المحكمة، وكلها جاءت بلفظ المضارع، وكلها متعلقة بمشيئة الله، مما يدل علىأن هذه القاعدة كليّة ومطردة.

---

(١) سورة البقرة، آية (٩٠).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥١).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٦٩).

(٤) سورة آل عمرآن، آية (٧٣).

(٥) سورة آل عمرآن، آية (١٦).

(٦) سورة البقرة، آية (٢٦١).

(٧) سورة النساء، آية (٤٩).

(٨) سورة المائدة، آية (٦٤).

(٩) سورة التوبة، آية (١٥).

الفصل الثاني

قواعد في الإيمان باليوم الآخر والقدر

- **المبحث الأول: قواعد في الإيمان باليوم الآخر.**
- **المبحث الثاني: قواعد في الإيمان بالقدر.**

المبحث الأول: قواعد في الإيمان باليوم الآخر.

القاعدة الأولى: «الواجب فيما ورد من أمور الغيب التسليم والإيمان به، وبما يقتضيه ظاهره من المعنى، والتصديق دون كيف؟ ولم؟»[(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

الأمور الغيبية، التي يخبر الله عنها، أو رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تعرف بقياس أو شبه، فليس ثمة سوى تصديق المخبر، والتسليم بها، وفهمها على ظاهرها المعروف من لغة العرب، وترك التعرض لما وراء ذلك، من معرفة حقيقة كنهها وكيفيتها.

يقول ابن تيمية: «فنحن إذا أخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار، علمنا معنى ذلك وفهمنا ما أريد منا فهمه بذلك الخطاب، وفسرنا ذلك. وأما نفس الحقيقة المخبر عنها، مثل التي لم تكن بعد، وإنما تكون يوم القيامة، فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله»[(٢)].

وهذه القاعدة تقوم على خمسة أصول:

أصلان من القرآن، وأصل من السنة، وأصل من قول الصحابي، وأصل من قول تابعي:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[(٣)].

---

(١)شرح العقيدة الواسطية (١٣٧/٢)، مجموع فتاوى الشيخ (٣٦/٢)، شرح حديث جبريل (١٧٥/٣)مطبوع ضمن كتاب فتاوى ورسائل الشيخ

(٢) التدمرية لابن تيمية (٩٨).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (١٧٩).

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[١].

الأصل الثالث: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه[٢] قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلمالدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: (ما شأنكم؟) قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: (غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط[٣]، عينه طافئة [٤] كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًاوعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا)، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يومًا، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم) قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: (لا اقدروا له قدره)[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا)، قلت يا رسول الله: النساء والرجالجميعًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟قال: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٨٥).

(٢) النواس بن سمعان بن خالد الأنصاري الكلابي يعد في الشاميين، له ولأبيه صحبه وحديثه عند مسلم في صحيحه. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٧٠١/٥)، انظر: الإصابة (٣٧٧/٦).

(٣) القطط: الشعر الشَّديد الجعودة. انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلاّم (٢٧/٣).

(٤) قال النووي: «فرويت بالهمز وتركه، وكلاهما صحيح فالمهموزة هي التي ذهب نورها وغير المهموزة التي نتأت وطفت مرتفعة وفيها ضوء». انظر: المنهاج شرح صحيح مسلمللنووي (٦٠/١٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته ومامعه (٢٢٥٠/٤/ح: ٢٩٣٧).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢١٩٤/٤/ح: ٢٨٥٩).

الأصل الرابع: ذكر ابن كثير أن أبا بكر في قصة الإسراء جاءه المشركونفقالوا: يا أبا بكر، هل لك في صاحبك؟ يخبرأنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر، ثم رجع في ليلته. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، نصدقه على خبر السماء[١].

الأصل الخامس: قول الإمام مالك لما سأل عن قوله تعالى﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

هذه خمسة أصول تقوم عليها القاعدة، والقاعدة موضوعها علم الغيب، وهو ما غاب عنا في الدنيا، مما يقع في اليوم الآخر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الغيب هاهنا[٤] كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان»[٥].

وهذه كلها من خصائص اليوم الآخر، واليوم الآخر يوم غيبي لم يأتِ بعد، وبما أنه لم يأت بعد، فلن يستطيع أحد أن يعرف مافيه إلا عن طريق الخبر، فما ورد من أخبار تتعلق باليوم الآخر، فالواجب قبولها والتسليم لها، وهذا القبول والتسليم هو الذي جعل المسلممسلمًا والكافر كافرًا، فلمّا جاءت الرسل بالآيات الدالة على اليوم الآخر، فمنهم من كذبهم، ولم يتقبّلها عقله، فلذلك كفر باليوم الآخر، بينما المسلم استسلم لهذه الآيات، وآمن بالله وباليوم الآخر وما فيه، تصديقًا للأخبار الواردة.

قال الزجاج[٦]: «ومعنى قوله: بالغَيْب: ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الغيب والنشور والقيامة، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب»[١] ؛لأنها غائبة عنهم الآن، لم يشهدوها بأعينهم.

---

(١) سبق ذكره، ص(٢٣).

(٢) سورة طه، آية (٥).

(٣) سبق تخريجه، ص(٢٤).

(٤) أي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ سورة البقرة، آية (٣).

(٥) نقله البغوي في تفسيره (٨٤/١).

(٦) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦١٣/٦).

=

فالإنسان إذا مات قامت قيامته، وبدأت آخرته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القبرأول منازل الآخرة)[٢].

فهذه القاعدة جاءت لتحفظ للنص كرامته، إذ أن إكرام النص إجراؤه على ظاهره، وترك تعطيله، أو تحريفه، وتعطيله بإنكاره والتكذيب بمقتضاه، وتحريفه بتطلب تأويله أو تشبيهه وتمثيله بالمشاهدات.

- شرح الأصول التي قامت عليها هذه القاعدة، فأقول:

الأصل الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[٣].

فيها دلالة على أن الغيب مما اختص الله به دون خلقه، وأنه قد يطلع على بعضه بعض خلقه، فمن ادعى معرفة الغيب، فقد نازع الله فيما يختص به، ومن حاول قياس الغائب على الشاهد، فقد ضل سواء السبيل؛ لأن ما في الآخرة لا مثيل له فيقاس عليه.

الأصل الثاني:

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٤].

=

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢٣٢/٧).

(١) كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٢/١).

(٢) مسند الإمام أحمد، وصحح إسناده أحمد شاكر (٣٦٠/١).حديث رقم ٤٥٤. و ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر (٣٣٤/٥/ح: ٤٢٦٨).وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٤٧/١/ح: ١٦٨١).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (١٧٩).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٨٥).

وهذ الأصل فيه دلالة مماثلة لدلالة الأصل الأول، إذ أن الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، كل هذا من أركان الإيمان، والإيمان بها من الإيمان بالغيب، وموقف أهل الإيمان السمع والطاعة، والتسليم لما اقتضته، وهو الذي نص عليه الشيخ بقوله: «التسليم و الإيمان بها وبما يقتضيه ظاهره من المعنى».

الأصل الثالث:

حديث النواس رضي الله عنه وفيه: قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم)، قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: (لا اقدروا له قدره).

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا)، قلت: يا رسول الله النساء والرجالجميعًا ينظر بعضهم إلى بعض، قالت: قال: (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض).

فالشاهد من حدث النواس رضي الله عنه، قول الصحابة: (يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟) فصدقوا بظاهر الخبر المخالف تمامًا لما تصورته العقول، وشاهدته الأبصار، ولم يتعرضوا له بسؤال، ولا إيراد إشكال، وإنما سألوا عما يجب عليهم من الأمر والنهي فيه.

والشاهد من حديث أمّنا عائشة رضي الله عنها هو قولها: (النساء والرجالجميعًا ينظر بعضهم إلى بعض)، فلم تستشكل الصدّيقة إلا ما له تعلق بالدين والحياء والستر، وأما عودة الخلق عراة، وكلهم في صعيد واحد، فلم تتعرض له؛ لما قام عندهم واستقر من أن الإيمان بالغيب من أركان الإيمان العظام، وأن الغيب لا تضرب له الأمثال، ولا تطلب له المقاييس.

قال الشيخ تعليقًا على سؤال الصحابة كما في حديث النّواس: «انظروا إلى هذا المثال لنأخذ منه عبرة، كيف كان تصديق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلملرسول الله، ما ذهبوا يحرفون، أو يؤولون، أو يقولون: إن اليوم لا يمكن أن يطول؛ لأن الشمس تجري في فلكها، ولا تتغير، ولكنه يطول لكثرة المشاق فيه وعظمها، فهو يطول؛ لأنه متعب – بكسر العين – ما قالوا هكذا، كما يقول بعض المتحذلقين، ولكن صدقوا بأن هذا اليوم سيكون اثني عشر شهرًا حقيقة، بدون تحريف، وبدون تأويل، وهكذا حقيقة المؤمن ينقاد لما أخبر الله به

ورسوله من أمور الغيب، وإن حار فيها عقله، لكن يجب أن تعلم أن خبر الله ورسوله لا يكون في شيء محال عقلًا، لكن يكون في شيء تحار فيه العقول؛ لأنها لا تدركه»[١].

فهذان الشاهدان يؤصلان ما قرّره الشيخ بالقاعدة بقوله: «والتصديق دون كيف؟ ولم؟».

وأن الذي يجب على المؤمن أن يسأل عنه، ما كان له تعلق بعبادته، وما في ذمته، وما سواه فلا، فعائشة تسأل عن ستر العورة وحفظ البصر، والصحابة يسألون عن كيفية إقامة الصلوات إذا وقع هذا الخبر الغيبي.

قال الشيخ: «ما سألوا عن الأمر الكوني؛ لأنهم يعلمون أن قدرة الله فوق مستواهم، سألوا عن الأمر الشرعي الذين هم مكلفون به وهو الصلاة، وهذا والله حقيقة الانقياد والقبول»[٢].

الأصل الرابع:

قول أبي بكر في قصة الإسراء: «إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، نصدقه على خبر السماء».

هذه الأثر من أبي أبكر فيه دلالة على القاعدة بمجموعها، فجوابه هذا بمثابة المنهج تجاه ما يخبر به النبي من أخبار، فمنهج خليفة رسول الله هو التصديق بما ورد عن رسول الله على حقيقته دون كيف؟ ولم؟ فلم يستفصل عن هذا الإسراء، ولا سأل عنه بكيف؟

الأصل الخامس:

قول الإمام مالك لما سأل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٤].

وهذا الأثر من الآثار المشهورة الذي تلقاها الخلف بالقبول، وفيهدليل على أنالغيبيات- لا سيما ما يتعلق منها بأسماء الله وصفاته- لا تكيّف، بل الواجب تجاهها الإيمان والتصديق، كما نص الشيخعلى ذلك، إذ أن منهج السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هو ذلك، وقد تكاثرت كلمات السلف الدالة على هذا الأصل، فمنها:

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ (١٧/٢).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (١٧/٢).

(٣) سورة طه، آية (٥).

(٤) سبق تخريجه، ص(٢٤).

١-يقول وكيع[١]: «نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولا لم كذا؟ يعنيمثل حديثيحمل السماوات على إصبع»[٢].

٢- قال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الضحك ونحوها: «هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث، والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحدا يفسره»[٣].

٣- قال الذهبي: «قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم وما أبقوا ممكنًا، وآياتالصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلًا، وهي أهم الدين فلو كان تأويلها سائغًا، أو حتمًا لبادروا إليه فعلم قطعًا أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت اقتداء بالسلف معتقدين أنها صفات لله تعالى استأثر الله بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنة نطق بها والرسول صلى الله عليه وسلم بلغ وما تعرض لتأويل مع كون الباري قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤]، فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٥].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

من تطبيقات هذه القاعدة مايلي:

١- قوله تعالى عن عذاب القبر: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٦].

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الإمام، الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام، توفي سنة سبع وتسعين ومائة، يوم عاشوراء. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٥٩/٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٧٢/٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٠٨/٨).

(٤) سورة النحل، آية (٤٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (٥٠٨/٨).

(٦) سورة غافر، آية (٤٦).

قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور»[١].

٢- قوله تعالى عن البعث: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٢].

جاء في تفسير الثعلبي[٣]: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ وهي النفخة الأخيرة: نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ أي القبور»[٤].

٣- قوله تعالى عن الحساب: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٥].

فالقبر وما فيه من نعيم وعذاب، وما يأتي بعده من بعث وحساب، من مسائل الغيب واليوم الآخر، واليوم الآخر لم يأتبعد، فوجب على العباد الإيمان بها ومايقتضيهظاهرها من المعنى دون تنطّع وسؤال بكيف ولم، لأن مسائل الغيب لا يعلمها إلا الله، كما نصّت القاعدة بأن«الواجب فيما ورد من أمور الغيب التسليم و الإيمان بها وبما يقتضيه ظاهره من المعنى والتصديق دون كيف؟ ولم» فمن قال: كيف ولم؟؛ فقد تجاوز حدود الله، كما أنه لن يجد جوابًا لسؤاله؟ لأن الخبر اقتصر على هذا، وهو غيب والغيب لا يعلمه البشر، و العقول لا تستطيع تكييف ماهو غائبٌ عنها.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٦/٧).

(٢) سورة يس، آية (٥١).

(٣) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق، أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري، يقال له الثعلبي والثعالبي؛ توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٥/١٣).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (١٣٠/٨).

(٥) سورة الغاشية، الآيتان (٢٥-٢٦).

القاعدة الثانية: «كل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى، لا تكون مماثلة له في الحقيقة»[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

فما في الآخرة من الأمور الغيبية التي جاء الخبر عنها، لا تماثل ما في الدنيا إلا في الاسم وأصل المعنى، أما المماثلة الكلية من كل وجه، فلا.

وهذه القاعدة تقوم على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾[٢].

الأصل الثاني: عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالىأعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال: أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٣])[٤].

الأصل الثالث: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥].

- الأصل الأول:

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾.

هذه الآية الكريمة تصف الجنة التي وعدها الله المتقين، والجنة من الأمور الغيبية التي لم نرها بعد-جعلنا الله والمسلمين أجمعين من أهلها-وأي شيء لم نره لم نستطع أن نكيّفه حتى وإن كان من الموجودات في الدنيا ما يشبهه في اسم أو أصل رسم، فكيف إذا كان هذا الذي لم يُر

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ (٢/٤١).

(٢) سورة محمد، آية (١٥).

(٣) سورة السجدة، آية (١٧).

(٤)(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن (٦/١١٥/ح: ٤٧٧٩).

(٥) سورة الشورى، آية (١١).

بعد، ليس له شبيه في الدنيا؟، وفي آية سورة محمد ذكر الله أربعة أصناف موجودة في الجنة وهي:

١-الماء.

٢- اللبن.

٣- الخمر.

٤- العسل.

فهذه الأصناف أخبرنا رب العالمين أنها موجودة في الجنة، وهي كذلك موجودة في الدنيا كما هو معلوم ومحسوس، وهذا الاشتراك بينها في الاسم وأصل المعنى، لا يلزم منه التطابق من كل وجه، كما يقول ابن عباس: «ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء»[١].

- الأصل الثاني:

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال: أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢])[٣].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إنه لمكتوب في التوراة «لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإنه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»[٤].

قال ابن بطال[٥]: «هو على الحقيقة ما لا يعلمه بشر ممن له الأذن والقلب والبصر»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان، (٣٩٢/١).

(٢) سورة السجدة، آية (١٧).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣١٠٨/٩)، رقم الأثر (١٧٨٤٤).

(٥) أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي شارح صحيح البخاري، كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة، وكان من كبار المالكية، توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربع مائة من الهجرة.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٣/١٣).

(٦) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤٩٩/١٠).

قال صاحب عمدة القارئ [١]: «(ما لا عين رأت) ما هنا إما موصولة أو موصوفة، وعين وقعت في سياق النفي، فأفاد الاستغراق والمعنى: ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن»[٢].

هذا الأصل صريح الدلالة بأن نعيم الجنة نعيم فوق تصور البشر، وأن النعيم الذي فيها لم تشاهده العيون مثله مطلقًا، ولم تسمع بمثله الأذن مطلقًا، ولم يخطر على قلوب البشر مطلقًا، والأصناف الموجودة في الآخرة، ليست كحقيقة الأصناف الموجودة في الحياة الدنيا، وإنما هو اشتراك في الاسم وأصل المعنى فقط دون الحقيقة، فلو كان اللبن الذي في الآخرة مماثلًا في الحقيقة للبن الذي في الدنيا، لَماصح أن يقال: فيها-أي في الجنة - مالا عينٌ رأت، إذ أن(عين) نكرة في سياق النفي فتعم، والحال أن أعيينا رأت اللبن الدنيوي! ولَما قال الله: ولا خطر على قلب بشر، لأن اللبن مشاهد للعين، ومن باب أولى يخطر على البال، وما يقال في اللبن يقال في بقية الأصناف، فالماء واللبن والخمر والعسل الذيفي الجنة، ليس كالماء واللبن والخمر والعسل الذي في الدنيا.

- الأصل الثالث.

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٣].

كل ما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر عنه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، فهو من الغيب الذي يجب الإيمان به، والتسليم بظاهره، والله أثبت أن له سمعًا وبصرًا، وصدّر هذا الإثبات بنفي المماثلة، وصفات الله غائبة عنا حقيقتها وكيفيتها، فهو إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، فلا الإثبات يحملنا على التمثيل، ولا التنزيه يقودنا إلى الإنكار والتعطيل.

---

(١) هو العلامة محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف ابن محمود العنتابي الحنفي، المعروف بقاضي القضاة بدر الدين العيني، توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٢/٢٧٥).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/١٥٣).

(٣) سورة الشورى، آية (١١).

فالله سبحانه وهو على عرشه فوق سبع سماوات له سمع وبصر ويد وعين، والمخلوق في هذه الدنيا له سمع وبصر ويد وعين، فالاشتراك في الصفات بين الخالق والمخلوق هو اشتراك في الإسم وأصل المعنى، لكن حقيقة سمع الخالق وبصره وبقية صفاته سبحانه، تختلف عن حقيقة سمع المخلوق وبصره وبقية صفاته، إذ أن لله صفات تليق بعظمته سبحانه، وللمخلوق صفات تليق بكونه مخلوقًا، فمن هذا الأصل يقال ليس كل اشتراكفي المسمى اشتراك في الحقيقة.

وقد يَردعلى هذه القاعدة اعتراض بأنها تقودنا إلى تطبيق منهج التأويل المذموم ونسف ما تم تقعيده من إجراء النصوص على ظاهرها، فنحن هنا صرفنا المعنى عن ظاهره، فالله خاطبنا بما نفهم ونعقل، وأخبرنا أن في الجنة نخلًا، وماء، وعسلًا، ولبنًا، ولحم طير، فكيف لا نجريه على ظاهره المعروف مما في الدنيا؟

فالجواب أنه ليس- بحمد الله- في هذه القاعدة تناقض ولا نسف لِما تم تقعيده، فنحن نجريها على ظواهرها المعروفة من لغة العرب، فنؤمن أنه لبن، وعسل، و...، ولكنه بنص الوحي ليس مشتبهًا إلا في الاسم وأصل المعنى، ونظيره ما قيل في الأسماء والصفات، أثبت الله له سمعًا وبصرًا، وقبل ذلك نفى عنه المماثلة، فسلكنا مسلك الإثبات بلا تمثيل، وتفويض الكيفية بلا تعطيل لأصل المعنى، وما يقال في الصفات يقال في هذه القاعدة.

فالله أخبرنا أن في الجنة نخلًا ولبنًا وماء وعسلًا ولحم طير، وفي نصوص أخرى أخبرنا أن في الجنة مالا عين رأت، فنتعامل معها كما نتعامل مع نصوص الصفات.

فهذه أصول ثلاث قامت عليها القاعدة، وهذا القاعدة من ثمراتها: الرد على بعض المتنطعين الذين يقحمون أنفسهم بما لم يُكلفوا به، إذ أن المسلم يكفيه الاستسلام لماهو ظاهر من النص، أما التعمق في مسائل الغيب وتجاوز الظاهر من النص إلى طلب معرفة الكيف، فإنه سبب لورود الشكوك على هذا المتعمق الذي ليس ينتظره أي فوائد مرجوّه من هذا التعمق، ولو أن هناك فوائد مرجوّة لَما غفل عنها الصحابة؛ إذ أنهم أحرص الناس على فهم دينهم.

قال الشيخ: «والتفكير والتعمق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التنطع الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون)[1]. ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم، وأخذ الأمور على ظاهر معناها، دون أن يتعمق أو

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥/ح: ٢٦٧٠).

يحاول المقايسة بينها وبين الأمور في الدنيا، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا، وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك، لكن بينهما فرق عظيم... فالسؤال المتعمق في مثل هذه الأمور بدعة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم- وهم أشد منّا حرصًا على العلم وعلى الخير- لم يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذه الأسئلة، وكفى بهم قدوة»[١].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

من تطبيقات هذه القاعدة الآيات التالية:

١- قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[٥].

الفرش، والنخل، والرمان، ولحم الطير، والسدر، والطلح، والظل، كل هذه الموصوفات موجودة في الجنة، وكذلك موجودة في الدنيا، لكن هذا الاشتراك في الوجود، اشتراك في المسمى وأصل المعنى فقط، وليس اشتراكًافي الحقيقة..

فإن قال معترض: إن الله أخبرنا بأن الحورية في الجنة كالياقوت والمرجان كما في قوله تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٦]، فهل هذا اشتراك في المسمى والحقيقة؟

فالجواب أن يقال: أنه ليس في هذه الآية نقض للقاعدة، كما أنه يقال لو كان الأمر كذلك أي في الاشتراك في المسمى والحقيقة، لكان هذا تعارضًا مع إخبار الله للخلق بأنه أعد للمتقين مالا عينٌ رأت، ولكن يقال إن الله في هذه الآية قال كأنهن الياقوت ولم يقل هن الياقوت، فالله هنا يضرب مثالًا على صفائهن، وليس على حقيقتهن، وكذلك يقال -وهو عندي أقوى- بأن

---

(١) مجموع فتاوى نور على الدرب للشيخ (٢/٤).

(٢) سورة الرحمن، آية (٥٤).

(٣) سورة الرحمن، آية (٦٨).

(٤) سورة الواقعة، آية (٢١).

(٥) سورة الواقعة، آية (٣٠).

(٦) سورة الرحمن، آية (٥٨).

الياقوت والمرجان، ليسا كياقوت ومرجان الدنيا، بل ما بينهما من النسبة كما بين لبن الدنيا ولبن الآخرة، قال ابن عباس: «﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۝٥٧كَأَنَّهُنَّ﴾ في الصفاء ﴿ٱلْيَاقُوتُ﴾ كالياقوت ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ كالمرجان في البياض»[١].

قال الطبري: «كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هن في هاتين الجنتين في صفائهن الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى مخ سوقهن من وراء أجسامهن، وفي حسنهن الياقوت والمرجان»[٢].

قال الشيخ: «أي: في الحسن والصفاء كالياقوت والمرجان، وهما جوهران نفيسان، الياقوت في الصفاء، والمرجان في الحمرة، يعني أنهن مشربات بالحمرة مع صفاء تام»[٣].

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٤٥٢/١).

(٢) تفسير الطبري (٦٥/٢٣).

(٣) كتاب تفسير الحجرات –الحديد للشيخ (٣٢١/١).

القاعدة الثالثة: «الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما ورد كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا، ولا يتعدى في شيء منه»[١].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

الأصول التي تقوم عليها هذه القاعدة هي نفس الأصول التي تقوم عليها القاعدة الأولى، ومايقال في القاعدة الأولى يقال هنا أيضًا، إلا أن هذه القاعدة تقومعلى أربعة أصول أخرى زائدة، وهي كالتالي:

الأصل الأول: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[٢].

الأصل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾[٣].

الأصل الثالث: قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[٤].

الأصل الرابع: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾[٥].

فالآية الأولى تخبر أن الغيب حق الله تعالى، وأنه اختص بعلمه، ومن علم من خلقه شيئًامنه فبإطلاع الله له عليه، وهذا الإطلاع لا يعطي المطلع عليه صفة العلم بالغيب، بل الغيب المطلق لله تعالى وحده.

و في الآية الثانية تحريم القول على الله في وصفه أو شرعهبلا علم، فإذا تجاوز العبد ماورد به النص، فزاد في الكيفية، أو الكمية، أو الزمن فقد قال على الله بغير علم؛ لأن تلك الزيادة تقييد وتخصيص لما لم يقيده الله ولا رسوله، فهو قول عليهما بغير علم، فتقرر بكل وضوح

---

(١) تفسير سورة النساء للشيخ (٤٢٧/١).

(٢) سورة الجن، الآيتان (٢٦-٢٧).

(٣) سورة الإسراء، آية (٣٦).

(٤) سورة الشورى، آية (٢١).

(٥) سورة الطلاق، آية (١).

وقطعية أن مسائل الغيب توقيفية، فلذلك يقتصر على ما ورد فيها دون مجاوزة أو تعد، لأن من تجاوز أو تعدى في مسائل الغيب التوقيفية فقد أتى بما لم يأذن به الله، فينطبق عليه الأصل الثالث وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾.

الأصل الرابع: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾.

جاء في لسان العرب أن الحد في اللغة: هو«الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر، وجمعه حدود»[١]، وجاء في البحر المحيطأن الحد: هو«الحاجز بين شيئين، ومنتهى الشيء»[٢].

قال أبو جعفر الطبري: «ومن يتجاوز حدود الله التي حدها لخلقه فقد ظلم نفسه: يقول: فقد أكسب نفسه وزرا، فصار بذلك لها ظالما، وعليها متعديا»[٣].

وبعد التتبع للآيات التي ذكر الله فيها قوله: ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾نجد أن كثيرًا منها أتت بعد تحديد للأحكام والتفصيل فيها، ثم في نهاية الآية يحذّر الله سبحانه، ويذكّر بأنها حدود الله، فالله بعدأن ذكر أحكام المواريث وبين الأنصبة بالتفصيل والكميات، وكيفية توزيعها قال﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤].

وكذلك في كفارة الظهار بعد أن فصّلفي الكفارة بالعدد والكيفية قال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥]، وكذلك في الطلاق بعد بيّن سبحانه أحوال الطلاق الرجعي والبائن بالتفصيل بالعدد، قال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٦].

وكذلك في آية أخرى بعد أن تكلم عن الطلاق وعن العدة، وبعد أن أمر بإحصائها قال كما في الأصل الرابع: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾[٧].

---

(١) لسان العرب (٣/١٤٠).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادى (١/٢٧٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٤٤١).

(٤) سورة النساء، آية (١٤).

(٥) سورة المجادلة، آية (٤).

(٦) سورة البقرة، آية (٢٣٠).

(٧) سورة الطلاق، آية (١).

فتبيّن من هذه الآيات أن الكيفيات والأعدادوالأزمنة التي ذكرها الله في هذه الآيات، مُعتبرة ومقصودة، بدلالة أنه يختم الآية بالتحذير من تجاوز هذه الحد، فمن زادفي الكيفية فقد تعدى حدود الله، ومن زاد أو نقص في الأعداد المشروعة فقد تعدى حدود الله، وهكذا، فإذا كان هذا في مسائل فقهية ومحسوسة بالنسبة لنا، فكيف بمسائل غيبية لم نرها بعد!!، فالمسائل الغيبية أولى بأن يُقتصر على ماورد فيها كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا، لأنها مجهولة لنا لا نعلمها إلا عن طريق الخبر، وهذا هو قياس الأولى.

فيستفاد من هذه الأصول والأدلة أربعة أصول وقواعد هي:

الأصل الأول: أن الغيب لا يعلمه البشر مطلقًا إلاعن طريق الوحي بواسطة الرسل.

الأصل الثاني: أن من تجاوز في المسائل الغيبية ولم يقتصر على ماورد فيها، فقد قال على الله بغير علم.

الأصل الثالث: أن من تجاوزفي مسائل الغيب الواردة، ولم يقنعبما ورد فيهافإنه يكون قد شرع فيهامالم يأذن به الله.

الأصل الرابع: أن الكميات والكيفيات والأزمنة الواردة في مسائل الغيب معتبرة، وتجاوز ما ورد فيها يعتبر تكذيبًا للأصل الأول، وعدم استجابة للأصل الثاني، وتشريعًا في مسألة غيبية بمالم يأذن به الله كما جاء في الأصل الثالث.

وعلى هذه الأصول تقوم أجزاء القاعدة التي قال الشيخ فيها «الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما ورد كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا ولا يتعدى في شيء منه».

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

١- قوله تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[٢].

---

(١) سورة الحاقة، آية (١٧).

(٢) سورة المعارج، آية (٤).

في هاتين الآيتين ذكر الله شيئًا من أحداث اليوم الآخر، ففي الآية الأولى أخبرنا بأن العرش يُحمل، والملائكة هي التي تحمله، وعددهم ثمانية، وفي الآية الثانية أخبرنا الله عن زمن هذا اليوم الذي تعرج فيه الملائكة والروح إليه، وأنه يعادل خمسين ألف سنة، فذكر في هاتين الآيتين كيفية وكمية وزمنًا.

الكيفية: طريقة حمل العرش وأنهم يحملونه فوقهم فقط.

الكمية: أخبرنا أن عددهم ثمانية أي ليسوا سبعة ولا تسعة.

الزمن: أخبرنا أن هذا اليوم يعادل مقدار خمسين ألف سنة.

و لو لم يخبرنا بمثل هاتين الآيتين لَما استطاع أحدٌ من البشر أن يعرف أن العرش يُحمل، وأن الذي الملائكة هي التي تحمله، وعددهم ثمانية، ولَما استطاع أحد أن يعرف أن مقدار اليوم الذي تعرج الملائكة والروح فيه يساوي بالزمن مقدار خمسين ألف سنة؛ والسبب أنها من مسائل الغيبالغائبة عنهم.

فتقرر بهذا عقلًا وشرعًا أن حكم تجاوزالكيفية والكمية والزمن الوراد ذكرهافي مسائلالغيب كحكمتجاوز مالم يرد أصلًا، وإحداث شيء لم يرد ألبتة.ومنتجاوز فقد قال على الله بغير علم، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله، فتقرر أن «الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما ورد كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا ولا يتعدى في شيء منه».

المبحث الثاني: قواعد في الإيمان بالقدر.

القاعدة الأولى: «كل فعل لله معلق بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة، وليس شيء من فعلهتعالى معلقًا بالمشيئة المجردة»[(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

هذه القاعدة تقوم على أربعة أصول:

الأصل الأول: فيه إثبات أن الله يفعل، وأن فعله متعلق بمشيئته وعدم خروج شيء من الحوادث عنها:

١- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[(٢)].

٢- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[(٣)].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[(٤)].

٤- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾[(٥)].

---

(١) كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣٧٥).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٥٣).

(٣) سورة آل عمرآن، آية (٤٠).

(٤) سورة الحج، آية (١٤).

(٥) سورة الحج، آية (١٨).

الأصل الثاني: إثبات أن مشيئته في أفعاله مقرونة بحكمته:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(٢).

٣- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾(٣).

٤- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٤).

٥- قال تعالى: ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(٥).

٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٦).

٧- قال تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٧).

٨- قال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾(٨).

الأصل الثالث: فيه إثبات الحكمة من الخلق والشرع وأن أفعال الله معللة، وأنها ليست عبثًا.

١- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٩).

---

(١) سورة الإنسان، آية (٣٠).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٢٠).

(٣) سورة الأنعام، آية (١٢٨).

(٤) سورة آل عمرآن، آية (٦).

(٥) سورة التوبة، آية (١٥).

(٦) سورة يوسف، آية (١٠٠).

(٧) سورة ابراهيم، آية (٤).

(٨) سورة الشورى، آية (٥١).

(٩) سورة الذاريات، آية (٥٦).

٢- قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١].

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[٢].

٤- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[٣].

٥- قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

٦- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[٥].

٧- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[٦].

٨- قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[٧].

٩- قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[٨].

١٠- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ

---

(١) سورة المؤمنون، آية (١١٥).

(٢) سورة الأنبياء، آية (١٦).

(٣) سورة الطلاق، آية (١٢).

(٤) سورة المائدة، آية (٩٧).

(٥) سورة الإسراء، آية (١٢).

(٦) سورة يونس، آية (٥).

(٧) سورة الحشر، آية (٧).

(٨) سورة الحج، آية (٥).

خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[١].

١١- قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[٢].

الأصل الرابع: فيه إثبات أن التعليلات في أفعال اللهقد تكون خفية عن الخلق:

- قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣].

هذه أربعة أصول تقوم عليها القاعدة:

- الأصل الأول فيه إثبات أن الله يفعل، وأن فعله متعلق بالمشيئة، قال الطبري: «لأنه الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه، لأن قدرته القدرة التي لا تشبهها قدرة»[٤] فهذا الأصل يقوم عليه الجزء الأول من القاعدة، وهو قول الشيخ: «كل فعل لله معلق بالمشيئة...».

- الأصل الثاني فيه إثبات أن مشيئته في أفعاله مقرونة بحكمته، والحكمة، كما قال ابن القيم: «هي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها»[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٥٠).

(٢) سورة الحديد، الآيتان (٢٢-٢٣).

(٣) سورة البقرة، آية (٣٠).

(٤) تفسير الطبري (٣٨٤/٦).

(٥) مدارج السالكين (٤٢٨/٣).

والحكيم: اسم من أسماء الله، كما جاء في هذه الآيات، فالله سبحانه لا يفعل إلا لحكمة، وهذا هو المتقرر في الفطر والنفوس، فإثبات الله لنفسه المشيئة في الفعل، مع إثبات صفة الحكمة له، كما في هذا الأصل، يدل على أن أفعال الله ليست لمجرد المشيئة، ومحض الفعل؛وإنما لحكمة وغاية يريدها الله.

- الأصل الثالث: نماذج على أن أفعال الله معللة، وأنها ليست عبثًا، فتعليل الله لأفعاله كما في هذا الأصل، يدل على أن أفعاله لحكمة بالغة، قال ابن القيم: «إنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل... وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة»(١).

ففي الأصل الثاني والأصل الثالث استكمال لنص القاعدة: «كل فعلٍ لله معلق بالمشيئة، فإنه مقرون بالحكمة».

- الأصل الرابع: إثبات أن التعليلات في أفعال اللهقد تكون خفية عن الخلق، فالله أخفى العلة عن الملائكة، في أصل خلق البشر، حين سألوا عن الحكمة من خلق من يفسد ويسفك الدماء، بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، فقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾يدل أن هناك علة لكنهم لا يعلمونها، فكيف بالبشر!، كما أن في هذا الأصل تعضيد ما ثبت في الأصول الثلاثة الأولى، من أن أفعال الله ليست مجردة، وإنما تكون لعلة وغاية وحكمة مقصودة، لكن هذه العلة قد تظهر للخلق ويعرفونها، وقد لا تظهر، ففي هذا الأصل يكتمل نص القاعدة الذي قال الشيخ فيها «كل فعل لله معلق بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة وليس شيء من فعله معلقًا بالمشيئة المجردة»(٢).

فمن خلال هذه الأصول الأربعة، يتضح الحق بكل وضوح ويقين وقطعية، وبكل سلاسة ومرونة، بأن الله يفعل مايشاء، وأن أفعاله تكون عن حكمة وغاية مقصودة، ولعلة قد يُظهرها للخلق، وقد لا يُظهرها، وهذا هو منهج السلف الصالح، وهو المتقرر في الفطر السليمة، والعقول الصريحة، والقرآن مليء بالآيات التي تثبت أن الله يفعل مايشاء، وأنه حكيم في أفعاله،

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (١/١٩١/١٩٠).

(٢) كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/٣٧٥).

كما أنه سبحانه وتعالى في آيات كثيرة، يعلل أفعاله وأحكامه، ويبيّن العلة والغاية والحكمة من فعله، وقد أسهب ابن القيم رحمه الله في ذكر أنواع العلل التيبعلل بها سبحانه وتعالى أفعاله، فذكر قرابة عشرين نوعًا، وقد أتيتُ بها هنا كاملة؛ لارتباط هذه العلل بدراسة هذه القاعدة، ولِمَا فيها من الرد على القائلين بخلو أفعال الله عن الحكمة والغاية والتعليل.

فهذه الأنواع من التعليلات كالتالي:

١- التصريح بلفظ الحكمة وماتصرف منه كقوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾[١].

٢- إخباره أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا، كقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢].

٣- الإتيان بكي الصريحة في التعليل، كقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٣].

٤- ذكر المفعول له، وهو علة للفعل المعلل به، كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[٤].

٥- الإتيان بأن، والفعل المستقبل بعدها تعليلًا لما قبله، كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[٥].

٦- ذكر ما هو من صرائح التعليل، وهو من أجل، كقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٦].

٧- التعليل بلعل كقوله ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة القمر، آية (٥).

(٢) سورة النساء، آية (١٦٥).

(٣) سورة الحديد، الآيتان (٢٢-٢٣).

(٤) سورة النحل، آية (٨٩).

(٥) سورة البقرة، آية (٢٨٢).

(٦) سورة المائدة، آية (٣٢).

(٧) سورة البقرة، آية (٢١).

٨- ذكر الحكم الكوني والشرعي عقيب الوصف المناسب له، كقوله ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾[٢].

٩- تعليله سبحانه عدم الحكم القدري والشرعي بوجود المانع منه، كقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾[٣].

١٠- إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره، كقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٤]، وقوله ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

١١- إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة، كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[٦].

١٢- إنكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين، أو يفرّق بين المتماثلين، وأن حكمته وعدله يأبى ذلك، كقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٧].

١٣- أمره سبحانه بتدبر كلامه، والتفكر فيه، وفي أوامره ونواهيه وزواجره، ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة التي هي محل الفكر، لما كان للتفكير فيه معنى.

---

(١) سورة الأنبياء، آية (٨٩).

(٢) سورة المائدة، آية (٣٨).

(٣) سورة الزخرف، آية (٣٣).

(٤) سورة النبأ، الآيات (٦-١٠).

(٥) سورة النحل، الآيتان (٦٨-٦٩).

(٦) سورة المؤمنون، آية (١١٥).

(٧) سورة القلم، آية (٣٥-٣٦).

١٤- إخباره عن صدور الخلق والأمر عن حكمته وعلمه، فيذكر هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه؛ تنبيهًا على أنهما إنما صدرا عن حكمة مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(١).

١٥- إخباره بأن حكمه أحسن الأحكام، وتقديره أحسن التقادير، ولولا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة، لما كان كذلك، كقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾(٢).

١٦- إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم، كقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣).

١٧- حمده سبحانه لنفسه على جميع ما يفعله، وأمره عباده بحمده، وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة، التي يستحق فاعلها الحمد، فهو يحمد على نفس الفعل، وعلى قصد الغاية الحميدة به، وعلى حصولها، فههنا ثلاثة أمور، ومنكرو الحكم والتعليل، ليس عندهم محمود على قصد الغاية، ولا على حصولها؛ إذ قصدها عندهم مستحيل عليه، وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود.

١٨- إخباره بإنعامه على خلقه، وإحسانه إليهم، وأنه خلق لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة؛ ليتم نعمته عليهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًاوَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٤).

١٩- اتصافه بالرحمة، وأنه أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وذلك لا يتحقق إلا بأن تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم، وبما أمرهم به، فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الإحسان إليهم، لما كان ثم رحمة.

---

(١) سورة النمل، آية (٦).

(٢) سورة البقرة، آية (١٣٨).

(٣) سورة النحل، آية (٧٦).

(٤) سورة النحل، آية (٨١).

٢٠- جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتمييز الواقع في أفعاله، بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه، وإن كان السائل لا يعلمها، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

٢١- إخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره؛ لما يستلزمه من المفسدة، وأن المصلحة في تركه، كقوله: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٢] [٣].

فمن خلال هذا الآيات المبينات، وهذه الدلالات القطعيات، يعتقد أهل السنة والجماعة اعتقادًا جازمًا: أن أفعال الله مقرونة بالحكمة والغاية المقصودة، وأن هذه العلة قد تخفى على العباد، وقد تظهر لهم أو لبعضهم.

ومع كل هذا الوضوح والبيان والقطعية في الدلالة، إلا أنها قد ظهرت أقوال ومذاهب، تنازع في هذا، وعللوا لمذهبهم في هذه المسألة، بتعليلات كلامية صعبة التصور، فضلًا عن الفهم، لا تخلو من تكلف وتعقيد، مع أن نصوص الوحي الدالة على إثبات الحكمة لله، سهلة الفهم، واضحة الدلالة، لا يُحتاج معها إلى تعليلات معقدة في تركيبها، فالله يقول﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٤]، فمن هؤلاء من قال: إن أفعال الله غير معللة، وهم ممن ينتسب للأشاعرة، ومنهم من قال بأن الحكمة مخلوقة منفصلة عن الله[٥]، وهم ممن ينتسب للمعتزلة، وهاتان الطائفتان هما أشهر من انحرف عن نصوص الوحي في هذه المسألة.

نموذج على القول بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله:

---

(١) سورة البقرة، آية (٣٠).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان (٢٢-٢٣).

(٣) انظر: شفاء العليل (١/١٩٠).

(٤) سورة القمر، آية (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

(٥) قواعد أهل الأثر في الإيمان بالقدر للدكتور النجار، ص(١٩٤).

- قال الرازي[١]: «من مذهبنا أنه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وأن أفعاله غير معللة»[٢].

- وقال الآمدي[٣]: «القاعدة الثانية: في نفي الغرض والمقصود عن أفعال واجب الوجود[٤] [٥]. مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه، لا لغاية يستند الإبداع

---

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، الأصولي، المفسر، له تصانيف ومؤلفات، وقعت منه انحرافات بسبب تقديم المعقول على المنقول، وقيل إنه رجع عن هذا المسلك، توفي بهراة، يوم عيد الفطر، سنة ست وست مائة، وله بضع وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢/١٦).

(٢) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (٤٤٥/٢).

(٣) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي، توفي في صفر سنة إحدى وثلاثين وست مائة. طبقات الشافعيين لابن كثير (٨٣٣/١).

(٤) هذا المصطلح من المصطلحات المتعلقة بالله سبحانه وتعالى وهذا المصطلح لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا يعتبر من الأسماء الحسنى لأن الأسماء الحسنى توقيفية، وهذا المصطلح من الأسماء التي أحدثها المتكلمة والمتفلسفة كابن سيناء ويريدون به: أنه هو الذي أوجد ذاته ولا يفتقر إلى حاجة أحد.
انظر: كتاب الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية للباحثة آمال العمرو (٢٨١/١)، والتعريفات للجرجاني (٢٠٨)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٦٥٠/١).

(٥) تكلم ابن تيمية عن هذا المصطلح عن مُحدثه وعن اشتقاقه وعن مصطلح سلف المحدث وعن قلة الفائدة منه فقال: «وأما الكلام بلفظ الواجب الوجود وممكن الوجود فهذا من كلام ابن سينا وأمثاله الذين اشتقوه من كلام المتكلمين المعتزلة ونحوهم وإلا فكلام سلفهم إنما يوجد فيه لفظ العلة والمعلول. وقد تكلمت على ما ذكره معلمهم الأول أرسطو في غير هذا الموضع وبينت قلة فائدة الحق منه وما فيه من التقصير والخطأ الكثير وأنه كما قيل: لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فيقلى..». انظر: الصفدية لابن تيمية (١٨٠/٢).
وكذلك ابن تيمية تكلم عن معنى هذا المصطلح في منهاج السنة واستطرد فيه وكان ذلك في مقام الرد على حجج ابن سينا وغيره والتي قد استقصاها الرازي، فقال ابن تيمية: «إن قوله: (واجب الوجود لذاته يمتنع أن يكون أكثر من واحد) إن أريد به يمتنع أن يكون أكثر من إله واحد أو رب واحد أو خالق واحد أو معبود واحد، أو حي واحد أو قيوم واحد أو صمد واحد أو قائم بنفسه واحد، ونحو ذلك، فهذا صحيح.
لكن لا يستلزم ذلك أن لا يكون له صفات من لوازم ذاته يمتنع تحقق ذاته بدونها، وأن لا يكون. واجب الوجود هو تلك الذات المستلزمة لتلك الصفات، والمراد بكونه واجب الوجود أنه موجود بنفسه يمتنع عليه العدم بوجه من الوجوه ليس له فاعل، ولا ما يسمى علة فاعلة ألبتة، وعلى هذا فصفاته داخلة في مسمى اسمه ليست ممكنة الثبوت، فإنها ليست ممكنة يمكن أن توجد ويمكن أن تعدم ولا تفتقر إلى فاعل يفعلها ولا علة فاعلة، بل هي من لوازم الذات التي هي بصفاتها اللازمة لها واجبة الوجود، فدعوى المدعي أن الصفات اللازمة ممكنة الثبوت تقبل الوجود والعدم كدعواه أن الذات الملزومة تقبل الوجود والعدم، وإن أراد بقوله: واجب الوجود واحد، أن واجب الوجود هو ذات مجردة عن صفات كان هذا ممنوعًا، ولم يذكر عليه دليلًا.

=

إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها، بل كل ما أبدعه من خير وشر، ونفع وضر، لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه، بل الخلق وأن لا خلق له جائزان، وهما بالنسبة إليه سيان[١]، ووافقهم على ذلك طوائف الإلهيين، وجهابذة الحكماء المتقدمين»[٢].

- وقال الإيجي[٣] في كتابه المواقف:

«المقصد الثامن: في أن أفعال الله تعالى ليست معللّة بالأغراض[٤]، وإليه ذهب الأشاعرة، وخالفهم فيه المعتزلة، ولنا بعد أن بينّا أنه لا يجب عليه شيء، ولا يقبح منه شيء، وجهان:

=

الوجه الثاني: أن يقال: دعوى المدعي أن واجب الوجود هو الذات دون صفاتها، وأن صفاتها هي ممكنة الوجود إن أراد بواجب الوجود أنه يمتنع عدمه من غير فاعل فعله، فكلاهما يمتنع عدمه من غير فاعل فعله، وإن أراد بواجب الوجود أنه القائم بنفسه الذي لا يفتقر إلى محل كان حقيقة هذا أن الصفات لا بد لها من محل تقوم به بخلاف الذات لكن هذا لا يقتضي أنها ممكنة الثبوت مفتقرة إلى فاعل، وإن أراد بواجب الوجود ما لا يمكن عدمه، وبممكن الوجود ما يمكن وجوده وعدمه، فمعلوم أن الصفات لا يمكن عدمها، كما لا يمكن عدم الذات، فوجوب الوجود يتناولهما، وإن أراد بواجب الوجود ما لا ملازم له لم يكن في الوجود شيء واجب الوجود، لا سيما على قولهم بأنه ملازم لمفعولاته، فلا يكون واجب الوجود... ومن تناقض هؤلاء ومن اتبعهم أنهم يفسرون واجب الوجود بأنه ما لا يلازم غيره لينفوا بذلك صفاته اللازمة له ويقولون: لو قلنا إن له صفات لازمة له لم يكن واجب الوجود، ثم يجعلون الأفلاك وغيرها لازمة له أزلا وأبدا، ويقولون: إن ذلك لا ينافي كونه واجب الوجود، فأي تناقض أعظم من هذا؟..».

للتوسع والاستزاده والنظر في بقية الردود انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢٦٥/١).(١٦٩/٢).

(١) سيان بمعنى مثلان أو سواء. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١١٢/٣)، ولسان العرب (٤١١/١٤).

(٢) غاية المرام في علم الكلام للآمدي، ص(١٩).

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي ولد بإيج من نواحي شيراز توفي مسجونًا سنة ٧٥٦هـ. انظر: الدرر الكامنة (١١٠/٣).

(٤) الأغراض جمع غرض، والغرض بمعنى الحكمة، قال ابن تيمية: «وأما لفظ الغرض فتطلقه المعتزلة وبعض المنتسبين لأهل السنة، ويقولون: إنه يفعل لغرض أي حكمة، وكثير من أهل السنة يقولون: يفعل لحكمة ولا يطلقون لفظ الغرض» انظر: منهاج السنة (١٤/٣).

وقال في موضع آخر: «ولكن الغالب على الفقهاء وغيرهم من المثبتين للقدر أنهم لا يطلقون لفظ " الغرض " وإن أطلقوا لفظ الحكمة لما فيه من إيهام الظلم والحاجة، فإن الناس إذا قالوا: فلان فعل هذا لغرض، وفلان له غرض مع فلان، كثيرا ما يعنون بذلك المراد المذموم من ظلم وفاحشة أو غيرهما، والله تعالى منزه عن أن يريد ما يكون مذموما بإرادته». انظر: منهاج السنة (٣١٤/٢).

=

١- لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصًا لذاته، ومستكملًا بتحصيل ذلك الغرض، لأنه لايصلح غرضًا للفاعل إلا ماهو أصلح له من عدمه، وهو معنى الكمال.

٢- إن غرض الفعل خارج عنه، يحصل تبعًا للفعل بتوسطه، إذ هو تعالى فاعل لجميع الأشياء ابتداءً كما بيّناه..

احتجوا: بأن الفعل الخالي عن الغرض عبث، وأنه قبيح يجب تنزيه الله عنه، قلنا: إن أردتم بالعبث مالا غرض فيه، فهو أول المسألة، وإن أردتم أمرًا آخر، فلابد من تصويره، ثم من تقريره، ثم من الدلالة على امتناعه على الله سبحانه وتعالى»[١].

قال ابن تيمية، في جواب هذه الدعوى: «أحدها: أن هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فما كان جوابًا في المفعولات، كان جوابًا عن هذا، ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلًا إلا مستكملًا بفعله.

الثاني: أنهم قالواكما له أن يكون لا يزال قادرًا على الفعل بحكمة، فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصًا.

الثالث: قول القائل: إنه مستكمل بغيره باطل؛ فإن ذلك إنما حصل بقدرته ومشيئته، لا شريك له في ذلك، فلم يكن في ذلك محتاجًا إلى غيره، وإذا قيل: كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره، كان كما لو قيل: كمل بصفاته، أو كمل بذاته.

الرابع: قول القائل: كان قبل ذلك ناقصًا، إن أراد به عدم ما تجدد، فلا نسلم أن عدمه قبل الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه، يكون نقصًا، وإن أراد بكونه ناقصًا معنى غير ذلك، فهو ممنوع، بل يقال: عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه، من الكمال، كما أن وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجوده فيه، كمال»[٢].

=

وقال أيضًا: «نفي الغرض الذي هو الحكمة، وكون الله لا يفعل لمصلحة العباد، فقد قدمنا أن هذا هو قول قليل منهم، كالأشعري، وطائفة توافقه في موضع، ويتناقضون في قولهم في موضع آخر». انظر: منهاج السنة (١٤/٣).

(١) كتاب المواقف في العلم الكلام للإيجي، ص(٣٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٦/٨).

فهذا الكلام من الرازي[١] والآمدي و الإيجي، تصريح بنفي الحكمة والغاية عن أفعال الله بمعنىأن الله خلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات، لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إنه فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة[٢].

فهذه نماذج من الأقوالفي الحكمة والتعليل في أفعال الله، والذي دعاهم إلى هذا المسلك هوأن إثبات الحكمة -بزعمهم-يقتضي أن يكون الكامل سبحانه مستكملًا بغيره، فيكونفي الحقيقة ناقصًا بذلك[٣].

نموذج على القول بأن الحكمة مخلوقة منفصلة عن الله.

قول القاضي عبدالجبار[٤]: «وكل ما يثبت أنه من فعله تعالى، فيجب أن يكون حكمة وصوابًا»[٥].

فكل واحد من هذين المذهبين الباطلين ينقض الآخر،، وهما عند التحقيق باطلان، والحق ما ذهب إليه سلف هذه الأمة وأئمتهامن إجراء النصوص على ظاهرها، والعمل بمقتضى ما دلت عليه، وإثبات ما أثبته الله لنفسه من الحكمة على الوجه اللائق به، وهو الذي توافقه الفطرة السليمة، والعقول الصريحة، فلو خُليت الفطر السليمة، والعقول الصريحة، من الصوارف، لأقرَّت بهذا المنهج، كما أن هذا المنهجسالم من التناقضات، والقول بما تحيله العقول، وتستبشعه الفطر السليمة.

---

(١) الإمام الذهبي رحمه الله نقل في كتابه السير كلامًا للرازي يدل على رجوعه لمذهب السلف، حيث قال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ﴾، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢/١٦).

(٢) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للدكتور المحمود، ص(٢٤٢).

(٣) قواعد أهل الأثر، ص(١٩٤).

(٤) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، أبو الحسن الهمذاني، شيخ المعتزلة وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة. انظر: طبقات الشافعيين (٣٧٣/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٢/١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩٧/٥)، والأعلام للزركلي (٢٧٣/٣).

(٥) المختصر في أصول الدين، ص(٣٤٧) المنسوب للقاضي عبد الجبار.

وأيضًا فإن هذا القول مفض إلى ضلالات، ومن نفى التعليل والحكمة في أفعال الله، دفعه ذلك إلى سلب العباد مشيئتهم، وإلى الزعم بأنهم مجبورون على أفعالهم وليسوا فاعلين لها، وكذلك المعتزلة حين أثبتوا لأفعال الله حكمة منفصلة عنه، لا ترجع إليه، حصروا هذه الحكمة في المخلوق، ثم زعموا أن هذه الحكمة لا تتم إلا بأن يكون العباد خالقين لأفعالهم، والله ليس خالقًا لها؛ حتى لا تنتفي صفة العدل عنه، وأدى بهم هذا إلى أن أوجبوا على الله فعل الأصلح بالنسبة للعباد، أما أهل السنة فلم يلزمهم على مذهبهم في تعليل أفعال الله لازم هذه اللوازم الباطلة.. فإثباتهم للتعليل والحكمة في أفعال الله، جعلهم يثبتون القدر بمراتبه الأربع، مع قيام الحجة على العباد في باب التكليف، دون أن يكون بين القدر والشرع تناقض أو تنازع، كما حدث لمخالفيهم[١].

وقد أسهب ابن تيمية في ذكر الأقوال المخالفة للحق في هذه المسألة[٢] وذكر أن هناك ثلاثة أقوال مشهورة لأهل الكلام:

القول الأول: القول بنفي الحكمة ونسبة للأشعري.

القول الثاني: القول بأن الله يخلق ويأمر لحكمة تعود إلى العباد، وهو نفعهم والإحسان إليهم؛ فلم يخلق ولم يأمر إلا لذلك، ونسبة للمعتزلة.

القول الثالث: قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب، لكن بحسب علمه، وقال إن هذا القول هو اختيار القاضي أبي خازم بن القاضي[٣] أبي يعلى، في كتابه " أصول الدين " وأن هذا الكتاب صنفه القاضي على كتاب محمد بن الهيثم الكرامي[٤]، بمعنى أن ابن تيمية ينسبه للكرامية.

---

(١) انظر: القضاء والقدر في باب الكتاب والسنة، ص(٢٤٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧/٨).

(٣) محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء البغدادي الحنبلي، ولد سنة سبع وخمسين، فمات أبوه وهو يرضع، تفقّه على: القاضي يعقوب البرزبيني تلميذ أبيه، حتى برع في العلم، وصنّف التبصرة في الخلاف، وكتاب رؤوس المسائل"، وشرح مختصر الخرقي، حدّث عنه أولاده أبو يعلى محمد، وأبو الفرج علي، وأبو محمد عبد الرحيم وغيرهم، توفي أبو خازم في صفر، سنة سبع وعشرين وخمس مائة، وعاش سبعين سنة، وكنوه بكنية عمه أبي خازم محمد الراوي. انظر: سير أعلام النبلاء (٤١١/١٤).

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن الهيصم، شيخ الكرامية، وعالمهم في وقته بخراسان، كانت وفاته مابين ٤٠١ - ٤١٠ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٧١/٩).مجموع الفتاوى (١٨٣/٦)، (٣٩/٨).

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

١- من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ﴾[١].

هذه الآية سوف أقوم بتطبيقها على أصول هذه القاعدة:

الأصل الأول: فيه تأصيل أن الله يفعل يشاء، فيجعل في أرحام الأمهات ما يشاؤه ويريده، ويخرج من شاء منهم طفلًا إلى الوجود، ويبلغه إلى عمر طويل؛ ومنهم من يتوفاه قبل ذلك، وهو سبحانه فعَّال لما يشاء.

الأصل الثاني: فيه تأصيل وإثبات تعليل أفعاله سبحانه وتعالى، وذلك في التنصيص على العلة بقوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا﴾فدل على أن أفعاله تعالى صادرة عن حكمة، ليس عبثًا بل لحكمة.

الأصل الثالث: فيه تأصيل على ظهور العلة في أفعال الله، فرب العالمين أبرز العلة، وبين سبب هذا الرد إلى أرذل العمر فقال: لكيلا يعلم من بعد علم شيئا.

٢- من تطبيقات هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[٢].

هذه الآية سوف أقوم بتطبيقها على أصول هذه القاعدة:

الأصل الأول: فيه تأصيل على أن الله يفعل ما يشاء، فالله يرزق من يشاء من عباده بالذرية، حتى وإن كان الأب شيخًا كبيرًا وزوجته عقيم، فالله إذا شاء أن يرزقهم رزقهم، كما رزق زكريا وزوجه.

الأصل الثاني: فيه تأصيل أن مشيئة الله في أفعاله تكون عن حكمة، فرب العالمين لَمّا رزق زكريا وهو شيخ كبير وزوجته عقيم، كان هذا لحكم وغايات عظيمة.

---

(١) سورة الحج، آية (٥).

(٢) سورة آل عمرآن، آية (٤٠).

الأصل الثالث: فيه تأصيل على أن الحكمة قد تخفى على العبيد في بعض أفعال الله، فالحكمة خفية في أن الله رزق زكريا بولده يحيى بعد أن كبر وأصبح شيخًاكبيرًا، وزوجته عقيم[١].

(١) يمكن أن يقال من الحِكمة في هذا أن يرث يحيى أباه في النبوة، ومنها إظهار قدرة الله ورحمته بأوليائه، ومنها أن الفرج مع الكرب.

القاعدة الثانية: «ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده، أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة، سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه أو إباحته» [(١)].

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: شرح القاعدة وأدلتها.

هذه القاعدة كالقاعدة السابقة، والكلام فيها امتداد للكلام في القاعدة السابقة، وفي كلا القاعدتينتكلم الشيخ عن الحكمة في أفعال الله، إلا أن الشيخ في القاعدة الأولى لم ينص على الحكمة فيما يتعلق بالتشريع، وفي هذه القاعدة يقرر الشيخ وجود الحكمة فيما يتعلق بالخلق، وبالتشريع، إذ أن حكمة الله تكون في مخلوقاته، وفي مأموراته.

قال ابن تيمية: «والغايات المحمودة في مفعولاتهومأموراته-وهي ما تنتهي إليه مفعولاتهومأموراتهمن العواقب الحميدة - تدل على حكمته البالغة»[(٢)].

فلذلك الأصول التي تقوم عليها هذه القاعدة، هي نفس الأصول التي تقوم عليها القاعدة الأولى، إلا أن هذه القاعدة تحتاج إلى تأصيل فيما يتعلق بالشطر الذي لم يذكر في سابقتها، وهو: الحكمة في التشريع، ولقد قمت بجمع الأصول التي تقوم عليها هذه القاعدة بشقّيها، سواء فيما يتعلق بالخلق، أو ما يتعلق بالتشريع، وعددها ستة أصول، على سبيل المثال لا الحصر:

الأصل الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٣)].

الأصل الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ (٨٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٣).

(٣) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٤) سورة الإسراء، آية (١٢).

الأصل الثالث:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١).

الأصل الرابع:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٢).

الأصل الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَـٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينًا﴾(٣).

الأصل السادس:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾(٤).

فهذه الأصول الستة هي التي تقوم عليها هذه القاعدة، وهذه الأصول مقسمة على شقي القاعدة، إذ أن الشق الأول منها قول الشيخ: «ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده، أو في إعدامه» وهذا الشق متعلق بالحكمة من الخلق.

والشق الثاني: هو قول الشيخ: «وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه أو تحريمه أو إباحته»، وهذا الشق متعلق بالحكمة في الشرع.

والأصل الأول والثاني متعلقان بالشق الأول، وهو الحكمة من الخلق:

فالأصل الأول: فيه دلالة على الحكمة من الإيجاد.

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٣).

(٢) سورة المائدة، آية (٩٠).

(٣) سورة النساء، آية (١٠١).

(٤) سورة الانعام، آية (١٢٤).

وهذا الأصل يوازي قول الشيخ: «ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده».

وفي الأصل الثاني دلالة على الحكمة من العدم.

وهذا الأصل يكمّل الجزء الآخر منشق القاعدة، وهو قوله: «أو في إعدامه».

والأصل الثالث، والرابع، والخامس، بالشق الثاني من القاعدة، وهو الحكمة من التشريع:

فالأصل الثالث فيه دلالة على الحكمة من الإيجاب.

وعلى هذا الأصل يقوم قول الشيخ: «وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة سواء، كان ذلك في إيجابه».

والأصل الرابع فيه دلالة على الحكمة منالتحريم.

وهو يوازي قول الشيخ: «أو تحريمه».

والأصل الخامس فيه دلالة على الحكمة من الإباحة.

على هذا الأصل يقوم قول الشيخ: «أو إباحته».

فهذه ثلاثة أصول تدل على دخول حكمة الله في المأمورات كما دخلت في المخلوقات.

قال ابن تيمية: «الحكمة الناشئة من الأمر ثلاثة أنواع:

أحدها: أن تكون في نفس الفعل – وإن لم يؤمر به – كما في الصدق والعدل ونحوهما من المصالح الحاصلة لمن فعل ذلك وإن لم يؤمر به، والله يأمر بالصلاح وينهى عن الفساد..

والنوع الثاني: أن ما أمر به ونهى عنه صار متصفًا بحسن اكتسبه من الأمر، وقبح اكتسبه من النهي، كالخمر التي كانت لم تحرم، ثم حرمت فصارت خبيثة، والصلاة إلى الصخرة التي كانت حسنة، فلما نهى عنها صارت قبيحة...

والنوع الثالث: أن تكون الحكمة ناشئة من نفس الأمر، وليس في الفعل ألبتة مصلحة، لكن المقصود ابتلاء العبد، هل يطيع أو يعصي، فإذا اعتقد الوجوب وعزم على الفعل حصل المقصود بالأمر فينسخ حينئذ، كما جرى للخليل في قصة الذبح»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠١/١٧).

والأصل السادس يتعلقبكلا الشقين؛ لأن فيه دلالة على أن الحكمة سواءً في الخلق أو التشريع قد تظهر وقد تخفى.

فمن خلال هذه الأصول تقوم هذه القاعدة التي نصّ الشيخ فيها بقوله: «ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة سواء، كان ذلك في إيجابه أو تحريمه أو إباحته».

فهذه الأصول الستة على سبيل التفصيل، وأمَّا على سبيل الإجمال فهذه القاعدة تقوم على أصلين، مع الأصل السادس، فهو أصل مشترك فهذان الأصلان هما:

الأصل الأول: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾[١].

الأصل الثاني: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[٢].

هذان الأصلان الأول في الخلق والثاني في الشرع[٣].

قال ابن القيم في تقرير هذه القاعدة: «وهو أنه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وإرادته، ويفعل ما يفعله بأسباب وحكم وغايات محمودة، وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والأسباب والمسببات، ما به قام الخلق والأمر، وهذا قول جمهور أهل الإسلام، وأكثر طوائف النظار، وهو قول الفقهاء قاطبة»[٤].

فيقرر ابن القيم رحمه الله أن أفعال الله تصدر عن أسباب وحكم وغايات محمودة.

فمن النماذج القرآنية التي ذكرها ابنالقيم على الأسباب الباعثة لفعل الله مايلي:

---

(١) سورة النحل، آية (٨١).

(٢) سورة البقرة، آية (١٥٠).

(٣) انظر: شفاء العليل (٢٠٢/١).

(٤) شفاء العليل (٢٠٦/١).

١- قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[١].

٢- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٤].

٥- قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[٥].

فهذه خمس آيات قرآنية، بيّن الله فيها السبب لأفعاله، وكل هذه الأسباب فعلها الله لحكمة وغاية، وقد أطال النفس ابن القيم في شفاء العليل في سرد الآيات المتضمنة لأسباب أفعال الله، فذكر قرابة الثلاثين آية، كل آية منها متضمنة لسبب الفعل، ثم قال بعد ذلك: «وهذا أكثر من أن يستوعب، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء»[٦].

وقال الشيخ: «أحب أن أنبه على قاعدة عامة فيما يخلقه الله عز وجل وفيما يشرعه.

وهذه القاعدة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله عز وجل فيما يخلقه وفيما يشرعه، أي في أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، فإنه ما من شيء يخلقه الله عز وجل إلا وله حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله تعالى إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه، أو إباحته، لكن هذه الحكم التي يتضمنها حكمه الكوني والشرعي قد تكون معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون

---

(١) سورة الأعراف، آية (٣٩).

(٢) سورة الحج، آية (١٠).

(٣) سورة الحاقة، آية (٢٤).

(٤) سورة غافر، آية (٢٢).

(٥) سورة النساء، آية (١٦٠).

(٦) شفاء العليل (١/١٨٨).

بعض حسب ما يؤتيهم الله سبحانه وتعالى من العلم والفهم، إذا تقرر هذا فإننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة وغاية حميدة، وهي عبادته تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن لله تعالى حكمة بالغة من خلق الجن والإنس وهي عبادته.

والعبادة هي: التذلل لله عز وجل محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[٤]، فهذه الحكمة من خلق الجن والإنس، وعلى هذا فمن تمرد على ربه، واستكبر عن عبادته، فإنه يكون نابذًا لهذه الحكمة التي خلق الله العباد من أجلها، وفعله يشهد أن الله خلق الخلق عبثًا وسدى، وهو وإن لم يصرح بذلك لكن هذا هو مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربه»[٥].

والنفاة لتعليل أفعال الله، يلزم من نفيهم لوازم باطلة في ربوبية الله، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته:

- فمن جهة الربوبية:

فالذي ينفي الحكمة والتعليل في خلق الله وأمره، فكأنه يظن أن الله يخلق عبثًا؛.

إذ إن الله قال﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، فأكد أنه لم يخلقنا عبثًا بل لغاية وحكمة، فالذي ينفي علة الفعل عن الله في الخلق، يلزم منه إثبات العبثية في فعل الله-تعالى الله-، فهما طريقان لا ثالث لهما، إما أن يظن هذا الإنسان أن الله خلقنا لعلة وغاية، وحينئذٍ لا يكون من الذين حسبوا أن الله خلقنا عبثًا، أو أن يظن أن الله لم يخلقنا

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٦).

(٢) سورة المؤمنون، آية (١١٥).

(٣) سورة القيامة، آية (٣٦).

(٤) سورة البينة، آية (٥).

(٥) مجموع فتاوى الشيخ (٨٧/١).

لعلة وغاية، وحينئذٍ يكون من الذين حسبوا أن الله خلقنا عبثًا. وهذا قدح في ربوبيته، وفي تدبيره وخلقه.

- ومن جهة الألوهية:

لأن الذي ينفي العلة عن العبادات والمأمورات، التي من أجلها خلقنا الله وأمرنا الله بها، فهو حينئذٍ يسلب من العبادة خصيصتها في المقصد والثواب والعقاب، فيجعل عبادة الصلاة المفروضة كعبادة الصيام، وكعبادة الحج، وكعبادة الزكاة، كلها لا علة من ورائها، ولا حكمة من تشريعها، فالعبادات عنده متساوية -في المقصد والمثوبة والعقاب- عند الله فليس بينها ميزات، و لا بينها فوارقفي المقصد من التشريع، فمثلًا في الصيام بيّن الله المقصد من تشريعه، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١]، وكذلك في عبادة الزكاة بيّن الله المقصد من تشريعها فقال: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢].

قال الشيخ السعدي: «﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾وهي الزكاة المفروضة، ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة»[٣].

ففي آية الصيام بيّن الله العلة من شرعه، وهي التقوى، وفي آية الزكاة بيّن الله العلة، وهي التطهير.

فعند من ينفي العلل لا فرق عنده بين المقصدين، كما أنه لا فرق عنده بين الثوابين، فهو يمارس عبادة الصيام على أنها عبادة مفروضة مجردة عن المقصد فقط، وهذا كله قدح في الألوهية التي خلقنا الله من أجلها.

- من جهة الأسماء والصفات:

فإن النافي للعلة واصف ربه بما ينزه عنه المخلوق، فإن الفعل الذي لا يصدر عن حكمة، وليس له غاية، عبث وطيش، وهذا وصف لله تعالى بالوصف السيء، المنافي لقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٣).

(٢) سورة التوبة، آية (١٠٣).

(٣)تفسير السعدي(١/٣٥٠).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]، والحكمة صفة من صفات الله الذاتية التي لا تنفك عنه، الثابتة له بالقرآن والسنة، وقد تقدم في الفصل الأول في مبحث الأسماء والصفات تحرير هذه المسألة، فمن نفى العلل في أفعال الله فإنه يلزمه أن ينفي عن الله صفة الحكمة، ومن قال بأن الحكمة منفصلة عن الله فقد جعلها صفة مخلوقة وهذا يلزم منه لوازم باطلة، كالقول بأن صفات الله مخلوقة -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- إذ أن الله يقول عن نفسه﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٢].

فكل هذا القوادح المتعلقة بأنواع التوحيد، وإن كانوا ينكرونها بلسانهم، فالحقيقة أن هذا هو مآل قولهم وحقيقته، لو أنهم كانوا يعقلون.

قال ابن القيم: «الخلق والأمر إنما قاما بالحكم والغايات، فهما مظهران بحمده وحكمته، فإنكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره، فإن الذي أثبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته إليه، فإنهمأثبتوا خلقًا وأمرًا لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة»[٣].

المطلب الثاني: تطبيقات على القاعدة.

التطبيقات سوف تكون على شقي القاعدة، كما أن التطبيقات سوف تكونمستندة على أصول هذه القاعدة:

- الشق الأول: «ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه» ففي هذا الشق يقرر الشيخ الحكمة من الخلق.
- الشق الثاني: «وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة سواء كان ذلك في إيجابه أو تحريمه أو إباحته»، وفي هذا الشق يقررالشيخ الحكمة من التشريع.

١- من التطبيقات على الشق الأول: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٢) سورة الإخلاص، آية (٣).

(٣) شفاء العليل (١٩٨/١).

(٤) سورة الإسراء، آية (١٢).

- الأصل الأول: فيه تقرير أن الله لا يخلق شيئًا ويوجدهُ إلا لحكمة.
- الأصل الثاني: فيه تقرير أن الله لا يعدم شيئًا إلا لحكمة.

فمن هذينالأصلين نقول: إن الله خلق الليل والنهار، وأوجدهما، وجعلهما آيتين، وأوجد آية الليل ومحا آية النهار؛لحكمة وغاية، فالحكمة من إيجاد آية النهار، وإعدام آية الليل هو قوله: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾.

٢-من التطبيقات على الشق الثاني: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

- الأصل الثالث: فيه تقرير أن الله في تشريعاته لا يشرع إلا لحكمة؛ والحكمة من فرض الصيام ووجوبه، التقوى، التي بينها سبحانه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

-الأصل الرابع: فيه تقرير أن الله عندما يحرم شيئًا فإنه هذا التحريم له حكمة، فالحكمة من تحريم الله للخمر والميسر والأنصاب والأزلام، بيّنها بقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[٣].

- الأصل الخامس: فيه تقرير أن الله عندما يبيح شيئًا فإنما يبيحه لحكمة، فالحكمة من قصر الصلاة عند الضرب في الأرض بيّنها الله بقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

---

(١) سورة البقرة، آية (١٨٣).

(٢) سورة المائدة، آية (٩٠).

(٣) سورة النساء، آية (١٠١).

الخاتمة :

الحمد لله أولاً وآخرًا، والشكر له ظاهرًا وباطنًا، وبعد:

فقد تم -بحمد لله وتوفيقه وإحسانه- هذا البحث في بيان القواعد العقدية عند الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى.

وإني لأرجو الله الكريم أن يجعل هذا الجهد مباركًا مقبولاً عنده، نافعًا لعباده، وأن يغفر لي ما وقع فيه من خطأ وزلل إنه جواد كريم، غفور رحيم.

وفي ختام هذا البحث أجمل باختصار أهم نتائجه وذلك كما يلي:

١- حرص الشيخ على التأصيل والتقعيد في تحرير المسائل؛ مماجعل منهجه غير مضطرب.

٢- تراث الشيخ مليء جدًا بالقواعد العقدية، والتفسيرية، والفقهية، والأصولية، والنحوية.

٣- إلمام الشيخ وتمكنه من كل فنون الشريعة، وهذا ظاهر في مؤلفاته، إذ أن له في كل فن من فنون الشريعة شروحات.

٤- عكوف الشيخ ولزومه للتدريس؛ كان له الأثر البالغ في انتفاع الناس منه، وكان سببًا في كثرة مؤلفاته.

٥- ابن تيمية وتلميذة ابن القيم كانا من أكثر العلماء الذين تأثر بهم الشيخ في تقريراته، وخصوصًا في مسائل الأسماء والصفات.

٦- على الرغم من التباعد الزمني بين مؤلفات الشيخ، إلا أن للشيخ منهجية واحدة، ورأيه يعتبر من أقوى الآراء في هذا الوقت، بمعنى أنه لم يظهر للقارئ المعاصر أقدمية هذا الرأي وبطلانه، وهذا يعود -والله أعلم- لحرص الشيخ على تحرير رأيه على ضوء نصوص الوحي، وقوة تمسك الشيخ بظاهر النص مالم يرد مايدل على خلافه.

٧- الشيخ رحمه الله يسير على منهجية رباعية في التقعيد والتقرير وهذه المنهجية الرباعية تعتبر هي الإطار العام لمنهجية الشيخ، وهذه المنهجية هي كالتالي:

أولًا: يستدل على تقعيداته بظاهر النص، ويحث على التمّسك به، فيبدأ بالقرآن، ثم السنة، ويسميهما أدلة النقل وتارة يسيمهما بأدلة السمع.

ثانيًا: يستدل على موافقة العقل لهذه التقرير والتقعيد.

ثالثًا: يستدل على إقرار الفطرة لهذه التقرير والتقعيد.

رابعًا: يستدل أحيانًا بالحس لإثبات مايقرّره ويقعّده.

٨- منهجية التمسك بظاهر النص عند الشيخ، يعني بها الظاهر المتبادر من لغة العرب، المفهوم من خطابها وعلى حسب مايقتضيه السياق.

٩- منهج الشيخ رحمه الله في التعامل مع العقل يقتدي فيها بمنهج السلف، فالشيخ يقدم النقل، ثم يُعمل العقل في فهمه، ثم يثبت بالاستدلال العقلي توافق العقل مع النقل.

١٠- الشيخ رحمه الله يقرّر عدم تعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح، و يعارض تقديم العقل على النقل.

١١- موقف الشيخ من الفطرة كان له الأثر البالغ والواضح على منهجه رحمه الله في التقرير والتقعيد، إذ أن تقريراته وتقعيداته متوافقة مع الفطرة وقائمة عليها.

١٢- دليل الحس لا يعتبر من المعالم البارزة في منهج الشيخ، بمعنى أنه لا ينتهجه كثيرًا كما هو الحال في السمع والعقل والفطرة، وذلك لأن دليل الحسينطبق على موضوعات، ويتخلف عن أخرى.

١٣- كل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة، وهذه القاعدة تعتبر من أدلة الحس التي يستدل بها الشيخ رحمه الله.

١٤- منهج الشيخ في تقريراته وتقعيداته تتميّز بدقة اللفظ، وسهولة الفهم، والشمولية والاستيعاب، بعيدًا عن التنطّع والتكلّف في التقرير والتقعيد، فالجميع من المتخصصين وغير المتخصصين يجد السهولة في فهم مراد الشيخ، بخلاف أهل الكلام والتشدق، فإنه من الصعوبة فهم مرادهم، كما أنه قلما يستدل أحدهم بنصوص الوحي.

١٥- حرص الشيخ التام على اتباع هدي الوحي في تقريراته وتقعيدات وهذا ظاهر في كلامه رحمه الله.

١٦- تقريرات الشيخ وتقعيداتهالعقدية يكون له فيها سلف من الصحابة والتابعين؛ لأنه أصلًا ينطلق في تقريراته وتقعيداته على ضوء الكتاب والسنة.

١٧- منهج التقعيد عند أهل السنة في مسائل الاعتقاد قائم على منهجهم فيما يتعلق بمصادر التلقي وكيفية الاستدلال، إذ أنه قواعدهم تقوم على القرآن والسنة والعقل والفطرة.

أول من رسم منهج السلف فيما يتعلق بالإذعان والقبول لظاهر النص والتمسك به

وعدم تقديم العقل على النقل، أبو بكر رضي الله عنها في قصة الإسراء، وتأسى به الإمام الزهري والإمام مالك في النص المشهورعنه في الاستواء.

تحكيم العقل في مسائل الغيب هو مزلة الأقدام في باب الصفات وفي غيرها من مسائل الاعتقاد الغيبية لأن العقل لا يتصور شيئًا لم يره، أو ير مثيله.

١٨- لا يوجد في تقريرات وتقعيدات أهل الكتاب والسنة مايعطّل العقل أو يجعله مقدّمًا على النص أو في مقابله، بل تقريراتهم وقواعدهم يكون فيها النص الصحيح والعقل الصريح في توافق.

١٩- أن الفطرة السليمة توافق منهج القرآن في جميع تقاريره، إذ أن منزّل القرآن هو الله، ومودع هذه الفطرة في الإنسان هو الله، فيحدث توافق لا تضاد، وكذلك جاءت تقريرات السلف وتقعيداتهم لمسائل الاعتقاد موافقة للفطرة، فليس من تقريراتهم وتقعيداتهم ماتنكره الفطرة.

٢٠- أن علم القواعد العقدية لم يحظ بالتأليف والتخصيص - عند المهتمين بعلم القواعد الشرعية لا سيّما الأوئل من المهتمين -كما حظي بذلك علم القواعد الفقهية وعلم القواعد الأصولية، فهو علم جديد لاسيّما من ناحية التأصيل والتأليف والتقعيد.

٢١- الضابط في الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر هو **وصوله لمرحلة العبادة**، فالشرك الأكبر هو العمل الذي يمارس ويتخذ كعبادة وهو المراد في الغالب عند الإطلاق، والأصغر عبارة عن أقوال وأعمال وإرادات أتى ما يدل على عدم خروج صاحبها من الملة، ولم تتخذ عبادة، ولكنها طريق إلى الشرك الأكبر، وقدح في التوحيد.

٢٢- أن البدعة تدخل في كل اعتقادٍ أو قولٍ أو عملٍ يفعل على أنه عبادة إذا لم يكن عليها دليل، أمّا الذي يفعل على أنه ليس بعبادة بل على سبيل العادة والعرف فلا يدخل في دائرة البدعة.

٢٣- أنالأسباب المشروعة تكون مقبولة شرعًا وعقلًا وحسًا، بينما الأسباب غير مشروعة تكون مرفوضة شرعًا وعقلًا وحسًا.

٢٤- أن الوسيلة من جنس الدعاء، والأصل في الدعاء أنه عبادة، والعبادة توقيفية، فلذلكالوسيلة تكون مبنية على التوقيف فلا يتوسل إلى الله إلا بما شرع.

٢٥- الأمر الكوني من خصائص الربوبية، فلا يُقرن معه فيه أحد من الخلق، حتى وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الأمر الشرعي فهو من أمر الله، ورسول الله إنما هو مبلغ عن الله فلذلك جاز فيه الاقتران.

٢٦- أن كل ما يريده الله من عقائد وشرائع جعله ظاهرًا في النصوص.

٢٧- جميع الكتب التي أنزلها الله على رسله يصّدق بعضها بعضًا، إذ أنمشرّعها واحد وهو الله عز وجل، ودعوتها واحدة وهو الإيمان بالله وتوحيده، والاختلاف يقع في الشرائع والمناهج.

٢٨- أهل التمثيل وأهل التعطيل كلاهما قاسوا صفات الله على صفات الخلق؛ فالمعطلة قادهم هذا القياس إلى التعطيل لكي ينزهوا الله بزعمهم عن مماثلة صفات الخلق بصفاته، والممثّلة قادهم هذا القياس وترك الشق الأول من آية الشوربإلى جعل صفات الله مماثلة لصفات الخلق.

٢٩- أن منهج السلف فيما يتعلق بمسائل الصفات هو المتوافق مع الفطرة السليمة، إذ أن منهجهم هو العمل بظاهر القرآن، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى الله عن نفسه، والسكوت عما لم يرد فيه إثبات ولا نفي، والفطرة تقرر هذا المنهج.

٣٠- الصفات الفعلية قديمة الجنس كالصفات الذاتية، وإنما آحادها وأفرادها هي التي تتجدد إذا أراد الله ذلك.

٣١- أسماء الله مترادفة في دلالتها على الذات؛ لأنها تتكلم عن ذات واحدة وهي ذات الله سبحانه، ومتباينة في المعنى فكل صفة لها معنى يخصّها.

٣٢- أن المضاف إلى الله إذا كان وصفًا غير قائم بنفسه، فإنه يكون صفة من صفات الله، ويكون هذا المضاف غير مخلوق لأن صفات الله غير مخلوقة.

أما إذا كان المضاف إلى اللهعينًا قائمة ومستقلة بذاتها، فإنه لا يكون من صفات الله، بل هو عين مستقلة مخلوقة.

٣٣- أن الصحابة كانوا يتقبّلون ماورد من أخبار الغيب بالإيمان والقبول والتسليم دون التنطع بكيف ولم؟ فلذلك كان منهج السلف من الصحابة والتابعين على أن الغيبيات لا تكيّف.

٣٤- الاشتراك بين الموجودات في الحياتين الدنيوية والأخروية، اشتراك في الإسم وأصل المعنى مع التباين في الحقيقة والكيفيّة.

٣٥- اعتقاد الحكمة في أفعال الله هو منهج السلف الصالح وهو المتقر رفي الفطر السليمة والعقول الصريحة.

كما أنني وبعد اطلاعي على كتب الشيخ رحمه الله تعالى، والكتب المعنية بالعقيدة، أوصي بما يلي:

١- إنشاء مشروع علمي يُعنى بتأسيس وتأصيل علم القواعد العقدية.

٢- إنشاء مشروع علمي يُعنى بجمع القواعد العقدية المتناثرة في كتب المتقدمين، وتقسيمها على أبواب العقيدة.

٣- إنشاء مشروع علمي يقوم بجمع كل القواعد التي نص عليها الشيخ بقوله: قاعدة، في كتبه، والمتعلقة بكل فنون الشريعة، وليس فقط المتعلقة بالعقيدة، وجمعها في مكان واحد.

إنشاء رسالة علمية تُعنى بجمع ودراسة القواعد العقدية عند الشيخ في غير أركان الإيمان.

٤- إنشاء رسالة علمية تُعنى بمنهجية الشيخ في الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض وجوابه عنها الموجودة في كتبه.

٥- إنشاء رسالة علمية بعنوان: ظاهرالنص وأثره على تقريرات ابن عثيمين العقدية، الفقهية، التفسيرية، والأصولية.

٦- إنشاء رسالة علمية تُعنى بمنهجية الشيخ في التعامل معتقريرات المذاهب المخالفة.

٧- إنشاء دورة علمية طويلة المدى تعُنى بتدريس كل كتب الشيخ المطبوعة وتكون ما بين دراسة تأصيلية وبين قراءة الجرد.

وفي الختام أوصي نفسي وإخواني المسلمين بالتمسك بالكتاب والسنة، والمشي على هدي سلف الأمة، كما أوصانا بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين، حمدًا يكافئ نعمه الظاهرة والباطنة كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه.

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الفِرق والأعلام.
- فهرس الألفاظ.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢	٥٥، ٨٥، ٨٧، ١١٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣-٢٤	١٣٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٨	١٦٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٠	٢١٠، ٢١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٤	١٦٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦١	١٦١، ١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٥	٣٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٠	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٥	١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١٢	١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٥	٦٢، ٦٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٧	١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣٧	١٦٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣٨	٢١٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤٢	١٨٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥٠	٢٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٤	٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨٣	٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٠	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٥	١٧٦، ١٧٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٩	٦٣، ٧٠، ٨١

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٠٥	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١٢	١٦٢، ١٨٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١٣	١٧٥، ١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢٠	٢٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢٢	١٧٧، ١٧٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣٠	٢٠٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤٧	١٨٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٥١	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٥٣	٢٠٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٥٥	٣٢، ١٥٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦١	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦٩	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٧٢	١٧٦، ١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٧٦	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٨٢	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٨٤	١٨٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٨٥	١٩٠، ١٩٢

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦	٢٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧	١٢٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩	٥٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣١	٧١، ١٦١، ١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٢	١٧٩

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٧	١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٠	٢٠٧، ٢٢١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٧	١٦٢، ١٧٤، ١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٧	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٣	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٦	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢١	١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣٢	١١٥، ١٣٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤٦	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥٩	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧٩	١٨٩، ١٩٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٠-١٩٣	٢٦، ١٠٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٣	١٠٤

سورة النساء

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤	١١٦، ٢٠٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٦	٥٣، ١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٦	٣٥، ١٢١، ١٢٥،
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٨	٥٠، ٥٣، ٨٤، ١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٩	١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٦	١٤٠، ١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٨	١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٩	١٢٠
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	٦٥	٢٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٩	١١٦

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٠	١١٤، ١١٦، ١١٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٢	١٣٣، ١٣٥، ١٣٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٣	١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٦	١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠١	٢٢٤، ٢٣١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٣	٦٢، ٦٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٧	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٥	٧٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٧	١٣٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣٤	١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤٨	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٠	٢٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٤	١٢٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٥	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٦	١٧١

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣	٧٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣	٥٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٢	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٥	١٠٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٨	٢١٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٢	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٤	١٣٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٦-٤٨	١٣١

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٨	٧٢، ٧٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٤	١٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٤	١٢٩، ١٨٠، ١٨٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٦	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٢	٨٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٠	٢٢٤، ٢٣١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٧	٢٠٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١٩	١٦١

سورة الأنعام

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١٤	١٣٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٤	٢٢٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٨	٢٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤١	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥٣	٧٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦٢-١٦٣	٥٧

سورة الأعراف

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣	٧١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٩	٢٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٤	١٢٧، ١٣٠، ١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧١	١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤٤	١٥٦، ١٥٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥٢	١٧٦، ١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥٦	١٧٣

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧٢	٣٣، ١٥١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨٠	١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ٢٣٠

سورة الأنفال

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	١١٦، ١١٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦	١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢-٢٣	٢١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٦	١١٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٣	١٤٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٨	١٨٠

سورة التوبة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥	١٨٧، ٢٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٦	١٦، ١٦١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٩	١١٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٦	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٣	٢٢٩

سورة يونس

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	١٣٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥	٢٠٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢	١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥	١٢٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨	٥٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٤	٢٨

سورة هود

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	١٣٣، ١٣٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٨	٣٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢٣	٥٨

سورة يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١-٢	١٢٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٠	٢٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٦	٥٠، ٨٦

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	١٥٩ ٢٠٨

سورة الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩	١٥، ١٣٣

سورة النحل

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧	٢٥، ٣٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٠	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦	١٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٦	٤٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٤	١٢٨، ١٩٥

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٨-٦٩	٢١٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٦	٢١٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٨	١٥١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨١	٢١٤، ٢٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٩	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٠	١١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٦	١٨٢

سورة الإسراء

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩	١٣٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢	٢٠٩، ٢٢٣، ٢٣٠
خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.	١٦	**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٦	١٥٣، ٢٠٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٥-٤٧	١٢٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٧	٩٧، ١٠٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٨	٣٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٦	١٢٤

سورة الكهف

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١٠	٥٣، ٦٥، ٧٣

سورة مريم

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	١٠١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٢	٣١، ١٥٢

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٥	٢٨، ٣٨، ١٤٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٥	١٦١

سورة طه

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢	١٦٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥	١٦١، ١٩١، ١٩٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨١	١٧٧، ١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٤	١٨١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٩	١٧٦، ١٨١

سورة الأنبياء

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦	٢٠٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٥	٤٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٦-٦٧	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٩	٢١٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩١	١٧٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩٨-٩٩	٢٨

سورة الحج

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥	٢٧، ٢٠٩، ٢٢١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠	٢٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤	٢٠٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨	٢٠٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦	١٧١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٩	٥٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٨	١٨٠

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٣	٢٨

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤	٢٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٣-٣٧	٢٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٠	٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٢-٨٣	٢٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٤-٨٩	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠٩	١٠٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١٥	٢٠٩، ٢١٣، ٢٢٨

سورة النّور

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٩	١٨٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٥	١٨٤
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	٥١	٢٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٠	١٦

سورة الشعراء

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣-٢٤	٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٣-١٩٥	٣٤، ١٢٤، ١٢٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩٥	١٢٢

سورة النّمل

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦	٢١٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٦	١٣٦

سورة القصص

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤	١٠١، ١٠٥، ١٠٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٨	١٨٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٦	١٨٠

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦-١٧	٢٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣١	٣٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٣	٣٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٥	٥٤

سورة الرّوم

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٠	١٥٠، ١٥١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٠	١٧٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٤	١٧٣

سورة لقمان

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣	٥١، ٥٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤	١٢

سورة السجدة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	١٧٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧	١٩٧

سورة الأحزاب

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١	٧٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٦	١١٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٠	٢٠٩

سورة فاطر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	١٥٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢	١٨٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٤	١٥٣

سورة يس

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥١	١٩٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨٢	١١٢، ١٥٩

سورة ص

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧٥	٣٦، ١٢٩، ١٤٦

سورة الزمر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	١٦٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧	١٨٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣	١٣٥

سورة غافر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦	١٦٠

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢	٢٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٦	١٩٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٠	٥٤، ٥٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٧-٦٨	٢٦

سورة فصّلت

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٧	٥٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٩	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤٠	١٤٢

سورة الشورى

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١١	٣٢، ٣٨، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٩٧، ١٩٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٦	١٨٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩	١٥٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١	٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٢٠٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥١	٢٠٨

سورة الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١-٣	٢٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣	٣٤
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٣	٢١٣

سورة الجاثية

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨	٧٢

سورة محمد

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٥	١٩٧

سورة الفتح

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٨	١٧٧، ١٨١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦	١٨٣

سورة ق

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢-٣	٢٩

سورة الذاريات

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٨-٩	١٣٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٦	٥٣، ٦٠، ٦٤، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٨

سورة الطور

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٥	٢٥

سورة النجم

الآية	رقمها	الصفحة

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣-٤	١١٣، ١٣٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦	١٨١

سورة القمر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥	٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٠-١٤	٣٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٤	٣٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧	٢١٥

سورة الرحمن

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٥٨	٢٠١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦٨	٢٠١

سورة الواقعة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢١	٢٠١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٨-٣٠	٢٠١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤١-٤٧	٢٩

سورة الحديد

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	١٤٠، ١٤١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧	٢٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢-٢٣	٢١٠، ٢١٢
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤	٣٢

سورة المجادلة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	٢٠٤

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣	١١٦

سورة الحشر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٧	٢٣، ٧٢، ٢٠٩
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣	١٦٣، ١٦٦
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤	١٦٧

سورة الصف

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	١٧٩

سورة الطلاق

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	٢٠٣
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٢	٢٠٩

سورة الملك

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢	٧٣

سورة القلم

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٥-٣٦	٢١٣

سورة الحاقة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧	٢٠٥
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٤	٢٢٧

سورة المعارج

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	٢٠٥

سورة الجن

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٩	١٧١
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٣	١١٧
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٦-٢٧	٢٠٣

سورة القيامة

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٦	٢٢٨

سورة المدثر

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧-٢٦	٢٩

سورة الإنسان

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣٠	٢٠٨

سورة النبأ

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٦-١١	٢١٣

سورة الغاشية

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٥-٢٦	١٩٦

سورة الفجر

الآية	رقمها	الصفحة

خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٢٢	١٥٦، ١٦٠، ١٧٥

سورة الشمس

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٣	١٦٨

سورة الليل

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١٧-٢١	١٨١

سورة الإخلاص

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	٨٨
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٣	٢٣٠
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	٤	٣٨

سورة الفلق

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	٨٨

سورة النّاس

الآية	رقمها	الصفحة
خطأ! وسيطة رمز تبديل غير معروفة.	١	٨٨

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
أتدرون ما الإيمان بالله وحده	١١٤
أجعلتني واللهَ عَدْلًا؟! بل ما شاء الله وحدَه	٨٧
إذا ماتَ الإنسانُ انقطَعَ عنه عملُه إلا من ثلاثةِ أشياء	١١٠
أذهب البأس رب الناس، اشْف أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك	٨٨
أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن	٨٦
ارجع فصل، فإنك لم تصل	٦١
الحج عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجه	٦٣
الطِيَرَةُ شِرْك، وما منّا إلاَّ، ولكن الله يُذهبه بالتوكل	٩٢
القبر أول منازل الآخرة	١٩٢
اللهم أغثنا	١٠١
اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه	١٠١
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي	١٠٠
إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله	٨٩
إن الدعاء هو العبادة	٥٤
إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلةشرك	٨٧
إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس، ولا لحياته	٦٢
إن أول نسكنا في يومنا هذا، أن نبدأ بالصلاة، ثم نرجع، فننحر	٦٢
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله؛ إني لأخشاكم لله	٦١
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى	٩١
إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم	٦١
أين الله؟	٣٢
بعثت أنا والساعة كهاتين	٧٤
جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه	١١٣
خمس صلوات في اليوم والليلة	٧٩
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي	٢٥
قال الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت	١٩٧
قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٥٤
قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت	٩٩
لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان	١١٣

لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل ٩٦
لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس ١٢
ليردن علي ناس من أصحابي الحوض ٧٤
ما شأنكم؟ ١٩٠
ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحَزَنٌ اللهم إني عبدك، ابن عبدك ٩٩
ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه ١٥٠
مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه ٧٥
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد ٦٠
من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك ٩٢
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد ٦٠
من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار ٥٤
هذا صراط ربك مستقيمًا، و هذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ٧٢
هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ ١٥٢
هل تدرون ماذا قال ربكم ١١٥
هلك المتنطعون ٢٠٠
وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ٧٤
يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ ٥٤
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا ١٩٠
يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة ١٧٧
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر ١٥٦

فهرس الفِرق والأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم بن السري الزجاج	١٩١
إبراهيم بن موسى الشاطبي	٢٠
ابن أبي العز	١١٢
ابن الأثير	٨٣
ابن بطال	١٩٨
ابن حجر العسقلاني	١٥١
ابن حجر الهيتمي	١٤٤
ابن رجب	١٥١
ابن عبد البر	١٣٨
ابن قتيبة	١٦
ابن نجيم	١٩
أبو إسرائيل، قشير	٧٥
أبو البقاء، أيوب بن موسى الكفوي	١٩
أبو العالية	٥٥
أبو القاسم اللالكائي	٢٤
أبو المعالي الجويني	٣٢
أبو بكر الزهري	١٢٧
أبو جعفر الهمداني	٣٢
أبو حاتم	٥٥
أبو خراش الهذلي	٩٣
أبو عمر الأوزاعي	١٢٧
أبو مالك الأشعري	٨٦
أبو محمد البغوي	١٠٤
أحمد بن محمد الثعلبي	١٩٦
أحمد بن محمد الحموي	١٩
الفراء	١٤٠
النواس بن سمعان	١٩٠
بدر الدين العيني	١٩٩
ثعلب = أحمد بن يحيى البغدادي	١٥٠

جلال الدين السيوطي ١٤٤
زيد بن خالد الجهني ١١٥
زينب بنت معاوية ٨٧
سليمان عبدالقوي الطوفي ١٨
سيف الدين الآمدي ٢١٦
شهاب الدين القرافي ١٧
عبد الرحمن بن يعمر الديلي ٦٣
عبدالجبار الهمذاني ٢١٩
عبدالرحمن السعدي ٤٨
عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ١٣٤
عضد الدين الإيجي ٢١٧
علي بن محمد الجرجاني ١٨
فخر الدين الرازي ٢١٦
فضالة بن عبيد ٩٣
محمد بن إبراهيم الكناني ١٤٧
محمد بن أبي يعلى ٢٢٠
محمد بن أحمد الذهبي ١٢٧
محمد بن أحمد السفاريني ١٢٨
محمد بن الهيصم الكرامي ٢٢٠
محمد بن سعيد البوصيري ٩٤
محمد بن سيرين ١١٧
محمد بن علي الشوكاني ١٤٣
محمد خليل هراس ١٥٧
مسعود بن عمر التفتازاني ١٨
مكحول ١٢٧
منصور بن يونس البهوتي ١٨
وكيع بن الجراح ١٩٥

فهرس الألفاظ

اللفظ	الصفحة
اختلجوا	٧٤
الأغراض	٢١٧
الحس	٣٤
الحُمْرة	٨٧
الحُمْس	٧٠
السير	٥٠
الفطرة	٣٤
الكنه	١٤٥
سيان	٢١٧
طافئة	١٩٠
قطط	١٩٠
مهيع	١٣٨
واجب الوجود	٢١٦

فهرس المصادر والمراجع

١.	**الإبانة الكبرى لابن بطة.** أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، المعروف بابن بَطَّة العكبري، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٢.	**الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، نشر مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية.
٣.	**الآثار الواردة عن السلف في الإيمان بالله وملائكته من خلال (تفسير القرآن الكريم) للحافظ ابن كثير، جمعًا وترتيبًا.** سميرة بنت عبدالله دبيس القحطاني، رسالة ماجستير من جامعة الملك خالد، ١٤٣٢هـ.
٤.	**الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الإعتقاد من كتاب (سير أعلام النبلاء للذهبي) جمعاً وتخريجًا ودراسة.** جمال بن أحمد بن بشيربادي، دار الوطن، رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٥.	**الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء، دراسة تحليلية.** عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة الثالثة والثلاثون، العدد الحادي عشر بعد المائة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٦.	**الأجوبة السعدية على المسائل الكويتية.** عبدالرحمن السعدي، تحقيق الدكتور وليد المنيس، مركز البحوث والدراسات الكويتية ١٤٢٣هـ.
٧.	**الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.** ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٨.	**الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد.** صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الصحابة للطبع والنشر، الطبعة الثانية.
٩.	**الاستقامة.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود. الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٠.	**الاستيعاب في معرفة الأصحاب.** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد

	البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١١.	**أسد الغابة في معرفة الصحابة.** أبو الحسن، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
١٢.	**الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ.** زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٣.	**الإصابة في تمييز الصحابة.** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى-١٤١٥هـ.
١٤.	**الأصول القرآنية في أسماء الله وصفاته العلية.** أحمد القاضي، وهي مذكرة لم تطبع.
١٥.	**الاعتصام.** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
١٦.	**إعلام الموقعين عن رب العالمين.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١٧.	**الأعلام.** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر-أيار / مايو ٢٠٠٢م.
١٨.	**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. نشر: دار عالم الكتب، بيروت. الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٩.	**أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان.** عبدالعزيز بن عبدالله المبدّل، دار التوحيد، الطبعة الأولى.
٢٠.	**إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال.** مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، الفاروق الحديثة للطباعة

	والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢١.	**الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية.** آمال بنت عبد العزيز العمرو، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٧/٠٢/١٩هـ.
٢٢.	**أنوار البروق في أنواء الفروق.** أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.
٢٣.	**إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل.** أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، تحقيق: وهبي سليمان غاوجيالألباني، دار السلام للطباعة والنشر –مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٤.	**بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار.** أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٥.	**البردة للبوصيري شرح إبراهيم الباجوري.** تعليق: عبدالرحمن حسن محمود، نشر مكتبة الآداب.
٢٦.	**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان.
٢٧.	**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.** أحمد بن عبدالسلام، ابن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، الطبعة ١٤٢٦هـ.
٢٨.	**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٩.	**تاريخ بغداد.** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٣٠.	**التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.

٣١.	**التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان –الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٣٢.	**التعريفات الاعتقادية.** سعد آل عبداللطيف، دار الوطن للنشر.
٣٣.	**التعريفات.** علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٤.	**تفسير الجلالين.** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
٣٥.	**تفسير الطبري.** تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٦.	**تفسير القرآن العظيم.** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣٧.	**تفسير القرآن العظيم.** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية. الطبعة الثالثة -١٤١٩هـ.
٣٨.	**تفسير جزء عم.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٩.	**تفسير سورة آل عمرآن.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة.
٤٠.	**تفسير سورة الحجرات – الحديد.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٤٢٥
٤١.	**تفسير سورة النساء.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة ١٤٣٥هـ.

٤٢.	**تفسير مجاهد.** تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة الأولى.
٤٣.	**تقريب التدمرية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، الطبعة الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٤.	**التَّكْميل في الجَرْح والتَّعْدِيل ومَعْرِفة الثِّقَات والضُّعفاء والمجَاهِيل.** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٤٥.	**تلخيص كتاب الاستغاثة = الرد على البكري.** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة الغرباء الأثرية -المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧، محمد علي عجال
٤٦.	**التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.** أبو عبد الله، عبد الرحمن السعدي، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٧.	**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** (منسوب لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما). جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية -لبنان.
٤٨.	**تهذيب التهذيب.** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٤٩.	**تهذيب اللغة.** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٥٠.	**التوحيد.** للشيخ محمد بن عبدالوهاب. تحقيق وتخريج وتعليق: أحمد بن علي القفيلي، مكتبة العلوم والحكم بمصر، الطبعة الأولى.
٥١.	**توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم.** أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٥٢.	**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٥٣.	**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم.** ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٥٤.	**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري.** أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٥.	**جامع بيان العلم وفضله.** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٥٦.	**جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات.** وليد بن محمد بن عبدالله العلي، المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة في دولة الكويت، رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٥٧.	**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، سنة ١٤١٨هـ.
٥٨.	**جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب.** أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت.
٥٩.	**الحاوي للفتاوي.** جلال الدينالسيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٦٠.	**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة -بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
٦١.	**درء تعارض العقل والنقل.**

	تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٦٢.	**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية -صيدر اباد/ الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٦٣.	**ذيل طبقات الحنابلة.** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٦٤.	**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.
٦٥.	**السنة.** أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٦٦.	**السُّنة.** أبو بكر الخَلَّال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية -الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٦٧.	**سنن ابن ماجه.** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٨.	**سنن أبي داود.** أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٩.	**سنن الدارقطني.** أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
٧٠.	**سير أعلام النبلاء.**

	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٧١.	**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.** أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة -السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٧٢.	**شرح الأصول الثلاثة.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، نشر دار الثريا للنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
٧٣.	**شرح التلويح على التوضيح.** سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، مكتبة صبيح بمصر.
٧٤.	**شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٧٥.	**شرح العقيدة الطحاوية.** ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٧٦.	**شرح العقيدة الواسطية.** محمد بن خليل حسن هرّاس، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع — الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
٧٧.	**شرح العقيدة الواسطية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.
٧٨.	**شرح القواعد الفقهية.** أحمد ابن الشيخ محمدالزرقا، دار القلم دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٧٩.	**شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مؤسسة الشيخ ابن عثيمن الخيرية، الطبعة الأولى.
٨٠.	**شرح صحيح البخاري لابن بطال.** ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٨١.	**شرح مختصر الروضة.**

	سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
٨٢.	**شرح مقدمة التفسير لابن تيمية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٨٣.	**الشريعة.** أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن-الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٨٤.	**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٨٥.	**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري.** أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٦.	**صحيح الجامع الصغير وزياداته.** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.
٨٧.	**الصفدية.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
٨٨.	**الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ
٨٩.	**طبقات الحفاظ.** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٩٠.	**طبقات الحنابلة.** أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، محمد حامد الفقي، دار المعرفة -بيروت.
٩١.	**الطبقات السنية في تراجم الحنفية.**

	تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي.
٩٢.	**طبقات الشافعية الكبرى.** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٩٣.	**طبقات الشافعيين.** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٩٤.	**طبقات المفسرين للداوودي.** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية -بيروت.
٩٥.	**العبودية.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٩٦.	**العقد المذهب في طبقات حملة المذهب.** ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٩٧.	**عقيدة التوحيد.** صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الطبعة الأولى.
٩٨.	**العقيدة السفارينية = (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية).** شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٩٩.	**عقيدة السلف وأصحاب الحديث.** أبو عثمان إسماعيل عبدالرحمن الصابوني، تحقيق وتخريج: أبو اليمن المنصوري ن، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٠٠.	**العقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.** للدكتور أحمد بن عبدالرحمن القاضي، مجلة البيان، الطبعة الثانية.
١٠١.	**العقيدة الواسطية.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار البخاري، الطبعة ١٤١٣هـ.
١٠٢.	**العقيدة في الله.**

	عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثانية عشر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٣.	**العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها.** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
١٠٤.	**عمدة القاري شرح صحيح البخاري.** بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
١٠٥.	**غاية المرام في علم الكلام.** أبو الحسن علي بن محمد ابن سالم التغلبي المعروف بسيف الدين الآمدي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
١٠٦.	**غريب الحديث.** أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٠٧.	**غريب الحديث.** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٠٨.	**غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر.** أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٠٩.	**الفتاوى الحديثية.** ابن حجر الهيتمي، دار الفكر.
١١٠.	**فتاوى في العقيدة للشيخ ابن عثيمين.** دار الثريا، الطبعة الأولى.
١١١.	**فتاوى نور الدرب للشيخ محمد العثمين.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، نشر مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، الإصدار الأول، ١٤٢٧هـ.
١١٢.	**فتح الباري شرح صحيح البخاري.** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

١١٣.	**فتح القدير.** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروتالطبعة الأولى-١٤١٤هـ.
١١٤.	**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.** عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.
١١٥.	**فتح رب البرية بتلخيص الحموية.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض.
١١٦.	**الفتوى الحموية الكبرى.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري.، دار الصميعي- الرياض، الطبعة الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١١٧.	**الفقه الأكبر.** ينسب لأبي حنيفة النعمان، مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، مكتبة الفرقان-الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١١٨.	**فوات الوفيات.** محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، إحسان عباس، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣-١٩٧٤م
١١٩.	**القاموس المحيط.** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٢٠.	**القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه.** عبد الرحمن المحمود، مدار الوطن، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ.
١٢١.	**قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية.** محمد بن بسيس السفياني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأول ١٤٣٥هـ.
١٢٢.	**القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة دراسة تأصيلية.** عادل عبد الغفور حيدر، وهي رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى، كتاب إلكتروني.
١٢٣.	**القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة.** محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ.

١٢٤.	**القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف.** إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى.
١٢٥.	**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مدار الوطن للنشر الطبعة ١٤٢٩ هـ
١٢٦.	**قواعد أهل الأثر في الإيمان بالقدر.** أحمد ابن محمد الصادق النجار، دار النصيحة، الطبعة الأولى.
١٢٧.	**قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة.** عادل محمد علي الشيخاني، أضواء البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١٢٨.	**القول السديد شرح كتاب التوحيد.** أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.
١٢٩.	**القول المفيد على كتاب التوحيد.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ، محرم ١٤٢٤هـ.
١٣٠.	**الكافية الشافية = القصيدة النونية.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.. الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ
١٣١.	**كتاب الإيمان، ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته.** أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٣٢.	**الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار.** أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٣٣.	**كشاف القناع عن متن الإقناع.** منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الكتب العلمية.
١٣٤.	**الكشف والبيان عن تفسير القرآن.** أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٣٥.	**الكليات.**

	أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٣٦.	**لسان العرب.** محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة -١٤١٤هـ.
١٣٧.	**لمعة الاعتقاد.** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٣٨.	**المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي.** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية -حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦
١٣٩.	**مجموع الفتاوى.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٤٠.	**مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.** جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن-دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣ هـ.
١٤١.	**المحكم والمحيط الأعظم.** أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٤٢.	**مختارات من من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن عثيمين.** نشر مؤسسة ابن عثيمين الخيرية الطبعة الأولى.
١٤٣.	**مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٤٤.	**مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي.** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٤٥.	**المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار.** تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة.
١٤٦.	**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٤٧.	**المدخل إلى السنن الكبرى.** أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي-الكويت.
١٤٨.	**المستدرك على الصحيحين.** أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠
١٤٩.	**مسند الإمام أحمد بن حنبل.** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٥٠.	**مسند الإمام أحمد بن حنبل.** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٥١.	**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم.** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
١٥٢.	**مشاهير علماء نجد وغيرهم.** عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٥٣.	**المصنف.** أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٥٤.	**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد.** حافظ الحكمي، دار ابن الجوزي، الطبعة السادسة، تحقيق: محمد صبحي حلاّف.
١٥٥.	**معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي.** أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٥٦.	**معاني القرآن وإعرابه.** إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥٧.	**معاني القرآن.** أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.
١٥٨.	**معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات.** محمد خليفة التميمي، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الكويت، الجهراء.
١٥٩.	**معجم التعريفات والفوائد والتقسيمات الإعتقادية في مصنفات ابن عثيمين.** جمع وترتيب أحمد سالم، دار المودة، الطبعة الاولى.
١٦٠.	**معجم التعريفات.** علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.
١٦١.	**معجم الشيوخ.** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
١٦٢.	**معجم الصحابة.** أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني.
١٦٣.	**المعجم الكبير.** سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية -القاهرة، الطبعة الثانية.

١٦٤.	**معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر.** عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤٠هـ-١٩٨٨م.
١٦٥.	**المعجم الوسيط.** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
١٦٦.	**معجم مقاييس اللغة.** أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٦٧.	**معرفة الصحابة.** أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٦٨.	**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير.** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثالثة -١٤٢٠ هـ.
١٦٩.	**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية -بيروت.
١٧٠.	**الملل والنحل.** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
١٧١.	**مناقب الإمام أحمد.** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ
١٧٢.	**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٧٣.	**منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل.** محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الشريعة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ
١٧٤.	**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.** أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية،

	١٣٩٢هـ.
١٧٥.	**منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.** عثمان علي حسن، مكتبة الرشد، الطبعة السابعة ١٤٣١هـ.
١٧٦.	**الموافقات.** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٧٧.	**المواقف في العلم الكلام.** عبدالرحمن ابن أحمد الإيجي، عالم الكتب بيروت.
١٧٨.	**موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم.** محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، الطبعة الأولى-١٩٩٦م.
١٧٩.	**موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية.** أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، النبلاء للكتاب، مراكش-المغرب، الطبعة الأولى.
١٨٠.	**النبوات.** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان.نشر: أضواء السلف، الرياض.الطبعة الأولى.
١٨١.	**النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.** تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٨٢.	**نيل الابتهاج بتطريز الديباج.** أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، دار الكاتب، طرابلس-ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
١٨٣.	**الوافي بالوفيات.** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث-بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٨٤.	**الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية.** محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان،

	الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٨٥.	**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، إحسان عباس، دار صادر-بيروت.

مصادر كتب الشيخ العثيمين رحمه الله:

١.	**٤٨ سؤالاً في الصيام.**
٢.	**٦٠ سؤلاً في أحكام الحيض والنفاس.**
٣.	**٧٠ سؤلاً في أحكام الجنائز.**
٤.	**الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.**
٥.	**أحكام الأضحية والذكاة.**
٦.	**أخطاء يرتكبها بعض الحجاج.**
٧.	**الأدلة على بطلان الاشتراكية.**
٨.	**أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها.**
٩.	**أسئلة في بيع وشراء الذهب.**
١٠.	**أصول في التفسير.**
١١.	**الأصول من علم الأصول.**
١٢.	**بحوث وفتاوى في المسح على الخفين.**
١٣.	**تسهيل الفرائض.**
١٤.	**التعليق على السياسة الشرعية.**
١٥.	**التعليق على رسالة رفع الأساطين.**
١٦.	**التعليق على لمعة الاعتقاد.**
١٧.	**التعليق على ميمية ابن القيم.**
١٨.	**تفسير السور من الحجرات إلى الحديد.**
١٩.	**تفسير الفاتحة والبقرة.**
٢٠.	**تفسير سورة آل عمرآن.**
٢١.	**تفسير سورة الأنعام.**
٢٢.	**تفسير سورة الصافات.**
٢٣.	**تفسير سورة الكهف.**
٢٤.	**تفسير سورة المائدة.**

٢٥.	تفسير سورة النساء.
٢٦.	تفسير سورة جزء عم.
٢٧.	تفسير سورة ص.
٢٨.	تفسير سورة يس.
٢٩.	تقريب التدمرية.
٣٠.	تلخيص فقه الفرائض.
٣١.	التمسك بالسنة النبوية وآثاره.
٣٢.	حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة.
٣٣.	الخلاف بين العلماء.
٣٤.	رسالة الحجاب.
٣٥.	رسالة الدماء الطبيعية.
٣٦.	رسالة تعاون الدعاة.
٣٧.	رسالة في الأذكار.
٣٨.	رسالة في القضاء والقدر.
٣٩.	رسالة في حكم تارك الصلاة.
٤٠.	رسالة في زكاة الحلي.
٤١.	رسالة في سجود السهو.
٤٢.	رسالة في صفة النبي.
٤٣.	رسالة في مواقيت الصلاة.
٤٤.	زاد الداعية إلى الله.
٤٥.	الزواج ومجموعة أسئلة في أحكامه.
٤٦.	شرح أصول في التفسير.
٤٧.	شرح اقتضاء الصراط المستقيم.
٤٨.	شرح الأربعين النووية.
٤٩.	شرح الأصول الثلاثة.
٥٠.	شرح البلاغة من قواعد اللغة العربية.
٥١.	شرح البيقونية.
٥٢.	شرح العقيدة السفارينية.
٥٣.	شرح العقيدة الواسطية.
٥٤.	شرح الكافية الشافية.
٥٥.	الشرح الممتع.

٥٦.	شرح المنهاج لمريد الحج والعمرة.
٥٧.	شرح حديث جبريل عليه السلام.
٥٨.	شرح حديث.
٥٩.	شرح دعاء القنوات.
٦٠.	شرح رياض الصالحين.
٦١.	شرح كشف الشبهات.
٦٢.	شرح مختصر التحرير.
٦٣.	شرح مختصر مغني اللبيب.
٦٤.	شرح مقدمة التفسير.
٦٥.	شرح منظومة القلائد البرهانية.
٦٦.	شرح منظومة القواعد والأصول.
٦٧.	صفة الحج.
٦٨.	الضياء اللامع من الخطب الجوامع.
٦٩.	عقيدة أهل السنة والجماعة.
٧٠.	العلم.
٧١.	فتاوى أركان الإسلام.
٧٢.	فتاوى في الحج والعمرة.
٧٣.	فتاوى في الزكاة والصيام.
٧٤.	فتاوى في الطهارة والصلاة والجنائز.
٧٥.	فتاوى في العقيدة.
٧٦.	فتاوى نور على الدرب.
٧٧.	فتح رب البرية بتلخيص الحموية.
٧٨.	فصول في الصيام والتراويح والزكاة.
٧٩.	فقه العبادات.
٨٠.	القواعد المثلى.
٨١.	القول المفيد.
٨٢.	مباحث في أصول الدين.
٨٣.	مجالس شهر رمضان.
٨٤.	مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم.
٨٥.	المداينة.
٨٦.	مذكرة على العقيدة الواسطية.

٨٧.	مصطلح الحديث.
٨٨.	مع رجال الحسبة.
٨٩.	مكارم الأخلاق.
٩٠.	من الأحكام الفقهية في الطهارة والصلاة والجنائز.
٩١.	من مشكلات الشباب.
٩٢.	مناسك الحج والعمرة.
٩٣.	المنتقى من فرائد الفوائد.
٩٤.	نبذة في العقيدة الإسلامية.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	١٤
أولًا: تعريف القواعد في اللغة	١٥
ثانيًا: تعريف القاعدة العقدية وضوابطها	١٧
ثالثًا: لمحة عن منهج التقعيد في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة	٢٣
رابعًا: منهج الشيخ محمد العثيمين في التقعيد	٣٤
الفصل الأول قواعد في الإيمان بالله	٤٥
المبحث الأول قواعد في توحيد الألوهية	٤٦
القاعدة الأولى (أي فعلٍ كان عبادة فصرفه لغير الله شرك)	٤٦
القاعدة الثانية (العمل لا يكون عبادة حتى يوافق الشرع في أمورٍ ستة في جنس العمل، وفي قدره، وفي كيفيته، وفي سببه، وفي زمانه، وفي مكانه)	٥٩
القاعدة الثالثة (كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا لا كونًا ولا شرعًا؛ فإنه مشرك شركًا أصغر)	٨٢
القاعدة الرابعة (الوسيلة لا بد أن تكون صحيحة في إيصالها إلى المقصود)	٩٧
القاعدة الخامسة (أمْرُ النبي في الشرع لا بأس أن يُقرن مع الله بالواو؛ لأن ما جاء به هو من شرع الله، بخلاف الأمور الكونية فإنه لا يقرن مع الله إلا مقرونًا بثم)	١١٢
المبحث الثاني قواعد في الأسماء والصفات	١٢٠
القاعدة الأولى (جميع من أوّل في الصفات من غير إثبات ودليل يدل على تأويله؛ فإنه متعدٍ)	١٢٠
القاعدة الثانية (كل كُتب الله لا يوجد فيها، أو فيما جاءت به الرسل خبران مختلفان في صفات الله)	١٣١
القاعدة الثالثة (كل من قاس صفات الله بصفات المخلوق، فإنه يضل بتحريف النص وتعطيل الصفة أو التمثيل)	١٤٢
القاعدة الرابعة (الفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى عن نفسه، والسكوت عمّا لم يرد إثباته ولا نفيه)	١٥٠
القاعدة الخامسة (كل ما أسنده الله لنفسه فهو له نفسه لا لغيره)	١٥٦
القاعدة السادسة (كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى ما في الاسم من صفاته، ويدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم)	١٦٣
القاعدة السابعة (ما كان وصفًا لله غير قائم بنفسه، فهو صفة لله غير مخلوقة، وما كان عينًا قائمة بنفسه، فهو مخلوق، وكذلك لو كان وصفًا في عين قائمة بنفسها، فهو مخلوق؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة)	١٦٨
القاعدة الثامنة (إن الله إذا أضاف الفعل أو الوصف إلى نفسه اختص به نفسه، وأن كل فعلٍ مضاف إلى الله، فإنه يعني ذات الله)	١٧٣

القاعدة التاسعة (كل صفة مربوطة أو معلقة بسبب فإنها من الصفات الفعلية) ١٧٧
القاعدة العاشرة (كل ما يتعلق بمشيئة الله من الصفات فهو صفة فعلية) ١٨٤
الفصل الثاني قواعد في الإيمان باليوم الآخر والقدر ١٨٨
المبحث الأول قواعد في الإيمان باليوم الآخر ١٨٩
القاعدة الأولى (الواجب فيما ورد من أمور الغيب التسليم والإيمان به، وبما يقتضيه ظاهره من المعنى، والتصديق دون كيف؟ ولم؟) ١٨٩
القاعدة الثانية (كل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى، لا تكون مماثلة له في الحقيقة) ١٩٧
القاعدة الثالثة (الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما ورد كمية وكيفية وزمنًا وقدرًا، ولا يتعدى في شيء منه) ٢٠٣
المبحث الثاني قواعد في الإيمان بالقدر ٢٠٧
القاعدة الأولى (كل فعل لله معلق بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة، وليس شيء من فعله تعالى معلقًا بالمشيئة المجردة) ٢٠٧
القاعدة الثانية (ما من شيء يخلقه الله إلا وله حكمة، سواء كان ذلك في إيجاده، أو في إعدامه، وما من شيء يشرعه الله إلا لحكمة، سواء كان ذلك في إيجابه، أو تحريمه أو إباحته) ٢٢٣
الخاتمة ٢٣٢
الفهارس ٢٣٧
فهرس الآيات ٢٣٨
فهرس الأحاديث ٢٦٠
فهرس الفِرق والأعلام ٢٦٢
فهرس الألفاظ ٢٦٤
فهرس المصادر والمراجع ٢٦٥
فهرس الموضوعات ٢٨٧